

السيرة النبوية (1)

IHIS1033



المحتويات

أهداف السيرة النبوية، ومصادرها ، وطبقات مؤلفيها
وأحوال العالم قبل الإسلام

عناصر الدرس

أهـداف دراسـة الـسيرة النبويـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وبعد:

أهداف دراسة السيرة النبوية:

١. الوقوف على التطبيق العمليّ للرسول ﷺ وأصحابه لأحكام الإسلام.
٢. معرفة شمائل الرسول ﷺ ليتمّ الاقتداء به.
٣. إنّ الاقتداء برسول الله ﷺ واتّباعه دليل لمحبة العبد لربه.
٤. تقوية عزائم المؤمنين، وذلك لِما اشتملتْ عليه مِن مواقف إيمانية عقَدية.
٥. في السيرة الكثيرُ مِن العظات والعِبر التي يتّعظ ويعتبر بها كلّ ذي لُبّ مِن الحُكّام والمحكومين.
٦. في سيرته ﷺ دروسٌ كثيرة لجميع فئات الناس، ومواساة لهم في الابتلاءات التي يتعرّضون لها، لا سيما الدّعاة.
٧. إنّ سيرة الرسول ﷺ هي المثَل الأعلى للإنسان الكامل في جميع الجوانب.
٨. يجد المرء في سيرته ما يُعينه على فهْم كتاب الله تعالى وسنّة الرسول ﷺ.
٩. الحصول على قدْر كبير مِن العلوم الإسلامية الصحيحة.
١٠. التّعرّف على تطوّر الدعوة الإسلامية وما جابهته مِن مشقّات وعقبات.

١١. معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية، ومناسبات أقوال كثيرة للنبي ﷺ وأصحابه.

١٢. فهم علْم الناسخ والمنسوخ.

١٣. معرفة المعجزات التي أجراها الله على يدَيْ نبيّه محمد ﷺ.

١٤. معرفة خصائص النبي ﷺ.

١٥. الوقوف على الروايات الصحيحة في مجالات السيرة المختلفة.

مصادر السِّيرة النبويّة

مصادر السِّيرة النبوية متنوّعة ومتعدِّدة: كالقرآن الكريم، وكُتب الأحاديث، والشَّمائل والدلائل، والسِّيَر والمغازي، وكتب التاريخ العامّ، والجغرافية التّاريخية، والأدب، والتراجم، وغير ذلك...

وينبغي أن يكون مستقِراً في أذهاننا أنّ هذه المصادر تتباين قوة وضعفاً وأصالة؛ لذلك يجب أن لا توضع في خانة واحدة، وألاّ يكون التّعامل معها على السواء؛ فلا يمكن مثلاً معارضة حديث صحيح برواية مِن كُتب الأدب أو التاريخ.

أولًا: المصادر الأساسية:

١- القرآن الكريم:

هو كلام الله تعالى المُنزل على نبيه محمد ﷺ بطريق الوحي [ألف الأستاذ محمد عزة دروزة كتاباً بعنوان: (سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن الكريم) في مجلّدين].

وقد تناول القرآن الكريم كثيراً مِن القضايا المتعلّقة بالسيرة النبوية، مثل:

أ. البيئة التي وُلد فيها الرسول ﷺ: فتحدث عن جميع الجوانب مِن حياة أهل الجزيرة العربية، وخاصّة مكة التي وُلد فيها الرسول ﷺ وفيها بُعث.

ب. تحدّث القرآن الكريم عن بداية الدعوة، ومقاومة قريش لها، والأساليب التي استخدمتها حيال الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ومحاصرة الدعوة داخل مكّة؛ لتظل تحت سيطرتهم.

ج. تحدّث القرآن عن الهجرة، وعن استقرار المسلمين بالمدينة، وقيام الدولة الإسلامية، وموقف اليهود مِن الرسول ﷺ والمنافقين.

د. تحدّث القرآن الكريم الجانب العسكريّ، وفرض الجهاد، والمعارك الفاصلة مثل: بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، وفتح خيبر، وموقف الرسول ﷺ مِن يهود المدينة، وفتح مكة، وحُنيْن، وتبوك، وغير ذلك من المواقف الكثيرة.

وباختصار، فإنه لا غنى لأحد عن القرآن الكريم في جميع جوانب حياته، وخاصة لرسم صورة كاملة لحياة الرسول ﷺ في أطوارها المختلفة، وحياة المسلمين في ذلك العصر الذهبي للأمة الإسلامية؛ فقد صوّر لنا القرآن الكريم في عشرات الآيات حياتهم الاجتماعية والفكرية، والاقتصادية. ولاكتمال الصورة، لا بدّ مِن العودة إلى كتب التفسير؛ فهي تشير في سياق شرْحها للآيات القرآنية، إلى كثير مِن أحداث السيرة النبوية.

٢. الحديث النبوي الشريف:

عُنيَت كُتب الحديث بجمع مرويّات أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته؛ وهي مِن أهمّ المصادر في السيرة النبوية؛ حيث نقلت لنا بأصحّ الأسانيد كثيراً مِن

حوادث السيرة ومغازي النبي ﷺ ووصفاً دقيقاً لحياته الشخصية وسيرته مع أصحابه، إضافة إلى بيان كثير مِن الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٣- كتب الدّلائل:

وتتناول المعجزات والدّلائل الدالة على صدْق النبي ﷺ.

ومِن أقدم مَن كتب فيها: الفريابي (ت٢١٢هـ) في كتابه (دلائل النبوّة) ثم المدائني (ت٢٢٥هـ) في كتابه (آيات النبي ﷺ)... إلخ.

ومِن أشهرها: كتب (الدلائل) لأبي نعيم الأصفهاني، و(دلائل النبُوّة) للبيهقي.

٤- كُتب الشّمائل:

وهي التي تبيّن أخلاق النبي ﷺ وصفاته الخُلُقية والخَلْقية؛ وأقدم مَن ألّف فيها: أبو البختري وهب بن وهب الأسدي (ت٢٠٠هـ) في مؤلفه (صفة النبي ﷺ) ومِن أشهر كتب الشمائل: (الشمائل المحمّدية) للترمذي. وكتاب (أخلاق النبي ﷺ وآدابه) لأبي الشيخ.

٥- كتب السِّيرة:

وقد اعتنى المسلمون بالسّيرة النبوية في وقت مُبكّر، ممّا يُضفي عليها التكامل في التسجيل، والثقة في الرواية والنقل. وقد اشتهر عدد مِن الصحابة باهتمامهم بالسيرة، منهم: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب }.

وكتبت بعض أحداث السّيرة على يد التابعين، والصحابة متوافرون مُقرّون لهم بذلك؛ ومن هؤلاء: أبان بن عثمان (ت١٠١-١٠٥هـ)، وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، والشعبي (ت١٠٣هـ).

وممّن اهتمّ بالسّيرة: الزهري (ت١٢٤هـ)؛ فقد تلقاها عن جمْع من صحابة رسول الله ﷺ وعن كبار التابعين.

ومِن أوثق كتب المغازي: كتاب موسى بن عقبة (ت١٤٠هـ) وقد قال ابن معين: "كتاب موسى بن عقبة عن الزهري مِن أصحّ هذه الكتب".

وقال الإمام الشافعي: "ليس في المغازي أصحّ مِن كتاب موسى بن عقبة، مع صغره وخلوّه مِن أكثر ما يذكر في كتب غيره".

وممَّن ألف في السيرة: أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي (ت١٤٣هـ) وهو مِن العبّاد الثقات. وقد رواها عنه: ابنه معتمر. وقد ذكر هذه السيرة: أبو بكر بن خير الإشبيلي في "فهرسته" (ص: ٢٣١) ونقل عنها ابن سيد الناس، والسهيلي، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم...

وممّن علا صِيتُه واشتهر في السيرة النبوية حتى نُسبت إليه: محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) وهو من تلاميذ الزهري، وهو إمام هذا الشأن؛ وقد اختصرها ابن هشام (ت٢١٨هـ) وهي التي بقيت في أيدينا الآن، حيث حذف منها ما لا تعلّق له في السيرة، وحذف منها تاريخ الأنبياء، وما لا يصحّ من الشِّعر، كما ذكر ذلك في مقدّمته. ثم شرحها السهيلي (ت٥١٨هـ) في كتابه "الروض الأنف".

ومن كُتَّاب السيرة: الواقدي (ت٢٠٧هـ) وهو مِن أئمة هذا الشأن؛ فقد اهتم بالوقائع والمغازي، وسأل عنها أبناء الأنصار، وحاول أن يقف على كثير منها.

وهو مع سعة علمه وشهرته واطلاعه وتخصصه في السيرة، إلا أنه متروك من حيث الرواية في الحديث.

ومن كتب السيرة: (عيون الأثر في فنون المغازي والسِّيَر) لابن سيِّد الناس (ت٧٣٤هـ)، و(السيرة النبوية) للذهبي (ت٧٤٨هـ).

ومنها: (البداية والنهاية) لابن كثير (ت٧٧٤هـ).

ومِن مصادر السيرة: كتب فقه السيرة؛ وأقدم مَن كَتب في فقه السيرة هو: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) في كتابه (الهدي النبوي) وجعفر بن محمد المستغفري (ت٤٣٢هـ) في كتابه (الهدي النبوي) و(زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).

وكما اهتمّ العلماء بالتأليف في السيرة جملة، فإنّ هناك من اهتم بالكتابة في جزئيات السيرة، مثل: (تركة النبي ﷺ والسبل التي وجّهها فيها) لحماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت٢٦٧هـ)، و(المصباح المضيء في كتاب النبي الأمّيّ، ورسُله إلى ملوك الأرض مِن عربيّ وعجميّ) لمحمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري (ت٧٨٣هـ)، وكتاب (الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ مِن الخدَم والموالي) لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ).

الموسوعات في السيرة:

وأقدم كتاب فيما أعلم هو: (سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) لمحمد بن يوسف الدمشقي الشامي (ت٩٤٢هـ)، انتخبها من ٣٠٠ كتاب.

ومن الكتب المعاصرة:

كتاب (الجامع في السيرة النبوية) تأليف سميرة الزايد؛ وقد جمعت المؤلفة مِن كتب السيرة وكُتب السنة وكتب التراجم. وقد جعلت لها منهجاً، وهو: اعتماد رواية ابن هشام وتخريج الروايات كلّها عليها، إلاّ إذا لم تجد له في الموضوع رواية، ولم تهتم بالحُكم على الأدلة وتتبع تخريجها.

النَّظم في السيرة:

قام العلماء بنظم أحداث السيرة ووقائعها حتى يسهل على الطالب حفظها؛ وممّن اعتنى بنظم السيرة: الحافظ عبد الرحيم العراقي (ت٨٠٦هـ). وقد طُبع الكتاب مع شرحه (العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية) لعبد الرءوف المناوي (ت١٠٣١هـ).

أوضح الناظم ~ أنّ كتب السيرة النبوية احتوت ما كان إسناده معتبراً وما كان غير معتبَر، وجرى في نظمه على طريقتهم في عدم اعتبار الإسناد؛ لكن إن وردت رواية صحيحة نبّه عليها.

وقد نظم السيرة على الترتيب التاريخيّ، إلا أنه بعد ذِكْر الهجرة ووصول الرسول ﷺ إلى خيمة أمّ معبد، شرع في ذكر شمائله وخصائصه، ثم رجع إلى ذكر مغازيه، وختمها بذكر أقاربه وأزواجه ومواليه وحرّاسه وخدمِه. وقد اعتمد في ألفيّته على كتب السنة والسيرة.

وقد نظم الشناقطة في السيرة النبوية عشرات الكتب؛ ومعظمها ما زال مخطوطاً في مكتبات خاصة، وبعض المكتبات العامّة.

ثانيًا: المصادر التّكميلية:

وهي تأتي بعد المصادر الأولى في الأهمية، ومنها:

١. كتب الفقه، وهي محلّ استنباط الأحكام مِن الكتاب والسنة؛ ولهذا نجد رواياتٍ وأحداثاً في كثير مِن أبوابها، وبخاصّة الكتب المتقدّمة مثل: "المدوّنة" للإمام مالك، و(الأمّ) للإمام الشافعي، و(الأموال) لأبي عبيد، و(الخراج) لأبي يوسف، والمصنَّفات مثل: (مصنّف عبد الرزاق).

٢. كتب الرجال والتراجم: وبخاصة تراجم الصحابة، مثل: كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر، و(أسد الغابة) لابن الأثير، و(الإصابة) لابن حجر؛ فإنّ هذه الكتب وغيرها غنية جداً بروايات السيرة وأحداثها، وذكر مواقف الصحابة في المغازي والسرايا والبعوث.

٣. كتب الأدب لِمَا تحتويه مِن وصْف للحياة الاجتماعية والعلْمية في عصر النّبوّة وعصر الصحابة، مثل كتاب: (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه.

٤. كتب البلدان أو الجغرافية التاريخية، حيث تُقدم هذه الكتب وصفاً تاريخياً للمدن والطرق والمسافات والأبعاد، وتشير أحياناً إلى ما حدث فيها مِن أحداث. ومِن هذه الكتب: (معجم البلدان) لياقوت الحموي، و(معجم ما استعجم) للبكري.

طبقات المؤلِّفين الأوائل في السِّيرة النبوية

لقد اهتمّ المسلمون بسيرة الرسول ﷺ، وكانوا يتناقلونها جيلاً بعد جيل، يستلهمون منها ما يُنير لهم الطريق في مسيرة حياتهم، لأنها التجسيد العمليّ للإسلام. وكان الصحابة } يعلّمون أبناءهم السيرة كما يعلّمونهم السورة مِن القرآن الكريم؛ فقد روى الخطيب البغدادي عن زين العابدين بن علي: أنه قال: "كنا نتعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نتعلّم السورة مِن القرآن الكريم".

ويقول محمد بن سعد بن أبي وقاص: "كان أبي يعلّمنا المغازي والسّرايا، ويقول: يا بَنِيّ، هذه شرف آبائكم، فلا تُضيعوا ذكْرَها!".

ولذلك جاءت السيرة -مِن حيث الاعتناء بها والوثوق بها- تالية للقرآن الكريم، إذ بدأ التأليف فيها في حياة الصحابة } على يد مجموعة مِن التابعين، وبمباركة مِن الصحابة وإقرار منهم. والصحابة على علْم دقيق بالسيرة؛ لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها؛ وقد اشتهر عدد كبير مِن الصحابة باهتمامهم بالسيرة النبوية، كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب، وغيرهم... وكان لهذا الاهتمام المبارك أثر كبير في الوثوق بكثير من روايات السيرة.

ولقد كتبت عدة دراسات عن المؤلِّفين الأوائل، وقد قسّم بعضهم هؤلاء المؤلِّفين إلى عدّة طبقات:

الطبقة الأولى:

ومِن أشهر رجال هذه الطبقة:

١. أبان بن عثمان، المتوفى سنة (٨٦هـ) على اختلاف.

٢. عروة بن الزبير، المتوفى (٩٣هـ).

٣. عبد الله بن كعب الأنصاري، المتوفى (٩٧هـ).

٤. عامر بن شراحيل الشعبي، المتوفى (١٠٣هـ).

وهؤلاء لم تصِل كتبهم إلينا، وإنما روايات مبثوثة في المراجع المختلفة. وقد جمع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مرويّات عروة بن الزبير في السيرة، ونشرها في كتاب بعنوان: (مغازي رسول الله ﷺ) وقال حاجي خليفة عند حديثه عن المغازي: "إنّ أوّل مَن صنّف في المغازي: عروة بن الزبير".

الطبقة الثانية:

ومِن أشهر رجال هذه الطبقة:

١. محمد بن شهاب الزهري، المتوفي (١٢٤هـ) وهو مِن كبار المحدِّثين في عصره، وهو أوّل مَن استخدم طريقة جمع الأسانيد؛ والمراد بجمع الأسانيد: أن يكتمل السياق، وتتّصل الأحداث دون أنْ تقطعها الأسانيد.

2. عبد الله بن أبي بكر بن حزم، المتوفى (١٣٥هـ) وهو محدِّث ثقة مِن التابعين.

3. شرحبيل بن سعد المدني، المتوفى (١٢٣هـ) وقال في حقّه ابن عيينة: "لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريِّين منه".

وكذلك فإنّ هذه الطبقة لمْ تصل إلينا كتُبُهم. وقد قام الدكتور سهيل زكار بجمع مرويّات الزهري مِن بطون الكتب، ونشرها في كتاب بعنوان: "المغازي النبوية".

الطبقة الثالثة:

ومِن أشهر رجال هذه الطبقة:

1. موسى بن عقبة، المتوفى (١٤١هـ). وهو محدّث ثقة من تلاميذ الزهري؛ وقد أثنى الإمام مالك على كتابه في المغازي وقال: "إنه أصحّ المغازي". وقال يحيى بن معين: "كتاب موسى بن عقبة عن الزهري مِن أصحّ هذه الكتب".

2. سليمان بن طرخان التَّيمي، المتوفى (١٤٣هـ). وهو محدّث ثقة مِن التابعين، ويُعتبر مِن علماء الجرْح والتعديل.

3. معمر بن راشد، المتوفى (١٥٣هـ). وهو محدّث ثقة، كان مِن أوعية العلْم، مع الصدق، والتّحرّي، والورع، والجلالة، وحسن التّصنيف.

٤. محمد بن إسحاق، المتوفى (١٥١هـ).، إمام في المغازي ؛ وقد تكلّم بعض الناس في ابن إسحاق، إلاّ أنّ الجميع مُطبق على إمامته في المغازي.

قال الإمام الذهبي: "والذي يظهر لي: أنّ ابن إسحاق حسَن الحديث، صالح الحال، صدوق ؛ وما تفرد به ففيه نكارة، فإنّ في حفظه شيئاً، وقد احتج به الأئمة".

وقال الحافظ ابن حجر: "ما ينفرد به -وإن لم يبلغ الصحيح- فهو في درجة الحسن إذا صرّح بالتحديث...".

وقال الحافظ الذهبي ~ أيضاً: "كان أحَد أوعية العلْم حَبْراً في معرفة المغازي والسِّير، وليس بذلك المُتقن ؛ فانحطّ حديثه عن رتبة الصّحة. وهو صدوق في نفسه مرضيّ".

ومِن أشهر رواة السيرة عن ابن إسحاق:

زياد بن عبد الله البكائي، ومِن طريقه: ابن هشام -مهذّب السيرة- وبكر بن سليمان، وعن طريقه خليفة بن خياط.

وسلمة بن الفضل الأبرش، ومِن طريقه: الطبري، وفيه يقول الطبري: "ليس مِن لدُن بغداد إلى أن يبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق مِن سلمة بن الفضل".

وقد وصلتنا أجزاء مِن مغازي ابن عقبة، وقد نشرها المستشرق الألماني إدوارد سخاو، وأجزاء مِن سيرة ابن إسحاق، أهمّها: القِسم المعروف بـ(سيرة ابن

هشام) ثم الجزء المسمّى (السِّيَر والمغازي) وقد صدر بتحقيق الدكتور محمد حميد الله.

٥. محمد بن عائذ الدمشقي، المتوفى (٢٣٤هـ). وهو محدّث ثقة. وما زال كتابه مخطوطاً بالمتحف البريطاني بلندن.

٦. محمد بن عمر الواقدي، المتوفى (٢٠٧هـ). وهو ضعيف عند المحدّثين مع غزارة مادته العلمية؛ ولذلك اشتمل كتابه على إضافات على ما عند ابن إسحاق، ويُبدي رأيه في الروايات ويرجّح بينها.

وممّا يدل على همّة الواقدي: ما رُوي عنه أنه قال: "وما علمْت غزاة في موضع، إلاّ ذهبت إليه حتى أعاينه. وكان الواقدي مشهوراً بالكَرم إلى حدّ الإفلاس. وقد تكلّم فيه رجال الحديث وضعّفوا رواياته. ومما قيل في الواقدي: قول الإمام أحمد: "الواقدي يركّب الأسانيد". وقال عنه الإمام الذهبي: "جمَع فأوعى، وخلط الغثّ بالسمين، والخرز بالدّر الثمين، فاطّرحوه لذلك؛ ومع هذا فلا يُستغنى عنه في المغازي وأيّام الصحابة وأخبارهم".

وقال ابن سيّد الناس مُدافعاً عن الواقدي: "إنّ سعة العلْم مظنّة لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنّة للتّهمة، والواقدي غير مدفوع عن سعة العلْم، فكثرت غرائبه".

وقال تلميذه ابن سعد: "وكان عالِماً بالمغازي، والسِّيرة، والفتوحات، واختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه".

نبذة مختصرة عن أحوال العالَم قبل الإسلام

وقبل الحديث عن الجزيرة العربية التي اختارها الله تعالى لتكون مركز الانطلاقة الأولى لهذا الدين الإسلامي، لا بدّ مِن الإشارة إلى الأمم التي كانت تجاور الجزيرة، لمعرفة ذلك الواقع الذي كانت تعيشه البشرية. وقد كان من أهم الأمم المجاورة: فارس، والرومان، والهند، واليونان، والصين.

ولكن قبل ذلك، نشير إلى التحريف الذي دخل على الدِّيانَتَيْن: اليهودية والمسيحية، حيث تعرَّضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل، وذلك على يد اليهود قتَلة الأنبياء ومحرِّفو الكتب المُنزلة على الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - ونشير إلى بعض ما أدخله اليهود مِن تحريف على الديانتيْن.

أولاً: الديانة اليهودية:

عاد اليهود إلى عبادة الأوثان على الرغم مِن الرسالات المتتالية إليهم؛ فقد أخذوا كثيراً مِن العقائد الفاسدة مِن الأمم المجاورة لهم، بالإضافة إلى ما اشتملت عليه توراتهم المحرّفة وتلمودهم مِن الأوصاف التي لا تليق بعظمة الله تعالى.

وممّا تضمّنته التوراة المحرَّفة:

1. يذكرون أن الله -تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً- تعِب في اليوم السادس، وهو يخلق الكون، فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت.

٢. وجاء في عهدهم القديم قصة آدم وزوجه حواء: "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنّة...". فهم يجعلون الرب مثْل البشر.

٣. وعندهم أنّ الله ندم على إغراقه الأرض في الطوفان.

٤. ويقولون: بأنّ الله تعالى قبِل الضيافة عند إبراهيم، فجاء بصحبته اثنان مِن الملائكة، وأكل مِن طعامه.

٥. وفي توراتهم: أنّ لهم إلهاً خاصاً بهم لا يحبّ غيرهم، لأنهم شعْبُه المختار، أمّا الأمم الأخرى فهي كالأغنام لا يأبه بها الإله.

٦. ويصفون الأنبياء بالسُّكر والعهْر، كما ذكروا ذلك عن نوح # ولوط # الذي اتّهموه بالفاحشة مع بناته. ويقولون: بأن عيسى # ابن غيْر شرعي حملتْه أمه سفاحاً.

فهذا جانب من بعض معتقداتهم الباطلة في الله وفي الأنبياء.

ثانياً: الديانة المسيحيّة أو النّصرانية:

وليست أحسن حالاً مِن اليهودية. وتطلق النصرانية على الدين المنزل مِن الله تعالى على عيسى # وكتابه الإنجيل.

وهذه بعض الإشارات إلى مظاهر التحريف في الديانة النصرانية:

١. كل الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم لا يُعرف متى ظهرت بالتّحديد، وأنه لا صِلة بيْنها وبيْن من نُسبت إليه؛ وهذا ما قرّره مؤرِّخو النصرانية.

٢. دخل في هذه الأناجيل ألوان شتّى مِن الوثنية والخرافات اليونانية، وأصبحت ديانة وثنيّة بحتة، تحول بيْن الإنسان والفكر والعلْم.

٣. ابتدعوا الرّهبانيّة.

٤. اختلفت أقوالهم في المسيح # :

أ. فرقة اليعقوبيّة تقول: بأن الله هو المسيح نفسه. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧].

ب. ومنهم مَن يقول بالتّثليث، وهو حسب زعمهم -تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً-: أن الله ثلاثة:

١. الإله الأب، وله خصائص اللاّهوتية.

٢. الإله الابن، وله خصائص الناسوتية، أي: البشرية.

٣. الإله الروح القدس، وله خصائص الازدواجية. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

٥. تقديس الرهبان، فهم يزعمون أنهم يتكلّمون ويأمرون نيابة عن الله. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

٦. الصَّلب وتقديس الصليب، وهو أن الله (الابن) أراد أن يُصلَب تكفيراً لخطايا ابن آدم، ويعتقدون أنه صُلِب وقُتل. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

﴿ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء: ١٥٧] والذي حاول قتْل المسيح هم اليهود الذين خافوا مِن انتشار دعوته، فهمّوا بقتْله، فأوقع الله شَبَهه على مَن دلّهم على مكانه فقتلوه. ولكنه # لم يُقتل. قال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨].

الحياة السياسة والاجتماعية بالدولة الرومانية:

كانت الدولة الرومانية التي تُمثِّل الديانة النصرانية تعيش في تخبّط وحروب هنا وهناك؛ وقد عرفت مِن الظّلْم لرعاياها ما لمْ يعرفه أحد، حتى إنّ بعضهم كان يَبيع ابنه لسَداد الضرائب والإتاوات التي يجب عليه دفْعها. كما انتشر فيها النظام الطبقي: سادة وعبيد، مُلاّك وأرقّاء، القويّ يأكل الضعيف؛ فانتشر الفساد الأخلاقي والإداري، وكثر السّلب والنّهب. وقد تعرّض أتباعها لأشدّ أنواع الظّلم مِن الطبقة الحاكمة، كما كان يحدث لأهل مصر والشام وإفريقية.

الفُرس:

كان الفُرْس يعبدون الله ويسجدون له، ثم أضحَوا يمجّدون الشمس والقمر وأجرام السماء، ثم جاءهم "زرادشت" فدعاهم إلى التوحيد بزعمه، وأمرهم بالاتّجاه إلى الشمس والنار في الصلاة. وظلّ مَن بعدَه يُشرّعون لهم حتى انقرضت كلّ عقيدة وديانة غير عبادة النار؛ واقتصرت عبادتهم تلك على طقوس يؤدّونها في المعابد، ثم إذا خرجوا منها تقاذفتهم أمواج الباطل ورياح الضلال في كل سبيل.

وأمام فساد الفُرْس ظهرت دعوة "ماني" فى القرن الثالث الميلادي -بمنافسة النور والظلمة- فحرّم الشهوات بالكلّية لأنها مِن الظلام، ودعا باستعجال الفناء انتصارًا للنور؛ وهو ما أجابه إليه مِلكُهم حين قتَله!! وظلّ أتباعه بفارس إلى حين الفتح الإسلامي.

وظهرت مِن بعْده دعوة "مزدك" بأنّ المال والنساء مشاع مُباح كالكلإ والنار والماء! وما زالت دعوته تلك تظهر حتى صار الرّجل لا يعرف ولده، والولد لا يعرف أباه، والمرء يُغلب على بيته بمن يشاركه ماله ونساءه في كل وقت وفى كلّ حين.

أمّا بالنسبة للنظام الاجتماعي، فقد عرف الفُرس نظام التّمييز الطبقي في أقسى صوَره؛ وكان مركز المرء يُحدّد بنسبه، فلا يستطيع أنْ يتجاوزه، أو يغيّر حِرفته التي خُلق لها بزعمهم الباطل.

وفيما يخصّ النّظام المالي، فقد كان نظامًا جائراً مضطرباً، يعتمد على الجباية والضرائب الباهظة، التي أثقلت كاهل الناس، حتى تركوا أشغالهم؛ ففشت فيهم البطالة، وكثرت بينهم الجناية. وكان الفُرس يقدّسون أكاسرتهم، ويعتقدون في ملوكهم الألوهية، وأنّ لهم حقًّا لا يُنازَعون فيه: التّاج والإمارة. وكثرت كنوز ملوكهم في الوقت الذي عانت فيه شعوبُهم مِن شظف العيش. ويُروى أنّ "خسرو الثاني" كان في خزانته ثمانمائة مليون مثقال ذهَب في العام الثالث لجلوسه على العرش. أما "كسرى أبرويز" فكانت له اثنتا عشرة ألْف امرأة، وخمسون ألْف جواد، وما لا يُحصى مِن أدوات الترف والقصور. والعجيب أنّ الفُرس مع ذلك كانوا يمجّدون قوميّتهم، ويعتقدون أنها اختصّت دون سواها بالشرف، في الوقت الذي كانوا ينظرون فيه إلى الأمم مِن حولهم نظرة ازدراء وامتهان.

وهناك بعض الحضارات الأخرى التي كانت سائدة في ذلك التاريخ، مثل: الحضارة الهندية والصينية. ونظراً لعدم اتصالهما المباشر بسكّان الجزيرة العربية، لم نتعرّض لأحوالها، إلا أنها كانت في أحسن أحوالها أسوأ مِن الحضارتيْن الرومانية والفارسية.

والذي نريد أنْ نقوله عن هدف الحديث عن هذه الأمم وأحوالها في عصر البعثة المحمدية، لنعلم ما كانت عليه البشرية في ذلك الزمان مِن حاجة إلى رسالته ﷺ الخالدة، التي أنقذ الله بها مَن كتب في سابق علْمه أنه مِن الفالحين.

التَّعريف بالعرَب، وبلادهم، وطبقاتهم، وحياة العرب قبل الإسلام: (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية)

عناصر الدرس

جغرافيـــة بـــلاد العـــرب

عُـرف مـوطن العـرب الأصـلي عنـد المؤرّخين باسـم: "جزيـرة العـرب"، وذلـك لإحاطة المياه بها مِن جميع جهاتها؛ لأنّ الجهة المفتوحة منها يُغلقها الفرات الـذي يـصبّ في الخليـج العربـيّ. ويحـدّها مِـن الجنـوب: المحيط الهنـدي، ومِـن الـشرق: الخليج العربي ونهر الفرات، ومن الغرب: البحر الأحمر، ومِن الـشمال: البحـر الأبيض المتوسط. وبعضهم يطلق عليها: "شبه الجزيرة العربية". وهي أكبر جزيرة في العالَم.

موقع الجزيرة الهامّ:

تحتلّ الجزيرة العربية، أو شبه الجزيرة العربية موقعًا هامًّا، إذ إنها تَربط بـين قـارات ثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوربا.

طبيعة جزيرة العرَب:

هـي أرض صـحراوية، تتخلّـلها جبـال كـثيرة تختلـف ارتفاعًـا وطولًـا وعرضًـا؛ وأعظمها: جبال السراة الممتدّة مِن سورية وفلسطين شمالًا إلى بلاد اليمن جنوبًا، وهي توازي ساحل البحر الأحمر. وتوجد بها بعض الواحات الداخلية.

معنى كلمة "عرب"

وردت لفظة : "عرب" في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد، بمعنى : البادية الواقعة إلى الغرب مِن بلاد الرافديْن، كما ظهرت كلمة "عربانية" في النصوص الفارسية القديمة، ووردت كذلك في الأسفار القديمة بمعنى : البدو.

ولكن لا يُعرف بالتحديد أوّل مَن استعمل لفظ : "عرب" للدلالة على حقّ قومي يتعلّق بالجنس العربيّ.

وقد عبّر القرآن الكريم بوضوح عن إرادة الجنس في تعبيره عن لفظ : "العرب"، ممّا يدل على أنّ هذا كان معروفًا قبل نزول القرآن الكريم. وقد وردت لفظة : "أعراب" عشر مرات، كما وردت لفظة "عربيّ" إحدى عشرة مرة.

طبقات العرب: أولاً: العرب البائدة

قسّم الرواة والإخباريون العرب إلى ثلاث طبقات :

١. العرب البائدة.

٢. العرب العاربة.

٣. العرب المستعربة.

أولًا: العرَب البائدة:

ويعنون بها الشعوبَ العربية القديمة البائدة، التي كانت تعيش في شبْه الجزيرة العربية، مثل:

عاد:

وهم قوم هود # وهم أقدم العرَب البائدة، ويُضرب بهم المثل في القِدم. وجاء ذكر عادٍ في القرآن الكريم في عدّة آيات منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ [النجم: ٥٠، ٥١].

٢. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر: ٦، ٧].

٣. وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٠].

وقد عاقب الله تعالى عادًا على عنادهم وكفْرهم واستكبارهم في الأرض أشدّ العقاب، إذ أرسل عليهم ريحًا صرصرًا وصواعق دمّرت مساكنِهم. قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦].

وتلك سُنّة الله في الظالمين، ولنْ تجد لسنة الله تبديلًا.

ثمود:

وهم قوم النبي صالح # الذي دعاهم إلى عبادة الله، فخالفوه. وقد ورد اسم ثمود في القرآن الكريم في عدّة آيات، وأنّ الله -تبارك وتعالى- عاقبهم على كفْرهم وطغيانهم بالهلاك الجماعي.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٧، ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٧].

وقد تمكّن علماء الآثار مِن معرفة أماكن ثمود في مدائن صالح، وأرض تبوك، وتيماء، وجبل رم، والطائف.

طسم، وجديس:

قبيلتان مِن العرب البائدة، ولكن لم يَرِد اسمهما في القرآن الكريم. ويذكر المؤرخون أنّ منازلهم كانت باليمامة، وتمتدّ إلى البحرين، وأنه وقعت معارك بين القبيلتيْن أدّت إلى دمار اليمامة التي كانت مِن أخصب البلاد. وهكذا كُفران النِّعم يُؤدّي إلى زوالها.

أَمِيم وعبيل:

وكانت منازلهم في رمْل عالج بين اليمامة والشحر. ويذكر الإخباريون أن الفُرس مِن أبناء أميم، ويقولون: كان شعب أميم هو أول مَن سقف البيوت.

أمّا عبيل، فيذكر الإخباريون عنهم بأنهم نزلوا بموضع مدينة يثرب؛ وهم أوّل مَن اختطّها. وقد بادت عبيل بسبب سيول سلّطها الله عليها.

جُرهم:

وكانت ديارهم باليمن، ثم نزلت الحجاز لِقحْطٍ أصاب بلادَ اليمن، وأقاموا بمكة حتى قدمها إسماعيل # وصَاهَرَهُم؛ وآلت إليهم ولاية البيت حتى غلبتهم عليه خزاعة، وكِنانة، فنزلوا بين مكةَ ويثرب، ثم هلكوا بوباء تفشّى فيهم.

ثانيًا: العرَب العاربة

وهم العرب المنحدرة مِن صُلب يعرب بن يشجب بن قحطان، وتسمّى بالقحطانيّة.

ومهْد هذه العرب: اليمن؛ وقد تشعّبت قبائلها وبطونها، فاشتهرت منها قبيلتان:

أ. حِمْير، وأشهر بطونها: قضاعة، والسّكاسك.

ب. كهلان، ومِن أشهر بطونها: همدان، وأنمار، وطيئ، ومذحج، وكِندة، ولخم، وجذام، والأزد، والأوس، والخزرج، وأولاد جفنة ملوك الشام.

وهاجرت بطون كهلان عن اليمن، وانتشرت في أنحاء الجزيرة. وكانت هجرة معظمهم قبيل سَيْل العرِم. واستقرّ المطاف بهؤلاء المهاجرين كما يذكر الإخباريون والنّسابة، في الأماكن التالية:

أولًا: الأزد: واستقرت بطونها في الأماكن التالية:

١. الأوس والخزرج: سكنوا يثرب.

٢. خزاعة: تمكّنوا مِن إجلاء جُرهم عن مكة ونزلوها.

٣. ونزل عمران بن عمر عمان، وهم: أزد عمان.

٤. أزد شنوءة، استقروا بتهامة.

ثانيًا: لخم وجذام، ومنهم المناذرة ملوك الحِيرة بالعراق.

ثالثًا: بنو طيئ، استقروا بجبلَيْ: أجا وسلمى، بالمملكة.

رابعًا: كِندة: نزلوا البحريْن، ثم اضطروا إلى ترْكها، فعادوا إلى حضرموت، ثم تركوها، ثم نزلوا بنجد.

خامسًا: قضاعة -على اختلافٍ في نسبها- هجرت اليمنَ، واستوطنت بادية السماوة مِن مشارف العراق.

ثالثًا: العــرَب المــستعربة

فأصْل جدّهم الأعلى: سيدنا إبراهيم # وأصْل إبراهيم من بلاد العراق، من بلدة يقال لها: "أر"، على الشاطئ الغربي من نهر الفرات بالقرب مِن الكوفة.

وقد هاجر منها إلى حرّان، ومنها إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته. وقدم مرة إلى مصر. وقد حاول فرعون مصر كيدًا وسوءًا بزوجته سارة، ولكن الله ردّ كيده في نحره؛ فعرف فرعون ما لسارة مِن الصلة القوية بالله تعالى، فأهداها ابنته هاجر لتخدمها -وقيل: كانت أمه- اعترافًا بفضلها. فزوجتها إبراهيم # ثم رجع إبراهيم إلى فلسطين، وبها رزقه الله ابنه إسماعيل مِن هاجر.

وغارت سارة حتى ألجأت إبراهيم إلى نفْي هاجر مع ابنها إلى وادٍ غير ذي زرع، عند بيت الله الحرام الذي لم يكن إذ ذاك إلا رابية. فوضع زوجته عند دوحة فوق زمزم، ولم يكن في ذلك الوادي أحَد ولا ماء. ورجع إبراهيم # إلى فلسطين، ففجّر الله لزوجته وابنه ماءَ زمزمَ، فصارت قوّةً وبلاغًا إلى حين.

ثم جاءت قبيلة جُرهم، واستوطنت مكة بإذنٍ مِن هاجر. وقد كان إبراهيم يرحل إلى مكة؛ ليطالِعَ أحوال زوجته وابنه إسماعيل. وقد ذكر الله -تبارك وتعالى- قصة إبراهيم # ودعاءه عندما ترَك ولده وزوجته: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وكذلك قصة الرؤيا أنه يذبح ابنه: ﴿ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وكذلك قصة بنائه للكعبة ومساعدة إسماعيل له: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس، مرفوعًا: "أن إبراهيم زار ابنه بعدما أصبح له أسرة. فلما جاء لم يجدْه، فسأل زوجته عنه وعن أحوالهم، فشكت إليه؛ فأوصاها أن تخبره بأنه يطلب منه تغْيير عتبة بابه؛ ففهمها إسماعيل فطلّقها. ثم تزوج من امرأة أخرى، وهي ابنة مضاض بن عمرو، كبير جرهم وسيّدهم... وقد أمر إبراهيم # ابنه بتثبيتها في البيت، لثنائها وشكرها لِنِعَم الله".

وقد أنجبت منه اثنَي عشر ولدًا ذكرًا، وتشعّبت مِن أبنائه اثنتا عشرة قبيلة سكنت كلها مكة. ثم انتشرت هذه القبائل في أرجاء الجزيرة العربية، إلا ما كان مِن أبناء قدار بن إسماعيل؛ فإنهم ظلوا بمكة يتناسلون هناك حتى كان منهم عدنان وولده معد؛ ومنه حفظت العرب العدنانية أنسابها. وعدنان هو الجدّ الحادي والعشرون في سلسلة نسب النبي ﷺ وقد كان ﷺ إذا انتسب فبلغ عدنان أمسك، ويقول: "كذَب النّسّابون".

وقد قال بعض العلماء بجواز رفع نسَبه الشريف إلى فوق ذلك، لقولهم بأن الحديث ضعيف. وقد أوصل بعضهم مِن عدنان إلى إبراهيم # أربعين أبًا. وقد تفرّقت بطون معد. ومِن أولاده: نزار، وله أربعة أبناء تشعبت منهم قبائل عظيمة: إياد، وأنمار، وربيعة ، ومضر. وكثرت بطون كلّ مِن مضر وربيعة.

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتيْن عظيمتيْن: قيس غيلان بن مضر، وإلياس بن مضر. ومن إلياس بن مضر: تميم بن مرة، وهذيل بن مدركة، وبنو أسد بن خزيمة، وبطون كِنانة بن خزيمة، ومن كنانة: قريش. وانقسمت قريش إلى قبائل

كثيرة ؛ منها : عبد مناف بن قصيّ الذي تشعّبت منه أربع فصائل : عبد شمس ، ونوفل ، والمطّلب ، وهاشم ؛ وبيت هاشم هو الذي اصطفى الله منه سيدنا محمدًا بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

قال ﷺ : ((إنّ الله اصطفى مِن وَلَد إبراهيم إسماعيلَ، واصطفى مِن وَلَد إسماعيل كنانةَ ، واصطفى مِن بني كنانة قريشًا ، واصطفى مِن قريش بني هاشم ، واصطفاني مِن بني هاشم)). رواه مسلم.

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنّ الله خلَق الخلْق ، فجعلني مِن خيْر فِرَقهم وخيْر الفريقيْن. ثم تخيَّر القبائل فجعلني مِن خيْر القبيلة. ثم تخيّر البيوت فجعلني مِن خيْر بيوتهم. فأنا خيْرُهم نفسًا ، وخيْرهم بيتًا)) رواه الترمذي.

حياة العرب السياسيّة قبل الإسلام

كان حُكام الجزيرة عند ظهور الإسلام قسميْن :

١. **القسم الأول :** ملوك متوّجون ، لكنهم في الحقيقة لم يكونوا مستقلّين بقراراتهم.

٢. **القسم الثاني :** رؤساء القبائل والعشائر ، لهم ما للملوك مِن الامتيازات. وكان معظم هؤلاء الرؤساء مستقلّين في قراراتهم.

القسم الأوّل: الملوك المتوّجون:

١ـ المُلك اليمن:

ويمكن أنْ تُقسّم الدولة التي توالت على اليمن باختصار إلى الأقسام التالية:

١. قبل سنة (٦٥٠) قبل الميلاد، كانت ملوكهم يلقبون: "مكرب سبأ"، وعاصمتهم: "صرواح"، وتقع أنقاضها الآن بالقرْب من مأرب.

٢. من سنة (٦٥٠-١١٥) قبل الميلاد، عرفوا بـ"ملوك سبأ"، واتخذوا مأرب عاصمة لهم.

٣. منذ سنة (١١٥) قبل الميلاد إلى سنة (٣٠٠) من الميلاد، تغلّبت قبيلة حِمْير على اليمن، واتخذت ريدان عاصمة لها؛ وهي تقع بالقرب من بريم. وفي هذه الفترة بدأ السقوط والانحطاط في اليمن؛ وذلك لانشغالهم في استمرار حركتهم التجارية، ولسيطرة الأنباط على شمال الحجاز، ولسيطرة الرومان على سوريا ومصر.

٤. مِن سنة (٤٠٠) من الميلاد إلى دخول الإسلام، فقد توالت في هذه الفترة الحروب الأهلية، ممّا مهّد أمام الرومان احتلال عدن، وبمعونتهم احتل الأحباش اليمنَ سنة (٣٤٠م). واستمر احتلالهم إلى سنة (٣٧٨م)، ثم استقلّت اليمن، ولكن بدأ سدّ مأرب في الخراب حتى وقع السَّيل العظيم سنة (٤٥٠م)؛ وقد أدى ذلك السَّيل إلى خراب العمران باليمن.

وفي سنة (٥٣٣) من الميلاد، قاد "ذي نواس" اليهودي حملة للقضاء على النصارى في نجران، وحفر لهم أخدودًا وطلب منهم ترك المسيحية، فلمّا رفضوا

ألقاهم في الأخدود ؛ فكان هذا سببًا في غزو اليمن مِن جديد مِن قِبل الأحباش بمؤازرة الرومان، فاحتلوا اليمن. وعيّن ملِك الحبشة حاكمًا مِن قِبله هو: أرباط، حتى قتله أبرهة، وحكَم بدَله.

وأبرهة هذا هو الذي عُرف بمحاولة هدْم الكعبة، وهم أصحاب الفيل. وبعد هلاكه استنجد اليمن بالفُرس، فساعدوهم في إجلاء مَن بقي مِن الأحباش باليَمن، وتولّى ملِك مِن اليمن هو: معد يكرب الذي اغتيل، فعيّن كسرى عاملًا مِن قِبله، وواليًا على اليَمن ؛ وأصبحت ولاية تابعة لفارس. وكان آخر ولاة الفرس: باذان، الذي اعتنق الإسلام سنة (٦٣٨م). وبإسلامه انتهى نفوذ الفُرس باليَمن.

٢- الملك بالحيرة:

كان العراق تابعًا لفارس، وبعد هزيمة الفُرس أمام الإسكندر المقدوني، حكَم فارس ملوك عُرفوا بملوك الطوائف. وفي تلك الفترة قدمت مجموعة مِن القحطانيّين، فاحتلّت ريف العراق، ثم هاجرت مجموعة أخرى من العرب العدنانيِّين، فزاحموهم حتى سكنوا جزءًا مِن الجزيرة الفُراتية.

وفي عهد أراشير، مؤسس الدولة الساسانية، أعاد احتلال العراق من جديد، فهاجرت بعض القبائل العربية منه إلى الشام. ومِن بعد ذلك أصبح يتولّى العراق حاكم مِن العرب من قِبل كسرى. وقد توالت عدّة أسر عربية الحُكم في العراق مثل: اللخميِّين، ثم المناذرة.

ثم عزل كسرى آخر ملوك المناذرة، وولَّى مكانه: إياس بن قبيصة الطائي. ثم بعد إياس، عيّن كسرى حاكمًا فارسيًّا.

وفي سنة (٦٣٢م) عاد الحُكم إلى آل لخم، فتولّى المنذر الملقّب بالمعرور، ولم تزِد ولايته على ثمانية أشهر؛ حيث فُتحت الحِيرة على يد خالد بن الوليد.

٣ـ الملك بالشّام:

حدثت هجرات مِن العرب إلى الشمال -تقدّمت الإشارة إليها- وكان ممّن هاجر إلى الشام قضاعة. واصطنعتهم الرومان لمنْع تخوم حدودها مِن غارات العرَب، ليجعلوهم في نُحور الفرْس. وتوارثت قضاعة الملْك، وانتهت ولايتهم بعد قدوم آل غسّان الذين غلبوا قضاعة على ما في أيديهم، فولّتهم الروم ملوكًا على عرب الشام. وكانت عاصمتهم: دومة الجندل. وظلوا يتوارثون الملْك إلى سنة (١٣هـ)، وقعة اليرموك؛ فانقاد آخِر ملوكهم للإسلام: جبلة بن الأيهم، في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب > .

٤ـ الإمارة بالحجاز:

تولّى إسماعيل # الولاية على مكة طيلة حياته التي امتدّت مائة وسبعًا وثلاثين سنة، ثم مِن أبنائه نابت، ثم قيدار، ثم جدّهما لأمّهما؛ فانتقلت زعامة مكة إلى جُرهم، وظلت في أيديهم إلى أن ضعفت جُرهم. وبدأ العدنانيّون يصعد نجمهم. وبعد غزوة بختنصر الثانية سنة (٥٨٧) قبل الميلاد، ذهب معد إلى الشام، ثم عاد إلى مكة، وتزوّج مِن جُرهم، إلاّ أنّ أحوالهم قد ساءت بسبب ظلمهم للوافدين إلى الكعبة. فتذمّر العدنانيّون مِن تصرّفاتهم، فتعاونوا مع خزاعة.

واستولت خزاعة على مكة في القرن الثاني الميلادي، واستمرت ولاية خزاعة على مكة ثلاثة قرون.

ثم وقعت حرب بينهم وبيْن قريش بقيادة قصيّ الذي جمّعهم، فانتصرت قريش. وكان استيلاء قصيّ على مكة سنة (٤٤٠م)، وبذلك أصبحت لقريش السيادة الكاملة على مكة.

ومِن الأعمال التي قام بها قصيّ:

١. استعادة مكة مِن خزاعة.
٢. تجميع قريش في مكة وتوزيعها عليهم.
٣. قام بتأسيس دار الندوة بالجانب الشمالي مِن الكعبة. وكان لهذه الدار فضل عظيم على قريش، فكانت تُحلّ فيها جميعُ مشاكلهم بالحُسنَى.

وكانت كل مظاهر السياسة في مكة تعود إلى قصيّ؛ ومنها:

١. رياسة دار النّدوة.
٢. لا يُعقد لواء إلا بيده.
٣. حجابة الكعبة لا يفتح بابها إلا هو.
٤. سقاية الحاجّ: ماء يوضع في حياض للحجّاج مُحلًّى بالتمر والزبيب.
٥. رفادة الحاجّ: وهو طعام كان يُصنع للحجّاج على طريق الضيافة.

ولما مات قصيّ، تقاسم أبناؤه مِن بعده المسؤوليات التي كان يتولاّها:

١. السّقاية والرّفادة لبني عبد مناف.

٢. دار النّدوة واللواء والحجابة بيد بني عبد الدار.

وقام بنو عبد مناف بالقرعة فيمن يتولّى منهم السقاية، والرفادة، فخرجت لهاشم بن عبد مناف، ثم أخوه المطلب، ثم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جدّ النبي ﷺ وبعده أبناؤه، حتى جاء الإسلام والولاية للعباس بن عبد المطلب.

وكانت لقريش مناصب سوى ذلك وزّعوها فيما بينهم، فكانت على النحو التالي:

١. الإيسار، وهو: تولّي قداح الأصنام لبني جمح.

٢. تحجير الأموال -القربات والنذور التي تُهدى للأصنام- لبني سهم.

٣. الشورَى كانت في بني أسد.

٤. الأشناف -الدّيات والغرامات- كان ذلك في بني تيم.

٥. حملُ اللواء، وكان ذلك في بني أميّة.

٦. تنظيم العسكر وقيادة الخيْل كانت في بني مخزوم.

٧. السّفارة كانت في بني عديّ.

أما بقيّة العرب -وخاصة داخل الجزيرة- فكانت كلّ قبيلة يحكمها رئيس تختاره القبيلة مع مجلس مِن أعيان القبيلة يديرون شئونه. وكان لرئيس القبيلة ربع الغنائم وما اصطفاه، مثْل: قسمة الغنيمة، وما أخذ قبل المعركة.

وخلاصة القول في الحالة السياسية عند العرب، نجملها في النقاط التالية:

١. العرب المجاورون للفُرس والرومان والأحباش، عبارة عن عبيد مستغَلِّين في دفع الضرائب وتولّي المخاطر والشدائد.

٢. أحوال العرب داخل الجزيرة كانت سيئة للغاية، مفكّكة الأوصال، تغلّبت عليها المنازعات القبلية، والاختلافات العنصرية، يَقتلون ويُقتلون، لا يعرفون لماذا اقتتلوا؟ وعلى أي شيء قاتلوا؟ اللهم إلا بدافع العصبية وحب الانتقام؛ ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يرجعون إليه.

٣. أمّا حكومة الحجاز في مكة، فكان العرب ينظرون إليها باحترام وتقدير؛ فهم سُدنة المركز الدّيني، ولكن هذه الحكومة لم تكن تقدِر على حَمْل العِبء، لِمَا وضح ذلك في غزو الأحباش لمكة.

حياة العرب الاجتماعية قبل الإسلام

تكونت القبائل العربية مِن بدو وحضَر، وأهل مدَر ووبَر.

فأهل المدر هم: أهل الحواضر والقرى؛ وكانوا يعيشون مِن الزرع، والنخل، والماشية، والتجارة.

أما أهل الوبر، فهم ساكنو الصحاري، يعيشون مِن ألبان ماشيتهم ولحومها، يتتبعون منابت الكلإ، مرتادين مواقع القطر فيقيمون حيثما وجد الخصب والماء.

وتطلق لفظة "عرب" على أهل القرى والمدن، و"الأعراب" على أهل التنقّل والتّرحال. قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾ [التوبة: ٩٧] "عرب" على أهْل الحضر والبادية على السواء.

القبيلة:

هي عماد الحياة في البادية، بها يحتمي أبناؤها في الدفاع عن أنفسهم؛ والرابط الذي يربط بين أفراد القبيلة هو: النسب. فهم ينحدرون مِن صُلب واحد. وأساس النظام القبلي هو: العصبية؛ وهو: أن يدعو الرجل عصبته إلى نُصرته، فيلبِّي الجميعُ النداءَ دون استفسار ولا معرفةٍ للأسباب.

ولكل قبيلة أرض تعيش عليها وتنزلها، وتعتبرها ملكًا لها، ولا تسمح لأحد بالنزول فيها إلا بإذنها. ولكل قبيلة الحق في حماية أرضها حتى مِن المرور فيها؛ ولذلك كانت القبائل تأخذ الضرائب على القوافل التي تمرّ داخل أرضها، على توفير الحماية لها ما دامت في حدود أراضيها. ونجد أنّ أهل مكة قد عقدوا اتفاقيات مع زعماء القبائل مقابل أموال تُدفع على السماح لهم بالمرور بأراضيهم، وحماية قوافلهم ما دامت في أراضيهم.

سيّد القبيلة:

هو الرئيس، وهو المرجع والمسئول عن أتباعه في السلم والحرب. وكان العرب لا يسوّدون إلاّ من اجتمعت فيه خصال ستّ: السخاء، والنّجدة، والصبر، والحلم، والتواضع، والبيان. وعلى الرئيس أنْ يكون على مقدّمتهم في الحروب، وأنْ يكون شجاعًا لا يهاب الموت.

مِن مظاهر الحياة الاجتماعية عند العرب :

١. الاستلحاق، وهو: أن يستلحق إنسانٌ شخصًا فيُلحقه بنفسه، ويجعله في حمايته ورعايته.

٢. الجوار، وهو: صلة كبيرة في المجتمع، وعصبيةٌ عند العرب؛ فمَن انتهك جاره فقد انتهك عرضه.

٣. الموالي، وهم: العبيد الذين منّ عليهم صاحبهم بالعِتق.

طبقات المجتمع :

١. **الأشراف والأغنياء**، وهم: سادة القوم، وأصحاب المكانة، والمنزلة الرفيعة في المجتمع. وتضمّ هذه الطبقة أصحاب الأموال، والقواد البارزين والشجعان المشهورين.

٢. **الرقيق والعبيد**، وهي: أدنى طبقات المجتمع منزلةً؛ ووظيفة هذه الطبقة هي: الخدمة وسائر الأعمال التي يأنف الإنسان الحرّ مِن ممارستها.

٣. **الفقراء**، وقد كانوا يتعرّضون لأنواع الذّل والهوان. وقد كانت النظرة الدونية للفقير أدّت إلى ثورة اجتماعية عُرف أصحابها بـ"الصعاليك"، وكان منهم عروة بن الورد الشاعر المعروف.

٤. **المرأة**، وقد وصلت المرأة في الجاهلية إلى الحضيض في معظم أحيانها إلا الحالات النادرة؛ فقد كانت مُهانة، بل وتُقبر حيّةً.

وقد جاءت مبادئ الإسلام السّمحة، فوضعت حدًّا لكل ظلم وقهْر؛ فنعِمت البشرية وما زالت تنعم بظلّه وعدله. وقد أنقذت هذه التعاليم العربَ ممّا كانوا فيه، وهي صالحة لكل زمان ومكان لإنقاذ الناس ممّا هم فيه الآن.

ومِن الأمور السيئة التي كانت من عادات العرب -بالإضافة إلى الشرك بالله- : القتل، والزنا، وشرب الخمر، والظلم، والحروب التي تقوم لأتفه الأسباب.

وبالرغم من ذلك، فقد كانت في العرب الأخلاق الحميدة التي أقرّها الإسلام.

ومِن هذه الأخلاق الفاضلة:

١. الكرَم، كانوا يتبارَوْن في ذلك ويفتخرون.
٢. الوفاء بالعهد، فقد كان العهد عندهم دينًا يتمسكون به.
٣. عزة النفس، وعدم قبول الضّيم، وكان مِن نتائج ذلك: فرْط الشجاعة، وشدّة الغيْرة، وسرعة الانفعال.
٤. المضيّ في العزائم، فإذا رأوا شيئًا يروْن منه فخرًا ومَجْدًا، لا يصْرفهم عنه شيء.
٥. الحِلم والأَناة وعدم الاستعجال.
٦. السذاجة البدوية، والصفاء الروحي، وكان مِن نتائج ذلك: الصدق والأمانة، والابتعاد عن الغشّ والخديعة.

ولعلّ لهذه الصفات، مع الموقع الجغرافي للجزيرة وتوسّطها بين العالَم، اختارهم الله تعالى لحمْل الرسالة الخالدة: رسالة الإسلام.

حياة العرب الاقتصاديّة قبل الإسلام

أولاً: التّجارة:

كانت التجارة الحِرفة الرئيسة للعرب قبل الإسلام، وقد خَلُصَ الباحثون إلى أنّ الدولة التي قامت على أطراف الجزيرة -مثل الدولة التي كانت في اليمن أو في العراق أو في الشام- كلّها دول اعتمدت في عُمرانها على التجارة. فقد كانت للعرب تجارات يتبادلون بها حاجاتهم، وكانت لهم أسواق يجتمعون فيها مِن كل صَوْب لشراء ما يبغون، ولبيع ما يحصلون عليه مِن نتاج بلادهم.

أمّا بالنسبة لإقليم الحجاز، فقد استفادت مكة كثيرًا مِن تدهور الأوضاع في اليمن، فصاروا الواسطة في نقل التجارة بيْن العرَب في الجنوب والشمال، وكذلك العلاقات التي كانت بينهم وبيْن الروم وفارس، وذلك لحيادهم في المعارك بيْن الروم والفرس والحبشة؛ فلم يتحيّزوا لأحَد، ولم يتحاملوا على طرف، وقوّوا مركزهم بعقد أحلاف واتفاقات مع سادات القبائل العربية، وتودّدوا إليهم بتقديم الألطاف والمال؛ ليشتروا بذلك قلوبهم، وقد نجحوا في ذلك.

وفي القرآن الكريم إشارة إلى تجارة أهل مكة، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ❖ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ١، ٢]. رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. وكان لأهل مكة تجارات مع أهل العراق، وبصرى، وغزة، وأذرعات، ومصر، والحبشة. وكان مِن أهم المواني: ميناء الشعيبة الذي يقع جنوب مكة، مِن أهمّ مواني التبادل التجاري مع الحبشة.

ثانيًا: الزارعة:

عُرفت بلاد اليمن قديمًا بشهرتها في إنتاج العطور والطيوب والصمغ. وكان لهذه المنتجات أسواق رائجة في الشام ومصر، كما كانت توجد بعض المزروعات الأخرى مِن حبوب وفواكه. واشتهرت اليمن بالسدود، ومِن أشهرها: سد مأرب. وفي الحجاز كان أهل الطائف تنتشر الزراعة لديهم، حتى إنّ أهل مكة كان لبعضهم مزارع في الطائف، بالإضافة إلى بعض الواحات الأخرى المتفرّقة في أنحاء الجزيرة، وخاصة يثرب التي اشتهرت بالتمور، وخيبر، واليمامة، ووادي القرى، وغير ذلك مِن الأماكن الأخرى.

ثالثًا: الصناعة:

كان العرب يحتقرون الاشتغالَ بالحِرف، كالزراعة، والصناعة، ومع ذلك فقد اشتغل بعضُهم ببعض الصناعات الحرفية، كالخياطة، والحياكة، ودباغة الجلود، والحدادة، والجزارة، والنجارة، كما كان نساء العرب كافةً يعملْنَ بالغَزْل.

رابعًا: الغنائم:

كانت الحروب بيْن العرب تُقام خلال ثمانية أشهر مِن السّنة، وكانت غنائم هذه الحروب مصدرًا مِن مصادر الرزق للعرب.

خامسًا: الثروة الحيوانية:

وقد كانت كثيرة جدًّا عندهم، وخاصة الإبل والغنم.

حياة العرب الدِّينيّة قبل الإسلام، وتاريخ الكعبة المشرَّفة، ومكانتها عند العرب، وحفر زمزم، والنسب الشريف

عناصر الدرس

حياة العرب الدِّينية قبل الإسلام

اتفق علماء الأديان على أنّ الدِّين غريزة عند كلّ البشر ؛ وقد تحدّث أحد كتاب العرب عن ظاهرة التّديّن ، فقال : "ما العالَم؟ ما الإنسان؟ مِن أين جاء؟ مَن صنعهما؟ ما نهايتهما؟ وما الموتُ؟ وماذا بعد الموت؟ هذه أسئلة لا توجد أمّة ولا شعب ولا مجتمع ، إلا وضَع لها حلولًا جيّدة أو رديئة ، مقبولة أو سخيفة ؛ وهذا هو الدِّين.

إذًا ، التديّن غريزة ؛ ولكن قد يكون هذا التديّن صحيحًا ، كعبادة الله الواحد القهار ، الذي خلَق الليل والنهار ، وخلَق الموت والحياة ، وخلَق الكون كلّه لعبادته -جلّ في علاه- وقد يكون هذا التديّن غير صحيح ، كعبادة أربابٍ مِن دون الله ، واتخاذ شفعاء ووسطاء من دون الله. وقد كان العرب كغيرهم ، فمنهم الحنفاء الذين مالوا عن عبادة الأوثان ، ومنهم مَن تنصّر أو تهوّد ، ومنهم مَن عبَد الملائكة والجنّ والكواكب ، ومنهم مَن عبد الأوثان والأصنام ، واتخذها من دون الله آلهة معبودة ، يسجدون لها وينذرون ، ويستغيثون بها ، ويستشفعون ، يسألونها ويرجون ما عندها...

وقد كانت عبادة الأصنام في الجزيرة العربية منتشرة بشكل مُلفت للانتباه ؛ وذلك عائد إلى سهولة اقتناء هذه الآلهة ، وصناعتها مِن بيئتهم مِن أحجار وأشجار ونحاس ، بل ومِن تمر ورمل ؛ حتى أصبح لكل واحد منهم إله خاص به ، يعبُده ويحمله معه يتمسّح به ، وينتصر به ، ويأكله أحيانًا!

الديانات التي كان يعتنقها العرب قبل مجيء الإسلام:

أولًا: الوثنيّة:

كان معظم العرب وثنيّين، يعبدون الأصنام والأوثان مِن دون الله تعالى.

والصّنم: ما كان على صورة إنسان مِن خشب. والوثن: ما كان على صورة إنسان مِن حجارة، والنّصب: حجارة تُنصب على هيئة هيكل أو بناء يعبدونها، ويذبحون عندها.

أسباب انتشار عبادة الأوثان:

يذكر المؤرخون سببيْن اثنيْن لانتشار عبادة الأصنام:

السبب الأول: لّما كثرت ذرية إسماعيل # بمكة المكرمة، ووقعت بينهم الحروب ممّا اضطر كثيرًا منهم إلى الخروج من مكة التي يحبونها؛ فكان لا يخرج أحد منهم مِن مكة إلا أخذ معه حجرًا مِن حجارتها، تعظيمًا لها. فكانوا ينصبونها ويطوفون بها أينما حلّوا كطوافهم بالكعبة. ثم وصل بهم المطاف بعد ذلك إلى أن صاروا يعبدون كلّ حجَر أعجبهم شكله، ونسوا ما كانوا عليه مِن دِين إبراهيم، # .

السبب الثاني: دور عمرو بن لحي في جلْب الأصنام إلى مكة. ذكَر أصحاب الأخبار والسِّيَر أنّ أول انحراف في دِين إبراهيم # في مكة المكرمة على يد عمرو بن لحي، حيث جلَب الأصنامَ مِن الشام إلى مكة، ودعَا قومه إلى عبادتها. ثم انتشرت بعد ذلك عبادة الأصنام في كافة الجزيرة العربية.

وكان مِن أشهر أصنامهم:

١. سواع: وهو صنم كانت تعبده قبيلة هذيل برهاط مِن أرض ينبع.

٢. ودّ: وكان لقبائل كلب بدومة الجندل.

٣. يغوث: وكان يُعبد من قبيلة مذحج وأهل جرش.

٤. يعوق: وكان باليمن.

٥. نَسْر: وكانت تعبده قبيلة حِمْير باليمن. وهذه الأصنام الخمسة هي التي كان يعبدها قوم نوح، قد جاء ذِكرها في القرآن الكريم.

٦. مناة: وكان منصوبًا على ناحية البحر الأحمر في قُديد بيْن مكة والمدينة، وكان أشد الناس تعظيمًا له هم الأوس والخزرج. وفي السنة الثامنة مِن الهجرة في طريق الرسول ﷺ لفتح مكة، أرسل علي بن أبي طالب فهدَمه.

٧. اللاّت: وكانت تقع بالطائف، وفي الأصل صخرة مربّعة، وكانت ثقيف تعظِّمها، وبعد إسلامهم أرسل إليها الرسول ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمَها.

٨. العُزّى: وأوّل مَن اتخذها صنمًا: ظالم بن سعد، بواد نخلة؛ وسُمّيت به بطون مِن العرب لتعظيمها له.

٩. هُبَل: وكان حول الكعبة، وأوّل من نصبها في جوف الكعبة: خزيمة بن مدركة.

١٠. إساف ونائلة: ويقال: بأنهما رجل وامرأة ارتكبَا معصيةً في جَوْف الكعبة، فمسخهما الله، ونُصبا لتذكير الناس ببشاعة فعْلهما، فلما تقادم عهدهما عُبدَا مِن دون الله تعالى.

١١. سعْد: وهو صنم لبني ملكان مِن كِنانة؛ وهو عبارة عن صخرة بفلاة، يُنحر لها، وتُقصد ويُتبرك منها.

وفيه يقول أحدهم:

أتينا إلى سعْد ليجْمع شمْلنا ❖ فشتّتَنا سعْد فلا نحن مِن سعدِ
وهلْ سعدُ إلاّ صخرة بتنوفة ❖ لا تدعو لِغيٍّ ولا إلى رُشدِ

والذي يمكن قوله:

إنّ عبادة الأوثان كانت منتشرة بالجزيرة العربية إبّان البعثة المحمدية. وظلت كذلك حتى فتح الله على نبيه محمد ﷺ مكة المكرمة، التي حمل أهلها لواء الوقوف أمام الدعوة الإسلامية. فلمّا سقطت، تهاوت كل معاقل الكفْر بالجزيرة. وعندما دخلﷺ مكةَ منصوراً مظفراً، وجد حول الكعبة وحدها ثلاثمائة وستين صنمًا.

ثانيًا: الديانة اليهودية في الجزيرة العربية:

عَرفت الجزيرة العربية عدة مستعمرات يهودية قبل البعثة المحمدية بفترة مِن الزمان، وكان مِن أهمّ هذه المستعمرات: يثرب، وخيبر، وتيماء، ووادي القُرَى، وكذلك في اليَمن.

وتُشير بعضُ المصادر إلى أنّ اليهود دخلوا الجزيرة العربية على فترات متعاقبة ؛ فكلما تعرّضوا لعقاب مِن الرومان على الجرائم التي جبلهم الله عليها والإفساد الذي فُطرت عليه نفوسهم، خرجوا هاربين ودفعوا بموجات منهم إلى الجزيرة العربية. كما تهوّدت بعض القبائل العربية اليمنية، مثل: قبيلة ذي نواس، صاحب الأخدود الذي حفره لإرهاب النصارى، وأمَرهم بالرجوع عن ديانتهم، فلما امتنعوا رماهم في الأخدود. قال تعالى عن قصتهم: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج: ٤- ٦].

كما أنّ بعض اليهود دخَل إلى الجزيرة بحثًا عن مهاجر الرسول ﷺ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

ثالثًا: الدِّيانة النصرانية في الجزيرة العربية:

عُرف النصارى بشدّة تحمّسهم لنشْر ديانتهم، على عكس اليهود؛ فهم يبذلون كل شيء مِن أجل إدخال الناس في دينهم. وقد دخلت أعداد كبيرة مِن المُبشّرين إلى الجزيرة العربية، وانتشرت بين القبائل البدوية، وساكَنوهم في حلّهم وترحالهم حتى عُرفوا بأساقفة الخيام. وكان انتشارهم أكثر في عرب الشمال، لكونهم أقرب إلى بلاد الدولة البزنطيّة راعية النصرانية؛ فتشير المصادر إلى أن قبيلة تغلب وغسان وقضاعة، قد تنصّروا، وعملت هذه القبائل على نشر النصرانية بين العرب. وقد بلغ أن كان مطران بصرى يشرف على عشرين أسقفًا مِن عرَب حوران، وغسان، وقضاعة.

كما كان للنصرانية وجود باليمن ؛ حيث كان يخضع لحُكم الحبشة ، وهي دولة نصرانية.

وقصة أبرهة الأشرم الذي بنى كنيسة في صنعاء ، ودعا الناس إلى الحج إليها ، ثم أتبع ذلك بمحاولة هدْم الكعبة ؛ ليتسنّى له نشر النصرانية. وكان في هذه المحاولة هلاكه وهلاك من معه. وقد عرف للنصارى وجود قديم في نجران ، وقصة وفدهم الذي جاء إلى الرسول ﷺ بالمدينة ودعاهم إلى المباهلة ، فخافوا ، مشهورة.

وبالإضافة إلى اليهودية والنصرانية وعبادة الأصنام ، كان في العرب مَن يعبد النجوم والكواكب ، خاصة في حران والبحرين. وعُبدت الشمس في بلاد اليمن ، ودخلت المجوسية إلى العرب عن طريق الفُرس.

رابعًا : الحنفاء :

لم تندثر تمامًا ديانة إبراهيم # بل تمسّك بها نَفَرٌ من العرب ، وإن كان عددهم قليلًا. وعرف هؤلاء النفر بـ"الحنفاء" ؛ فقد كانوا يؤمنون بالله ويوحِّدونه توحيد الألوهية والربوبية. وكان مِن هؤلاء : قِسّ بن ساعدة الإيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأميّة بن أبي صلت ، وأبو قيس بن أبي أنس ، وخالد بن سنان ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن لؤي بن غالب ، وغيرهم...

كما ظلّ عند العرب الذين يعبدون الأصنام بقايا مِن ملّة إبراهيم # كاحترام الكعبة ، والحج إليها ، والقيام بالمناسك ، إلاّ الوقوف بعرفة الذي كان خاصًّا بقريش ، حراس بيت الله الحرام.

تاريخ الكعبة المشرّفة، ومكانتها عند العرَب

ومِن المُناسب جدًّا، أنْ نذكر تاريخ الكعبة المشرّفة، قِبْلة الموحِّدين عبر العصور والدهور.

نبذة عن فضائل الكعبة المشرّفة وتاريخها:

لقد جعل الله -تبارك وتعالى- البيتَ مثابةً للناس، وأمنًا للخائفين، وجعله قِبلة للموحدين مِن لدُن آدم إلى أنْ يرِثَ الله الأرض ومَن عليها.

واختُلف في أوّل مَن قام ببناء الكعبة المشرّفة، ويتحصّل مما قيل في بنائها عبْر التاريخ: أنها بُنيت عشْر مرّات:

المرة الأولى: بناء الملائكة لها:

ذكر الأزرقي في (تاريخ مكة): أنّ الملائكة هم أوّل مَن بنى الكعبة، قبْل خلق آدم بألْفَي عام.

وذكَر أنّ الله -تبارك وتعالى- أمَر ملائكته وقال لهم: ابنوا لي بيتًا في الأرض بمثاله -أي: البيت المعمور- وبقدْره. فأمّر الله تعالى مَن في الأرض مِن خلْقه أنْ يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

المرة الثانية: بناء آدم للكعبة بعْد هبوطه مِن الجَنّة:

اختُلف في المكان الذي أُهبط فيه آدم: فقيل: بالهند، وقيل: بسرنديب. وحواء بجدة. وروي أنه لما أُهبط قال: يا ربي، ما لي لا أسمع أصوات ملائكتك ولا

حسّهم؟ قال الله تعالى: خطيئتك يا آدم. ولكن اذهب، فابن لي بيتًا وطُف به، واذكرْني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي. فذهب آدم # إلى مكة، فبنى البيت الحرام مِن خمسة أجبل مِن لبنان، وطور زينا "جبل بالقدس"، وطور سيناء، والجودي -يطلّ على الفرات، وهو الذي رست عليه سفينة نوح، # - وجبل حراء.

وقال ابن عباس } : "وكان أوّل مَن أسَّس البيت وصلّى فيه وطاف: آدم # وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل، وخمسة أسابيع بالنّهار".

وكان مِن دعاء آدم # عند الملتزم: "اللهم إنك تعْلم سِرِّي وعلانيتي؛ فاقبلْ معذرتي. وتعلَم ما في نفسي وما عندي؛ فاغفر لي ذنوبي. وتعْلم حاجتي؛ فأعطني سؤلي. اللهم إني أسألك إيمانًا يُباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يُصيبني إلا ما كتبتَ لي، والرِّضى بما قضيت عليّ". فأوحى الله تعالى إليه أنه أجاب دعوته، ولن يدعوه أحَد من ذريته بهذا الدعاء إلا أجابه.

وهذا الدعاء موقوف على عبد الله بن أبي سليمان.

المرة الثالثة: بناء أولاد آدم لها:

فقد ذكر البيهقي والسهيلي في كتابه (الروض الأُنف): أنّ أوّل مَن بناها: شيث بن آدم # . وقال الفاسي في كتابه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام): ولعل السبب عند مَن قال: إن شيئًا أوّل مَن بنى الكعبة: كون بنائه كان بالطين والحجارة، بخلاف بناء آدم، فإنه كان بناء الأساس وضع عليه الخيمة التي كان يطويها.

المرة الرابعة: عمارة الخليل # :

وهذا البناء ثابتٌ بالقرآن الكريم والسنة الشريفة. ونقل الأزرقي عن علي بن أبي طالب > : "أنّ أوّل مَن بنى الكعبة هو: إبراهيم الخليل # "، وجزم بذلك ابن كثير وقال: لم يجئ خبر عن المعصوم أنّ البيت كان مبنيًّا قبل الخليل. وقال في (سبل الهدى والرشاد): وفي كلام ابن كثير نظرٌ، للآثار التي تدلّ على بناء الملائكة وآدم لها.

المرة الخامسة والسادسة: عمارة العماليق، ثم جُرهم:

روى الأزرقي عن علي بن أبي طالب > قال: "أوّل مَن بنى البيت إبراهيم، ثم انهدم، فبَنَتْه جُرهم، ثم العماليق. ثم هُدم، فبنتْه قريش".

وقال الفاسي في (شفاء الغرام): هذا يقتضي أن جُرهمًا بَنَت البيتَ قبل العمالقة، ورجّح المحبّ الطبري في (القرى): أنّ بناء العمالقة للبيت كان قبل جُرهم.

وقال السهيلي في (الروض الأنف): قيل: بأنه بُنِيَ في أيام جُرهم أكثر مِن مرة.

المرة السابعة: عمارة قصيّ بن كلاب، جدّ النبي ﷺ:

ذكر الزبير بن بكار في كتابه (نسبُ قريش)، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، قال: بلغني أنّ قصيّ بن كلاب بنى الكعبة بعد بناء إبراهيم، ثم بنتْه قريش.

وبذلك جزم الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية)، قال: فكان أول مَن جدّد بناء الكعبة مِن قريش بعد إبراهيم # قصيّ بن كلاب، وسقَفها بخشب الدوم وجريد النخل.

المرة الثامنة: عمارة قريش لها:

وذلك ثابت في السنة النبوية الشريفة، وقد حضره ﷺ وعُمره خمس وثلاثون سنةً؛ وهو قول محمد بن إسحاق. وقيل: ابن خمس وعشرين، وهو قول موسى بن عقبة صاحب (المغازي). وقيل غير ذلك... وسيأتي تفصيل ذلك -إن شاء الله تعالى- عندما نتناول حياة الرسول ﷺ قبل البعثة والأعمال التي قام بها.

المرة التاسعة: بناء عبد الله بن الزبير لها:

وذلك بسبب الوهْنِ الذي أصابها مِن جراء حجارة المنجنيق سنة (٦٤هـ)، التي كانت تُضرب بها من قِبل الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية لقتل عبد الله بن الزبير الذي رفض بيْعة يزيد. فلما رفع عنه الحصار، قام بهدم الكعبة، وبناها على قواعد إبراهيم # وأدخل فيها ما أخرجته قريش بسبب تقصير النفقة عندها. وجعل ابن الزبير للكعبة بابيْن، وكان ذلك سنة خمس وستين.

وقد اعتمد ابن الزبير على حديث عن عائشة > أنّ رسول الله ﷺ قال لها: ((لولا أنّ قومكِ حديثو عهد بالجاهلية لهدمْتُ الكعبة، وألزقْتها بالأرض، وجعلتُ لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، ولزِدْتُ ستّة أذرع مِن الحِجر في البيت؛ فإنّ قريشًا استقْصرت ذلك لّما بنَت البيْت)). الحديث أخرجه الإمام مسلم.

المرة العاشرة: عمارة الحَجّاج بن يوسف:

وذلك بعد قتْل عبد الله بن الزبير سنة (٧٣هـ)، أمَر عبد الملك بن مروان الحَجّاج بهدْم الكعبة، وإعادتها على بناء قريش والوضع الذي كانت عليه في زمن الرسول ﷺ.

وذكر ابن علان أنّ الكعبة تداعت وسقطت بسبب السّيول، فبناها السلطان مراد خان العثماني سنة (١٠٤٠هـ).

الحَجَر الأسود:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الحَجر والمقام ياقوتتان مِن ياقوت الجنّة، طمَس الله نورهما؛ ولولا أنْ طمس نورهما لأضاء ما بيْن المشرق والمغرب)). أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ((نزل الحجر الأسود مِن الجنّة وهو أشد بياضًا مِن اللّبَن، فسوّدتْه خطايا بني آدم))، أخرجه الترمذي.

وروى الدارمي في مسنده: ((أنّ الحجر يَشهد يوم القيامة لِمن استلَمه بحق)).

وأخرج البخاري ومسلم: ((أنّ رسول الله ﷺ كان يُقبِّل الحجَر ويَستْلمه)). وروي كذلك: ((أنّه سجَد عليه))، كما في الترمذي. وعن ابن عباس قال: "الحجر الأسود يَمينُ الله في الأرض".

عبد المطّلب وحفْر زمزم، وزواج عبد الله من آمنة

وقبل الحديث عن قصة حفْر زمزم مِن قِبَل عبد المطّلب، نذكر نبذة مختصرة عن تاريخ زمزم، لمناسبة ذِكْرها.

فزمزم سُقيا الله تعالى لإسماعيل، وقام بإظهاره جبريل # كما في (صحيح البخاري). ولمّا ظهر الماء، جعلت أمّ إسماعيل # تُحوِّضه بيدها، وتغرف في سقائها، فشربت منه وابنها. فقال لها جبريل # : "لا تخافي الضيعة! فإن لله تعالى بيتًا ها هنا يَبْنيه هذا الغلام وأبوه. وإن الله تعالى لا يُضيع أهله".

وفي الحديث: أنّ النبي ﷺ قال: ((يَرْحم الله أمّ إسماعيل، لو تَرَكت زمزم...))، أو قال: ((لو لمْ تغرفْ مِن الماء لكانت زمزم عيْنًا مَعينًا))، أخرجه البخاري في صحيحه. ثم إنّ جُرهم لّما أخرجوا مِن مكة، دَفنوا زمزمَ، وظلّت كذلك إلى أنْ أُمِر عبد المطّلب في المنام بحفْرها.

عن علي بن أبي طالب، قال: قال عبد المطلب: "إني لنائم في الحِجر، إذ أتاني آتٍ فقال: احفِرْ طيبة! قال: قلت: وما طَيْبة؟! فقال: ثم ذهب عني. فلمّا كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاء فقال: احفر بَرَّة! قال: قلت: وما برّة؟! قال: ثم ذهب عني. فلمّا كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال لي: احفِر المَصونة! قال: وما المصونة؟! فأُتي مِن الغد، فقيل: احفِر زمزم! قال: وما زمزم؟ قال: التي لا تزح ولا تذمّ، تسقي الحجيج الأعظم. وهي شرف لك ولولدك.

فغدا عبد المطلب بِمِعْوله ومسحاتة، ومعه ابنه الحارث، فجعل يحفر ثلاثة أيام حتى بَدَا له الطوي، فقال: الله أكبر! طوى إسماعيل! ثم حفَر حتى بدا الماء وانفجر".

فقد ذكَر هذه القصة ابن إسحاق، والبيهقي، والأزرقي.

وقد رأى عبد المطّلب في المنام علامات دلّتْه على مكان زمزم. وقد تعرّض عبد المطلب أثناء حفْره لزمزم لمضايقاتٍ مِن قريش، وكذلك بعْد حفْرها، ووجود غزالَيْن مِن الذهب داخل زمزم، فنذر إنْ رزَقه الله عشرة مِن الولد يدفعون عنه لينحرنَّ أحدهم؛ شكرًا لله. فلما بلغوا عشرة، أخبرهم بنذره وأطاعوه. ثم ذهب بهم جميعًا إلى صاحب قداحهم، وقال له: اضرب على بنيَّ هؤلاء بالقداح، لتحديد مَن يُنحر وفاءً لنذْره. فخرجت القداح على عبد الله، وكان عبد الله أحبّ بنيه إليه. وتكرر خروج القداح عليه، فخرج به ليذْبحه، فقام إليه بنو مخزوم - وهم أخوال عبد الله - فقالوا: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذر فيه! فإن كان فداؤه بأموالنا فديْناه!

وقالت له قريش: لا تفعل! خشيةَ أن تكون سنّة. فخرج إلى كاهنة بالمدينة فأخبرها بقصة نذْره، فقالت له: أسهم على ولدك وعشرة مِن الإبل حتى يخرج السّهم على الإبل؛ فبذلك يكون قد رضي ربك، فانحر الإبل. فلما عاد، قام برمْي القداح على الإبل وعليه، حتى بلغت مائة مِن الإبل، فخرج عليها القدح، فقام بنحْرها.

لُقب بالذبيح:

لما أراد عبد المطلب الوفاء بنذْره -كما تقدّم- خرج السّهم على عبد الله.

روى الحاكم وغيره، عن معاوية > : "أنّ أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحيْن، فتبسّم رسول الله ﷺ ولم يُنكِر عليه. فقيل لمعاوية: مَن الذبيحان؟ قال: إسماعيل وعبد الله".

قال ابن حزم: "لا عَقِب لعبد الله غير رسول الله ﷺ ولم يولد له إلا هو. وكذلك لم تلِد آمنة غير رسول الله ﷺ".

زواج عبد الله مِن آمنة:

قام عبد المطلب -بعْد أنْ أنجى الله ابنه، وقَبِل نذْره- بالذهاب بابنه إلى منازل بني زهرة، ودخل به إلى دار وهب بن عبد مناف الزهري، وهو يومئذ سيّد بني زهرة نسبًا وشرفًا؛ فخطب لابنه فتاة بني زهرة: آمنة بنت وهب، فوافق وهبٌ، وتمّ الزواج مِن أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا. وبنى عبد الله بآمنة، وبقيَت في بيت أبيها ثلاثة أيام على عادة العرب، ثم انتقل بها إلى منازل بني عبد المطلب.

وعند جمهور المؤرِّخين:

أنّ عبد الله لمْ يقض مع زوجته إلاّ عشرة أيام، وقد حملَت آمنة بالنبي ﷺ في هذه الأيام، ثم خرج عبد الله في تجارة إلى الشام. وفي عودته، زار أخوال أبيه بني النجار بالمدينة، فمرض عندهم، وذهب رفاقه وتركوه عند أخوال أبيه، فمات

بعدهم ودُفن في المدينة. ولم يكن لرسول الله ﷺ عند وفاة عبد الله إلاّ شهران في بطن أمه. وكان عمر عبد الله حين مات ثماني عشرة سنة.

ويرى بعض العلماء: أنّ والد النبي ﷺ توفّي بعد ميلاده، وهو لا يزال في المهد، قيل: ابن شهريْن، وقيل: أكثر مِن ذلك.

أخوالُ الرسول ﷺ:

أمّه ﷺ: هي: آمنة بنت وهب، وهي تجتمع مع الرسول ﷺ في جدّهما؛ فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكلاب هو: الجدّ الذي تجتمع فيه مع الرسول، ﷺ.

ولم يكن لآمنة أخ فيكون خالًا للنبي ﷺ إلا عبد يغوث بن وهب -كما في الطبري- ولعله توفّي قديمًا، ولكن بنو زهرة يقولون بأنهم أخوال الرسول ﷺ لأنّ آمنة منهم. وكان ﷺ يفتخر بهذه الخولة ويذكرها. فكان ﷺ ينظر إلى سعد بن أبي وقاص الزهري ويقول: ((هذا خالي، فلْيُرِني امرُؤ خالَه!)).

فسعد جدّه: أهيب بن مناف، عمّ السيدة آمنة أمّ الرسول ﷺ.

عاشت آمنة مع ولدها ستّ سنين، وتوفّيَت في عودتها من زيارة أخوال جدّه بالمدينة بالأبواء بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

طهارة نسَبِه ﷺ مِن السِّفاح، والاصطفاء له ﷺ ولقومه

عن ابن عباس { قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما وَلَدني مِن سِفاح الجاهليّة شيْء، ما وَلَدني إلا نِكاحُ الإسلام))، رواه البيهقي في (السنن).

والسِّفاح -بالكسر-: الزِّنا.

وعن علي بن أبي طالب > قال: قال رسول الله ﷺ: ((مِن لَدُن آدم إلى أنْ ولَدَني أبي وأمّي، لمْ يُصِبْني مِن نِكاح أهْل الجاهليّة شيء))، رواه الطبراني في (الأوسط)، وأبو نُعيم، وابن عساكر.

وروى ابن سعد وغيره، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، قال: "كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أمّ، فما وجدْت فيهنّ سفاحًا ولا شيئًا مما كان في أمْر الجاهلية".

وعن ابن عباس { قال: "ما زال النبي ﷺ ينقلب من أصلاب الأنبياء حتى ولدتْه أمّه"، رواه أبو نعيم في (الدلائل).

الاصطفاء له ﷺ، ولقومه:

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فهذا اصطفاء النبوة. ففي الحديث الصحيح: ((إنّ الله اصطفى كِنانة مِن ولَد إسماعيل، واصطفى قريشًا مِن كنانة، واصطفى مِن قريش بني هاشم، واصطفاني مِن بني هاشم))، (صحيح مسلم).

وفي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة > عن رسول الله ﷺ قال: ((بُعثْتُ مِن خيْر قرون بني آدم، قَرْنًا فقَرْنًا، حتّى كُنتُ مِن القَرْن الذي كنتُ منه)).

وعن العباس -عمّ الرسول ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الله خلَق الخلْق فجعلني في خيْر فِرقهم وخيْر الفريقيْن، ثم تخيّر القبائل فجعلني في خيْر القبيلة. ثم تخيّر البيوت فجعلني في خيْر بيوتهم؛ فأنا خيْرهم نفْسًا، وخيْرهم بيتًا))، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وفي (الطبراني) عن ابن عمر، مرفوعًا، قال: ((إنّ الله اختار خلْقه، فاختار منهم بني آدم. ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العرَب. ثم اختارني مِن العرب؛ فلم أزل خيارًا مِن خِيار. ألاَ مَن أحبّ العرب، فبِحُبِّي أحبَّهم، ومَن أبغض العرَب، فببُغضي أبغَضهم!)).

ويمكن أنْ نأخذ مِن هذا الاصطفاء أمورًا مهمّة:

الأمْر الأول: أنّ المجتمعات القبَلية تحتاج في إقناعها إلى مَن يُشار إليه بالبنان في أوساطها؛ لأنّها لا تقبل النّصح والتوجيه مِن طرق القبيلة، وهذا أمر مشاهَد ومعروف حتى يومنا هذا؛ ولذا فإنّ لاختيار الدّعاة في الأماكن القبَليّة يجب أنْ تُراعى فيه الحيثيّة السابقة.

الأمر الثاني: هو محبّة العرب مِن حيث الجنس، لاَ مِن حيث الأفراد، لكونه ﷺ اختاره الله مِن جنس العرب؛ لأن الأفراد قد ينحرفون عن الإسلام، فينبغي كرْه أفعالهم المنحرفة، لاَ كرْه جنسهم العربي.

الأمر الثالث: اعتقاد فضليّتهم، وفضليّة قريش وفضليّة بيته ﷺ.

سلسلة نسَبه الشريف، ومكانة أسرته ﷺ الاجتماعية في قريش

هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أخرج هذا القدر مِن سلسلة آبائه ﷺ: الإمام البخاري في صحيحه، وهو المُجمَع عليه بيْن علماء النّسب؛ فهم مُجمِعون على أنّ عدنان مِن ذُرّيّة إسماعيل # .

قال ابن دحية: " أجمع العلماء على أنّ الرسول ﷺ إنّما انتسب إلى عدنان، ولم يتجاوزه".

وعن ابن عباس } : "أنه ﷺ كان إذا انتسب لمْ يُجاوز معد بن عدنان، ثم يُمسك، ويقول: ((كذَب النّسّابون -مرّتيْن أو ثلاثًا-)).

مكانة أسرته ﷺ الاجتماعية في قريش:

كانت لأسرته ﷺ مكانةٌ مرموقة، بل وسامقةٌ في المجتمع المَكّي؛ فجدّه قُصيّ هو الذي جمَع قريشًا، وهو الذي تولّى سُدانة البيت الحرام، وإمرة مكة، واجتمعت في يده بالإضافة إلى إمارة مكة: سدانة البيت، والسِّقاية، والنّدوة، واللواء، وهي كلها مظاهر الشرف، بل إنها جمعَت كلّ الشرف.

هاشم بن عبد مناف، جَدّ الرسول ﷺ كان المتولّي للوفادة -وهي إطعام الحاجّ- والسقاية -وهي سقْيهم بماء زمزم ممزوجًا بالعسل أو التمر- وذلك لأنه كان مِن أصحاب اليسار.

وكان يحث قريشًا على المشاركة في هذا العمل. وهو الذي سنّ لقريش رحلتَي الشتاء والصيف، وعقد الاتفاقياتِ مع زعماء القبائل؛ لتأمين سلامة تجارتهم.

وتولَّى عبد المطّلب السقاية والرفادة بعد عمّه المُطّلب، وشرُف في قومه شرفًا لم يشرفه أحدٌ مِن آبائه، وتوّج شرفه حفْره لزمزم.

ميلاد الرسول ﷺ ومُرضعاته، وحواضنه

عناصر الدرس

ميلاده ﷺ: الزّمان والمكان، وأمور صاحبت ميلاده

هناك خلاف بين علماء السِّيَر في العام، والشهر، واليوم، والمكان الذي وُلد فيه ﷺ.

أولًا: العام الذي وُلد فيه:

الأكثر على أنه وُلد عام الفيل، بعد حادثة الفيل بخمسين يومًا؛ وهو قول ابن عباس. وحكى بعضهم الاتفاق عليه. وقيل: بعد الفيل بخَمْس وخمسين ليلة. وقيل: بشهر. وقيل: بأربعين.

وهناك أقوال أخرى: بأنه وُلد بعد الفيل بعشْر سنين. وقيل: بثلاث وعشرين سنة. وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة. وقيل غير ذلك...

قال ابن القيم ~ : وكان أمْر الفيل تقْدمة قدّمها الله لنبيه وبيته، وإلاّ فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهلَ كتابٍ، وكان دينُهم خيْرًا مِن دِين أهل مكة إذّ ذاك؛ لأنهم كانوا عبَدة أوثان، فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه؛ إرهاصًا وتقْدمةً للنبي ﷺ الذي خرج مِن مكة، وتعظيمًا للبلد الحرام.

ثانيًا: الشهر الذي وُلد فيه ﷺ:

المشهور: أنّه وُلد في شهر ربيع الأول -وهو قول جمهور العلماء- ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه.

وقيل: وُلد في صفر. وقيل: في ربيع الآخر. وقيل: في رمضان. وقيل: في عاشوراء.

والرواية التي تقول: إنه ولد في رمضان، تتوافق على كونه أُنزل عليه الوحي في رمضان، وبعدما كمل الأربعين سنة؛ ولكن الرواية المشهورة هي: أنه ولد في ربيع الأول.

وبعضهم يقول: بأنّ ما بيْن ربيع الأول ورمضان، ربما تكون الفترة التي كان يرى فيها الأشياء، فتأتي على حسب ما رأى قبْل أن ينزل عليه جبريل # في شهر رمضان، وفي ليلة القدر منه في السابع عشر.

ثالثًا: اليوم الذي وُلد فيه ﷺ:

اختُلف أيضًا في أيّ يوم مِن الشهر وُلد فيه ﷺ؟

فقيل: وُلد يوم الاثنين مِن ربيع الأول مِن غير تحديد لتاريخ هذا اليوم. وقيل: لِليْلتيْن خلتَا منه. وقيل: لِثمانٍ خلَت منه. وقيل: لعشْر، وقيل: لاثنيْ عشر. وقيل: لسبْع عشرة. وقيل: لثمانٍ بقين منه.

قال في (المواهب): والمشهور: أنه وُلد يوم الاثنين، ثاني عشر مِن شهر ربيع الأول، عام الفيل. وهو قول ابن إسحاق. وفي (صحيح مسلم) أنه ﷺ سُئل عن صيام يوم الاثنين، فقال: ((ذلك يومٌ وُلدْتُ فيه، وأُنزِل عليَّ فيه))، ا.

رابعًا: الوقت الذي وُلد فيه ﷺ:

ويدلّ الحديث الذي فيه: "أنّه وُلد يوم الاثنين، على أنه ﷺ وُلد نهارًا. وقيل: وُلد عند طلوع الفجْر. وقيل: وُلد ليْلًا"، كما في حديث عائشة. ورجّح بعضهم:

أنّ ولادته ﷺ كانت نهارًا، وأنّ تدلّي النّجوم -كما في بعض الروايات، إن كانت صحيحة- فهي معجزة؛ والمعجزة خارقة للعادة.

وقال في (الرحيق المختوم): وُلد سيّد المرسلين بشعب بني هاشم بمكة، في صبيحة يوم الاثنين التاسع مِن شهر ربيع الأول، لأوّل عام مِن حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلَت مِن ملْك كسرى أنو شروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني والعشرين مِن شهر أبريل سنة (٥٧١م)، حسبما حقّقه العالم الكبير: سليمان المنصور فوري، والمحقق الفلكي: محمود باشا.

أمور صاحبَت ميلاده ﷺ:

١. رأت أمّه عندما وضعتْه أنه خرج معه نور أضاء له ما بيْن المشرق والمغرب.

روى الإمام أحمد بن حنبل، والبزار، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، عن العِرباض بن سارية السلمي > : أن رسول الله ﷺ قال: ((إنّي عند الله لخاتَم النّبيِّين، وإنّ آدم لُمجندَل في طينته. وسأخبركم عن ذلك: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمّي التي رأت؛ وكذلك أمّهات النبيِّين يرَيْن)). قال الحافظ ابن حجر: وصححه ابن حبان، والحاكم.

ومما يذكر المؤرخون من تلك الأمور التي صاحبت ميلاده:

١. قالوا: خرّت الأصنام وسقطت عن أماكنها، وذلك بإرادة الله.

٢. ظهر نور حتى أضاءت له قصور الشام.

3. ما ذكره حسّان بن ثابت -وهو عمره سبع سنين ؛ يعقل- : أنّ يهوديًّا مِن أهل المدينة نادَى في قومه : إنّ نجم محمد قد طلع الليلة ، وصادف ذلك ليلة ميلاده.

4. ذكر مخزوم بن هانئ : أنّ إيوان كسرى ارتج ليلة مولد النبي ﷺ وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نيران فارس التي يعبدها المجوس.

5. رأى أحد رجالات كسرى أنّ إبلًا تقود خيلًا عرابًا ، فقطعت دجلة والفرات ؛ فأوّلوا ذلك على حدوث أمْر عظيم في بلاد العرَب.

هذه الروايات والأخبار التي ذكرها أصحاب الكتب ليست ممّا يجب الإيمان به ؛ وإنما ذكرْتها لذِكرهم لها ، وإن كانت لا تقف أمام المنهج الصّارم للمُحدِّثين. ونحن نعلم أن الله قادر على ذلك كلّه. وقد ضعّف الدكتور "أكرم ضياء العمري" هذه الروايات ، ولم يجزم بوضْعها.

أسماؤه ﷺ ويُتمه ، وخِتانه

لّما وضعت آمنة بنت وهب محمدًا ﷺ أرسلت به إلى جدّه عبد المطّلب ، وأخبرته أنها رأت حين حملتْ به في النوم : أنه قيل لها : "حملتِ سيّد هذه الأمّة ، فإذا وضعتِه فسمِّيه محمدًا".

وذُكر أنّها لما أخبرت جدّه بميلاده ، جاء وأخَذه وذهب به إلى الكعبة يدعو له ، وسمّاه محمدًا. ولما قيل له : لِمَ عدلْت عن أسماء أهلك؟ قال بأنّه يريد أنْ يحمده الله في السّماء ، ويحمده خلْقه في الأرض.

وذكر البخاري في (التاريخ الصغير) مِن طريق علي بن زيد، قال: كان أبو طالب يقول:

وشقّ له مِن اسمه ليُجِلَّهُ ❖ فذو العرْش محمود وهذا محمّدُ

والمحمَّدُ: الذي حُمد مرّة بعد مرّةٍ، كالممدوح، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة. وقد خصّ ﷺ بسورة الحمْد، وبلواء الحمْد، وبالمقام المحمود. وشُرع له الحمد بعد الأكل، وبعد الشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم مِن السفر.

وسُمِّيتْ أمّته: الحمَّادين. فجُمعت له ﷺ معاني الحمْد وأنواعه.

مِن الأسماء التي عُرف بها الرسول ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: ((لِي خمْسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد. وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفْر. وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي. وأنا العاقب)).

وأشهر أسمائه ﷺ: "محمَّد"، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقد تكرّر هذا الاسم في القرآن الكريم في سورة: "آل عمران١٤٤، والأحزاب٤٠، ومحمد٢، والفتح٢٩".

وأما أحمد: فقد ورد حكايةً عن قول عيسى # . قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

قال القاضي عياض ~ : حَمَى الله تعالى هذه الأسماء أنْ يُسمّى بها قبله، وإنما سمّى بعض العرب محمدًا قرب ميلاده؛ لَمّا سمعوا مِن الكهّان والأحبار أنّ نبيًّا سيُبعث في ذلك الزمان اسمه: محمد، فرجَوْا أن يكونوا مِن أبنائهم، فسمَّوْهم بذلك الاسم. قال: وهم ستّة لا سابع لهم.

وقال السهيلي: هم ثلاثة، ونسبهم.

وقال الحافظ ابن حجر: جُمعت أسماؤهم، فبلغوا خمسة عشر شخصًا.

قوله ﷺ: ((وأنا الماحِي الذي يمحو الله بي الكفْر))، قيل: المراد: إزالته مِن الجزيرة العربية. وقيل: عام، ولكنه محمول على الأغلب، أو ينمحي بسببه أولًا فأولًا، حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر.

قوله ﷺ: ((أنا الحاشر الذي يُحشر الناسُ على قدمي)): أي: على أثري، أنه يُحشر يوم القيامة مِن قَبْل الناس.

وقوله ﷺ: ((أنا العاقِب)): أي: الذي ليس بعده نبيّ.

مِن أسمائه ﷺ في القرآن الكريم:

الشاهد، والمبشِّر، والنَّذير، والمُبين، والدّاعي إلى الله، ولسِّراج المنير، والمُذكِّر، والرّحمة، والنِّعمة، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزَّمِّل، والمُدَّثِّر.

ومِن أسمائه المشهورة أيضًا:

المختار، والمصطفى، والشفيع المشفَّع، والصادق المصدوق.

وذكر ابن دحية في كتاب له في (لأسماء النبوية): لوعددْت وفتّشت عنها لوصلت أكثر مِن ثلاثمائة اسم. وقد ذكرها. ونقل الحافظ ابن حجر أنّ بعض ما ذكَره صفات وليستا أسماء.

وتكنَّى: ﷺ بأبي القاسم. وأمَر ﷺ أن نتسمّى باسمه، ولا نتكنّى بكنيته. واختلف العلماء في التكنّي بكنيته، وفي الجمْع بين اسمه وكُنيته:

قيل: إنه إنما نهى عن التّكنّي بكنيته في حال حياته، وقيل: إنما المنهيّ عنه: الجمع بينهم، والله أعلم.

يُتمُه ﷺ:

اليُتْم: تقدّم معنا: أنّ عبد الله -والده- اختُلِف في تاريخ وفاته. فقيل: إنه توفِّي ورسول الله ﷺ لم يزل في بطن أمّه. وبهذا القول قال إمام أهل السِّيَر: محمد بن إسحاق، ورجّحه ابن سعد، وسار عليه أكثر العلماء، أنه ﷺ وُلد يتيمًا. والآية الكريمة تشير إلى هذا المعنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

وقيل: توفّي عنه أبوه، وله شهران.

وقيل: وله ثمانية وعشرون شهرًا.

والقول الأرجح: هو الأوّل، إن شاء الله تعالى.

خِتانه ﷺ:

روى الطبري، وأبو نعيم، والخطيب، وابن عساكر، مِن طُرق عن أنس بن مالك: أنّ النبي ﷺ قال: ((مِن كرامتي على ربِّي أنّي وُلدتُ مختونًا، ولمْ يَرَ أحدٌ سوْأتي)). وعن ابن عمر قال: ((وُلد النبي ﷺ مسرورًا مختونًا)).

وقد ضعّف بعض العلماء الآثار الواردة في كونه وُلد مختونًا، وقالوا: لا يثبت في هذا حديث صحيح.

ومَلخّص ما قيل في ختانه ﷺ:

١. قيل: إنه وُلد مختونًا.

٢. وقيل: خَتَنه جده عبد المطلب يوم سابِعِه، وصَنع له مأدبة، وسمّاه: محمدًا.

٣. وقيل: خُتن عند حليمة السعدية، وأنّ جبريل # ختنه.

قال ابن القيم ~ وليس في الختان حديث ثابت، وليس مِن خواصّه؛ فإنه كثير مِن الناس يولد مختونًا.

مُرضعات الرسول ﷺ: أمّه آمنة، ثويبة مولاة عمّه أبي لهب، ومرضعته حليمة السعدية

نتناول هنا -إن شاء الله- الحديث عن مرضعات الرسول ﷺ وحواضنه، وما حدث له ﷺ مِن شقّ الصدر، ورعْيه للغنم مع إخوانه مِن الرضاعة، وعودته مِن جديد إلى أحضان أمّه آمنة بنت وهب بعدما خافت عليه حليمة السعدية مِن أن يُصاب عندها بمكروه؛ حيث بادرت بالعودة به بعدما كانت حريصة على بقائه معها بعد حادثة شقّ الصدر مباشرةً.

١. أمّه آمنة بنت وهب: أرضعته، قيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبْعًا، وقيل: تسْعًا.

٢. ثوَيْبة مولاة عمّه أبي لهب: أرضعتْه ﷺ مع ابن لها يقال له: مسروح -لا يُعرف لمسروح هذا إسلام- وهي التي أعتقها سيدها لما بشّرته بميلاد النبي ﷺ وكانت قد أرضعت عمّه ﷺ حمزة -على الخلاف في كونه مع ابنها مسروح أو قبْله.

وأصل الإرضاع له ثابت في (صحيح مسلم) مِن حديث علي بن أبي طالب < : "لّما عُرض على رسول الله ﷺ ابنة عمه حمزة، فقال: إنها لا تحلّ له؛ لأنه عمّها مِن الرضاعة".

كما ثبت أيضًا في (الصحيح) مِن قصة أمّ حبيبة < لّما قالت للرسول ﷺ بأنه يقال أنه ينوي أن يتزوّج مِن درّة بنت أبي سلمة -أبو سلمة هو: عبد الله بن عبد الأسد- قال: ((فوَاللهِ، لوْ لمْ تكنْ ربيبتي في حِجْري ما حلَّتْ لي؛ إنها لابنة أخي مِن الرضاعة...)) الحديث.

قال ابن الجوزي: "وكانت ثُوَيبة تدخل على رسول الله ﷺ بعدما تزوّج خديجة، فيُكرمها، وتُكرمها خديجة... وكان ﷺ بعد هجرته إلى المدينة يبعث إليها بكسوة وصِلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. قال: ولا يُعلم أنها أسلمت. وذكر أبو نعيم الخلاف في إسلامها.

مُرضعته ﷺ: حليمة السَّعْديّة:

٣. حليمة بنت أبي ذؤيب، واسمه: عبد الله بن الحارث. زوْجها: الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة.

وكان مِن عادة أشراف أهل مكة التماس المراضع لأبنائهم مِن أهل البادية، وخاصة بنو سعد، الذين عُرفوا بالفصاحة.

وكان لعملهم هذا عدّة أسباب:

١. أصبح شِبه عادة عند عِلية القوم.

٢. كانوا يقولون بأنّ الرضاعة في البادية يُكسب الولد كثيرًا مِن الخِصال الحميدة، مثل: النّجابة، وصحّة البدن، وصفاء الذِّهن، والسّلامة مِن

أمراض المدن وخمول أهلها. وكذلك يؤدّي إلى استقامة اللسان، والبعد عن اللحن، والبراءة مِن العُجب.

قال أبو بكر الصديق > لرسول الله ﷺ ((ما رأيتُ مَن هو أفصحُ منك يا رسول الله؟ فقال: وما يَمنعُني وأنا مِن قريش، وأُرضِعت في بني سعد)). مع ما كانت البادية تزوِّدهم به مِن الصبر على شظف العيش، والجلَد، وتعلّم الفروسيّة، والرّماية. وكان الأبناء يمكثون في البادية إلى بلوغ سنّ الثامنة أو العاشرة.

وقد التمس عبد المطلب -جدّ الرسول ﷺ- الرضعاء -كما جرت العادة- وقد كان الرسول ﷺ مِن نصيب حليمة السعدية.

وقد ذكر عنها ابن إسحاق قصة إرضاعها للرسول ﷺ فقالت: قدمتُ مكة في نسوة مِن بني سعد نلتمس الرّضعاء، في سنة شهباء ذات جدب وقحط، على أتانٍ لي، ومعي صبيّ لنا، وشارف لنا -الشارف: الناقة المُسنّة- والله ما تبضّ -أي: لا تُدرّ بقطرة- وما ننام ليلنا هذا مع صبيِّنا ذلك لا يجد في ثديي ما يغذِّيه، ولا في شارفنا ما يغذِّيه. فقدمنا مكة.

فوالله ما علمتُ امرأة إلاّ وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فيأباه إذا قيل: إنه يتيم! وذلك أنَّا كنّا نرجو المعروف منْ أب الصبي، فكنا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمّه؟ كنا نكرهه لذلك. فوالله ما بقيت امرأة من صواحبي إلا وأخذت رضيعًا، غيري، فلم أجد غيره. قلت لزوجي -وهو الحارث بن عبد العزّى السعدي، أدرك الإسلام، وأسلمَ، وعدّه الحافظ ابن حجر في (الإصابة) مِن الصحابة، ويُكنّى بأبي كبشة، وأبي ذؤيب-: والله إني لأكره أنْ أرجع مِن بيْن

صواحبي ليس معي رضيع ؛ لأنطلقنّ إلى ذلك اليتيم ، فَلَآخذنّه. قال : لا عليكِ أن تفعلي ، عسى أن يجعل الله لنا فيه بركة.

قالت : فذهبت إليه ، فإذا به مُدرج في ثوب مِن صوف أبيض مِن اللّبَن ، يفوح منه المسك ، وتحته حرير أخضر ، راقد على قفاه يَغُطُّ. وأشفقت أنْ أوقظه مِن نومه لحُسنه وجماله. فدنَوْت منه رويدًا ، فوضعت يدي على صدره ، فتبسّم ضاحكًا ، وفتح عينيْه لينظر إليَّ ، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء ، وأنا أنظر. فقبّلتُه بيْن عينيْه ، وأعطيته ثديي الأيمن ، فأقْبل عليه بما شاء مِن لبَنٍ ، فحوّلتُه إلى الأيسر فأبَى. فكانت تلك حالته بعدُ ، فروِي ، وروِي أخوه.

ثم أخذته بما هو إلى أنْ جئت به رحلي ، فأقبل عليه ثدياي بما شاء الله مِن لَبن ، فشرب حتى روِي ، وشرب أخوه حتى روِي. فقام صاحبي إلى شارفنا تلك ، فإذا بها لحافل -والحافل : ممتلئة الضّرع مِن اللّبن- فحلَبَ لنا ، فشربت وشرب حتى روِينا ، وبتْنا بخير ليلة. فقال صاحبي : تعْلمي يا حليمة ، والله إني لأراكِ قد أخذْت قسمة مباركة. قلت : والله إني لأرجو ذلك. قالت : ثم خرجنا ، فركبت أنا أتاني ، وحمَلْته عليها معي ؛ فوالله لقطعت بالرّكب ما يعذر عليها شيء مِن حُمُرهم...

قالت : ثم قدمنا منازلنا مِن بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضًا مِن أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدومنا شباعًا لُبَّنًا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبَن ولا يجدها في ضرع... فلم نزَل نتعرّف مِن الله الزيادة والخير حتى مضَت سنتاه ، وفصلْتُه. وكان يشبُّ شبابًا لا يشبّه الغلمانَ ؛ فلم يبلغ سَنتيْه حتى كان غلامًا جفرًا -قويًّا شديدًا- قالت : فقدمنا به على أمّه ، ونحن أحرص شيء على مُكثه ها هنا ؛ لِمَا كنّا نرى مِن بركته. فكلّمنا أمه ، وقلت لها : لو

تركتِ بنيّ عندي حتى يغلظ، فإنّي أخشى عليه مِن وباء مكة. قالت: فلم نزَلْ بها حتى رددْتُه معنا.

العودة إلى مضارب بني سعد، وشقّ الصّدْر

من هم بنو سعد؟

هم: بنو سعد بن بكر، بَطْن مِن هوازن، مِن قيس عيلان، مِن العدنانية. وكانت مضاربهم بقرن الحبال: وهو وادٍ يجيء مِن السراة، ويمتد إلى عرفات.

لقد ظل ﷺ في بني سعد، حتى إذا كانت السّنة الرابعة أو الخامسة مِن مولده، وقع حادث شقّ صدْره.

روى مسلم عن أنس: ((أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل -وهو يلعب مع الغلمان- فأخذه، فصرَعه، فشقّ صدره عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة؛ فقال: هذا حظّ الشيّطان منك. ثم غسَله في طَسْت مِن ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَهُ، ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعَوْن إلى أمه -يعني: ظئره- فقالوا: إنّ محمدًا قد قُتل. فاستقبلوه وهو مُنتقع اللّون)).

وفي ابن إسحاق: ((أنه ﷺ لما جاء إليه أبوه، وضمّه إلى صدره، وقال: أي بُني! ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقَّا صدري، ثم استخرجَا منه شيئًا، فلا أدري ما هو؟ فطرحاه، ثم ردّاه كما كان)).

وقد تكرّر شقّ صدره ﷺ أكثر مِن مرة. فعند نزول جبريل # عليه بالوحي، وعند الإسراء والمعراج. وهناك مَن يضيف رابعة، وتلك عندما بلغ ﷺ مِن العمر عشْر سنين.

وكان لشقّ صدره ﷺ في هذه المراحل مِن عمره حِكَم عظيمة:

المرة الأولى: كان لِنَزْع العلقة السوداء التي هي حظّ الشيطان مِن كلّ بشَر.

المرة الثانية: ليتلقّى ويتهيأ لأمور الرسالة بقلْب قويّ، وهو على أكمل الأحوال وأتمّ الاستعداد.

المرة الثالثة: كانت استعدادًا لما يُلقَى إليه في هذه الليلة المباركة، ليلة التكريم له مِن ربّ العالمين.

وهناك حكم أخرى كثيرة جدًّا تدلّ في مُجملها على عناية الله تعالى بمحمد ﷺ في أطوار عمره، وقبل ميلاده، حيث اختار له النطفةَ الطاهرةَ.

وقد ردَّ بعضهم قصة شقّ الصدر بأمور واهية، لكونها مخالفة للعقل، أو أنّ رواياتها ضعيفة، وغير ذلك؛ وهي كلها ردود غير صحيحة. فشقّ الصدر ثابتة بالسّنّة التي لا نطعن فيها، وهي موافقة للعقل السليم، لكون العقل السليم يعْلم أن الله قادر على كل شيء، وأنّ هذا نبيّه الذي كرّمه وحفظه وأكرمه، وقرّبه وأدناه، ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: وجميع ما ورد مِن شقّ الصدر واستخراج القلب، وغير ذلك مِن الأمور الخارقة للعادة، ممّا يجب التسليم له دون التّعرّض لصَرفه عن حقيقته، لصلاحيّة القدرة؛ فلا يستحيل شيء مِن ذلك.

وقال القرطبي في (المعجم): لا يُلتفت لإنكار الشّقّ ليلة الإسراء والمعراج، لأنّ رواته ثقات مشاهير. إنه مَن صدَّق بالإسراء والمعراج لزِمَه التّصديق بشقّ الصدر الذي ذُكِر استعدادًا لهما.

إخوته مِن الرّضاعة، وحواضنه ﷺ

١. حمزة بن عبد المطلب، عمّه ﷺ سيّد الشهداء؛ وهو رضيع رسول الله ﷺ مِن جهة حليمة، ومِن جهة امرأة أخرى مِن بني سعد كان حمزة مُسترضعًا عندها.

٢. أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، مِن السّابقين الأوّلين إلى الإسلام.

٣. عبد الله بن الحارث، وهو ابن حليمة الذي أرضعت معه رسول الله ﷺ.

٤. الشّيماء، وهي التي كانت تحضن الرسول ﷺ وهي التي قدِمت على الرسول ﷺ بعد معركة حُنيْن، فبسط لها رداءَه لَمَّا عرفها، وأهدى لها.

وهناك أشخاص آخرون ذكرهم أصحاب السيَر كما ذكر بعضهم.

أمّا عدد مرضعاته ﷺ، وهنّ:

أمّه، ثويبة، امرأة مِن بني سعد، خولة بنت المنذر، أمّ أيمن، امرأتان مِن بني سليم، أمّ فروة، حليمة السّعديّة. والمتّفق عليه: أمّه، وثويبة، وحليمة السعدية، والمرأة السّعديّة الأخرى.

أحداثٌ في بني سعد:

١. البركة التي حلّت ببيْت حليمة منذ أن احتضنت وضمّت محمدًا ﷺ إليها. وقد تمثّل ذلك بالأمور المادية التي لاحظتها منذ اللحظات الأولى عندما أخذتْه من أمّه، إلى أنْ ردّته إليها بعدما خافت عليه.

٢. خروجه مع إخوته في رعْي الغنم، ودخوله معهم فيما هم فيه، وعدم الانزواء عنهم، والمشاركة معهم فيما يقومون به مِن عمَل متلائم ومستواهم العمري.

٣. شقّ الصدر الذي كان إعدادًا لمحمد ﷺ وقطعًا لصلة الشيطان به، عندما نُزع منه حظٌّ الشيطان.

٤. تذكُر بعض الروايات أنّ وفدًا مِن النصارى رآه، ورأى ما فيه مِن العلامات الثابتة عندهم.

حواضن الرسول ﷺ:

أمّه آمنة بنت وهب، وثويبة، وحليمة، والشيماء ابنتها التي قدمت على وفد هوازن، كما مرّ معنا.

وكذلك مولاته أمّ أيمن بركة الحبشية، وهي التي زوّجها ﷺ مِن زيد مولاه، فولدت له أسامة. وهي التي دخل عليها أبو بكر وعمر لِتعزيتها في وفاة الرسول ﷺ فوجداها تبكي، فقالا لها: "ما يبكيك؟ فما عند الله خير لنبيّه ﷺ قالت: إني لأعلم ذلك. وإنما أبكي لانقطاع خبَر السماء؛ فهيجتهما على البكاء، فبكيَا".

عودة الرسول ﷺ، ورحلته الأولى إلى الشّام، والأحداث التي شارك فيها الرسول ﷺ قبْل البِعثة

عناصر الدرس

بنو سعد، وإسلام حليمة السعدية، وخاتم النبوة

أولًا: بنو سعد:

بنو سعد: بطن مِن هوازن، مِن قيس بن عيلان مِن العدنانية، وهم حضَنة رسول الله ﷺ وقد قدم وفدهم على رسول الله ﷺ بقيادة ضمام بن ثعلبة السعدي، وهو صاحب الأسئلة المشهورة التي وجّهها إلى رسول الله ﷺ ولِعظم هذه الأسئلة، وما فيها مِن الخير العظيم، أُوردها نصًّا.

عن ابن عباس قال: ((بعثتْ بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا على رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، وثم عقَلَه. ورسول الله ﷺ جالس في المسجد في أصحابه... فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، فقال: أيّكم ابن عبد المطّلب؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب. قال: محمد؟ قال: نعم. قال: أيا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومُغلظ عليك في المسألة؛ فلا تجدنّ في نفسك! قال: لا أجد في نفسي. سَل عمّا بدا لك. قال: أنشُدك الله إلهك، وإله مَن قبْلَك، وإله مَن هو كائن بعدك، آلله أمَرك أنْ تعبده وحده لا تشرك به شيئًا؟ وأنْ تخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدونها معه؟ قال: اللهم نعَمْ. ثم جعَل يذْكر فرائض الإسلام، فريضة فريضة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وسأؤدي هذه الفرائض، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره. فقال رسول الله ﷺ: إنْ يصدُق يَدْخل الجنّة)).

وهذا يدلّ على عظمة الإسلام، ورحمة رب العالمين، وأنّ طريق الجنّة واضحة لَمن هيّأه الله لسلوكها، لا طقوس، ولا فلسفة: جلسة واحدة، أو خلال دقيقة يستطيع الإنسان أنْ يتعلّم مِن الإسلام ما يكون سعيدًا به في الداريْن.

أمّا منازل بني سعد:

فكانت قريبة مِن عرفات؛ فهي تقع في الجهة الجنوبيّة الشرقية لمكّة المكرّمة.

ثانيًا: إسلام حليمة السّعديّة:

أ. القول في إسلام حليمة:

قال ابن كثير ~ : الظاهر: أنّ حليمة لم تُدرك البعثة.

وقال الحافظ بأنّ هذا الكلام مردود، لأنّ عبد الله بن جعفر قال: حدثتني حليمة، وعبد الله إنما وُلِدَ بعد البعثة بمُدّة.

روى ابن سعد، عن محمد بن المنكدر -مرسلًا- قال: استأذنَت امرأة على النبيﷺ قد كانت ترضعه، فلما دخلت عليه قال: ((أمّي! أمّي! وعمد إلى ردائه، فبسطه لها فقعدتْ عليه)). وقد ذكرها في الصحابة جماعة.

قال أبو بكر بن أحمد عن أبي خيثمة في تاريخه -باب الحاء-: حليمة بنت أبي ذؤيب. وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود: حليمة أمّه ﷺ أسلمت، وجاءت إليه، وروَت عنه.

ب- القول في زوجها:

أمّا زوجها: أبو عبد الله الحارث، فلم يذكره كثير ممّن ألّف في الصحابة، وبعض الروايات تقول: بأنه أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ.

وفي الحقيقة، فإنّ مسألة إسلام حليمة وإسلام زوجها محلّ نزاع بين العلماء، وإذ إن الأخبار في ذلك لا تخلو من مطعن، والله تعالى أعلم.

ج- القول في ابنتها:

أما ابنتها الشيماء، فقد أسلمت، وأهداها ﷺ أعبدًا وشاءً، وقد تقدّم.

ثالثًا: خاتَم النبوّة:

روى الإمام البخاري، والإمام مسلم -رحمهما الله تعالى- عن السائب بن يزيد، قال: ((ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ ابن أختي وجِع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضّأ، فشربْت مِن وَضوئه، وقمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتَم النبوة بيْن كتِفيْه مثل زِرّ الحجلة)). [الحجلة: واحدة الحجَال. وهي بيوت تزيّن بالثياب والستور، لها عُرًى وأزرار]. وفي رواية لمسلم: عن جابر بن سمرة، قال: ((رأيت خاتَمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام)).

وفي الحاكِم: شَعَر مجتمع -وقيل: مثل السّلعة- والسّلعة: خُراج في البدن، وقيل: بضعة ناشزة.

وقيل: كشيء يختم به. وقيل: كأثر المحجمة القابضة على اللّحم. وقيل: شامة خضراء، وغير ذلك.

قال بعض العلماء: اختلف أقوال الرواة في خاتَم النبوة، وليس ذلك باختلاف، بل كلٌ شبّه بما في ذهنه، وكلّها ألفاظ مؤدّاها واحد. وهو قطعة لحْم، ومَن قال شعَر: فمُراده: الشّعَر كان حول هذه القطعة.

مكان الخاتَم:

قال السهيلي: الصحيح: أنّ الخاتم، خاتم النبوة عند غضروف كتفه الأيسر. وقيل: بين كتفيْه.

أمّا تاريخ هذا الخاتَم، فثمّ قولان في هذه المسألة:

القول الأول: بأنه وُلِدَ فيه هذا الخاتم.

القول الثاني: أنه كان بعد الولادة.

والأرجح: أنه كان بعد شقّ الصّدر.

وهذا الخاتَم علامة مِن علامات نبوّته ﷺ في الكتب السّابقة، وكما تدلّ على ذلك قصّة بحيرى الراهب؛ فقد تحايل حتى رآه. وسنسرد هذه القصة كاملة -إن شاء الله تعالى- في محلّها.

عودة الرسول ﷺ إلى مكّة، وكفالة أبي طالب للنبي ﷺ

أولًا: عودته إلى مكة:

كانت حادثة شق الصدر السبب المباشر لقيام حليمة برِدّ الرسول ﷺ إلى أمّه، على الرغم مِن محبّتها له وحِرصها على أنْ يظَلّ معها؛ إلاّ أنّ هذه الحادثة غير

العادية أخافتها، فسارعت بردّه إلى أمّه. وقد كان عمره أربع سنين، وقيل: خمْس؛ وذلك سنة ستٍّ مِن عام الفيل.

وبعد هذه العودة المفاجئة، مكث ﷺ في مكّة في رعاية أمّه وجَدِّه عبد المطلب. ولمّا بلغ ﷺ ستَّ سنين، وقيل: سبع سنين، توجّهت به أمه آمنة لزيارة أخوال جدّه مِن بني عديّ بن النجّار، ولزيارة قبر زوجها عبد الله. فخرجت به، وخرجت معها أمّ أيمن بَرَكَة الحبشيّة جارية أبيه. فوصلوا المدينة. وكان مقامهم بدار النابغة مِن بني النجار. ومكثوا شهرًا، ثم عادوا إلى مكة. وفي الطريق مرضت آمنة، وتُوفِّيَتْ بالأبواء، ودُفِنَتْ. وحزن عليها ﷺ حزنًا شديدًا. فوالده قد توفِّي قبل أن يولد، وها هي أمّه تموت، وهو في أمسّ الحاجة إليها. وعادت به بركة مولاته إلى مكة، ليلقاه جدُّه بكل حبٍّ وشفقة وعطف وحنان.

ففي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة، قال: ((زار النبي ﷺ قبْر أمّه، فبكى وأبكى مَن حوْله، ثم قال: استأذنْتُ ربّي في زيارة قبْر أمي فأذِن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلمْ يأذنْ لي؛ فزوروا القبور تذكِّركم الموت)).

ثانيًا: كفالة جدّه له:

وبعد وفاة أمّه، كفلَه جدّه عبد المطلب، ورقّ عليه رِقّة لم يرقّها على أحد مِن أولاده. وكان يُقرّبه منه ويُدنيه، ويدخل عليه إنْ خلا، وإذا نام، ولا يأكل طعامًا إلا قال: "عليَّ بابني"؛ وبذلك عوضه الله تعالى بحنان جدِّه حنان أبويه. وكانت حاضنته بعد وفاة أمّه: أمّ أيمن، وكان ﷺ يعترف لها بذلك، فيقول: ((هي أمّي بعد أمّي)).

ولكن حياة جدِّه أيضًا لم تَطُل، فقد توفِّي وعمُره ﷺ ثماني سنين، وقيل: تسْع، وقيل: عشْر.

ويقال بأنه كان يوصِي ابنه أبا طالب بمحمد ﷺ.

ثالثًا: كفالة أبي طالب للنبي ﷺ:

تولّى أبو طالب كفالة النبي ﷺ بعد وفاة جدِّه، وذلك بناءً على وصيّة مِن أبيه، ولكونه أيضًا كان أخًا شقيقًا لعبد الله، والد رسول الله ﷺ.

وقد حلّت البركة ببيْت أبي طالب، حيث يذكرون أنه كان مُقِلًا مِن المال، وإذا قدّم طعامه إلى بَنيه لم يُجْزهم، إلاّ إذا كان معهم محمد، فإنهم يشبعون ويروون. ولذلك كان أبو طالب يحجزهم عن الأكل أو الشّرب، حتى يتقدّمهم الرسول ﷺ.

وهذا مِن لطف الله تعالى بمحمد ﷺ إذ جعَله محبوبًا عند كلّ أحد، وجعل إشارة ملموسة لدى مِن يكون عنده، ليكون ذلك مدعاة لحُبِّهم له وحِرْصهم عليه وعلى رعايته.

رابعًا: سفرّه مع عمِّه إلى الشام:

لما بلغ رسول الله ﷺ مِن العمر ثلاث عشرة سنة، قرّر أبو طالب الخروج في عِير قريش إلى الشام. فلما تهيّأ للسفر تعلّق به الرسول ﷺ وقال له: إلى مَن تتركني؟ فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنّ به معي! ولا يفارقني أبدًا! فخرج إلى بُصرى مِن الشام. وتعرّف بحيرى الراهب على رسول الله ﷺ بالصّفات المذكورة عندهم، وبما رآه مِن بعض الأمور التي تُعتبر خارقة للعادة.

ونسوق قصة بحيرى كما رواها الترمذي ~ :

روى بسنده عن أبي موسى الأشعري: أنه قال: ((خرج أبو طالب إلى الشّام، ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ مِن قريش. فلمّا أشرفوا على الراهب -يعني: بحيرى- هبطوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال: فنزل وهم يحلّون رحالهم، فجعل يتخلّلهم، حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيّد العالمين، بعَثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ مِن قريش: وما علْمك؟ فقال: إنكم حين أشرفْتم مِن العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجدًا؛ ولا يسجدون إلا لنبي. وإني أعرفه بخاتَم النبوّة أسفل مِن غضروف كتِفه. ثم رجع فصنع لهم طعامًا، فلمّا أتاهم به -وكان هو في رعي الإبل- قال: أرسلوا إليه. فأقبل وغمامة تُظلّه. فلما دنا مِن القوم، قال: انظروا إليه، عليه غمامة. فلما دنا مِن القوم وجدَهم قد سبقوه إلى فيء الشّجرة، فلما جلس مال ظلّ الشجرة إليه. قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: بينما هو قائم عليهم، وهو يَنشدهم ألاّ يذهبوا به إلى الروم، فإنّ الروم إن رأوْه عرفوه بالصّفة، فقتلوه، التفت فإذا هو بسبْعة مِن الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبَلهم. فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأنّ هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس. وإنا أُخبرنا خبَره إلى طريقك هذه. فقال: هل خلْفكم أحد هو خيْر منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيرة بعثنا لطريقك هذا. قال: أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يَقضيَه، هل يستطيع أحد مِن الناس ردَّه. قالوا: لا. قال: فبايَعوه. وأقاموا معه.قال: أَنشُدكم بالله أيّكم وليّه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالًا، وزوَّده الراهب مِن الكعك والزيت)).

قال في (عيون الأثر): ليس في إسناد هذا الحديث إلاّ مَن خرّج له في الصحيح، وقال: ومع ذلك ففي مَتنه نكارة، وهي: إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالًا. فكيف؟ وأبو بكر لم يبلغ العشر سنين. فإنّ النبي ﷺ أسنّ مِن أبي بكر مِن عامين. وأيضًا قال: بلال لم ينتقل لأبي بكر إلاّ بعد ذلك بأكثر مِن ثلاثين عامًا. وقد ضعّف الذهبي هذا الحديث، وقال بعد تصحيح الحاكم له: أظنّه موضوعًا.

ويحمل ما قاله الذهبي في هذا الحديث:

1. عبد الرحمن بن غزوان -وله مناكير- وهو مِن رواة الحديث.
2. وعن المتْن، قال: هذا حديث منكر جدًّا. وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشْر سنين. وأين كان بلال؟ فإنّ أبا بكر لم يشترِه إلاّ بعد المبعث، ولم يكن وُلِدَ بعْدُ. وأيضًا ماذا كان عليه؟ غمامة تُظلّه، كيف يُتصوّر أن يميل فيء الشجرة إليه..؟ ولم نَرَ النبي ﷺ ذكّر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش... إلى غير ذلك مِن الردود على القصة.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر توثيق عبد الرحمن بن غزوان، ثم قال: وله عند الترمذي حديث مِن رواية أبي موسى فيه ألفاظ مُنكَرة. ثم قال معقبًا على ذكْر أبي بكر وبلال بأنّ هذه اللفظة مُدرجة في هذا الحديث، مقتطَعَة مِن حديث آخَر.

وقد حسّن الترمذي الحديث، وصححه الحاكم، والألباني. وقال الدكتور أكرم العمري: إنّ نقد الأئمة مُنصبّ على المتْن، وخاصّة الفقرة الأخيرة مِن الرواية التي تذكر أبا بكر وبلالًا. ويمكن أنْ تطمئنّ النفس إلى إثبات سفرِه ﷺ مع عمّه إلى بصرى، وتحذير الراهب بحيرى لعمّه مِن اليهود والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس برواية ابن إسحاق وغيْره.

وذكر ابن إسحاق: أنّ ثلاثة سماهم مِن رجال الدين النصراني رأوا مِن الرسولﷺ ما رآه بحيرى الراهب منه في سفره ذلك.

حفْظ الله تعالى لرسوله ﷺ مِن أعمال الجاهليّة، ورعيه ﷺ للغنم

أولًا: حفْظ الله تعالى لرسوله ﷺ مِن أعمال الجاهليّة:

تولّى -تبارك وتعالى- حِفْظ نبيّه ﷺ مِن أعمال وأخلاق أهْل الجاهليّة؛ فلم يُعرف عنه أيّ عمل قام به مِن أعمالهم، وحتى وهو في صباه وطفولته.

عن عليّ بن أبي طالب > قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما همَمتُ بقبيح ممّا يَهمّ به أهل الجاهلية، إلا مرّتيْن مِن الدهر؛ كلتاهما عصمني الله ﷻ منهما: قلت ليلة لفتًى كان معي مِن قريش بأعلى مكة في غَنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمُر الليلة بمكة كما يَسمر الفتيان. قال: نعم. فخرجت. فلما جئت أدنى دار مِن دور مكة، سمعت غناءً وصوت دفوف... فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوّج فلانة... فلهوْت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت. فما أيقظني إلا مسّ الشمس. فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرْته. ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك... فقال رسول الله ﷺ: والله ما هممت بغيْرهما بسوء ممّا يعمله أهل الجاهلية، حتى أكرمني الله ﷻ بنبوّته)). قال الهيثمي في (مجمع الزاواوئد): رواه البزار، ورجاله ثقات.

وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسَن متّصل.

وعن أمّ أيمن، قالت: ((كان صنم يُدعَى: "بوانة" تُعظِّمه قريش، وتذهب إليه في أعيادها. فكان أبو طالب يحضره ويكلّم رسول الله ﷺ في الحضور معه، وكان

ﷺ يرفض. وفي سنة مِن السنوات، وفي عيد مِن أعيادهم، طلب وألحّ عليه، وألحّت عليه عمّاته، فقالوا: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدًا، ولا تُكثر لهم جمعًا؟ فلم يزالوا به حتى ذهب معهم. فلما قاربوا الصنم، تمثّل له رجل فقال له: وراءك يا محمد! لا تمسّه!. قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبّأ ﷺ)).

هذا الخبر أخرجه ابن سعد في (الطبقات)، وأبو نعيم في (دلائل النبوة).

وفي بعض الروايات: ((وهو غلام يلْعب مع الغلمان، يأخذون الحجارة يلعبون بها، فوضع إزاره على رقبته لتقيَه الحجارة، قال: إذ لكمني لاكمٌ ما أراه. فقال: شُدَّ عليك إزارك!)). وخالف الرسول ﷺ قومه من أهل الحرم الذين عرفوا بـ"الحُمْس"؛ إذ كان يُفيض مع الناس مِن عرفات حيث كانت الحُمس تُفيض مِن مزدلفة.

وقد أبطل الله بالإسلام هذه العادة -أي: عادة الحُمس الذين يُفيضون مِن مزدلفة مُخالفين للناس- فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] وكان ﷺ يرفض استلام صنم "إساف ونائلة" في الطواف كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

ونأخذ مِن هذه الأخبار الحِكم التالية:

١. فيها دليل على أنّ الرسول ﷺ كان مَصونًا مما يُستقبح مِن أمور الجاهلية قبل البعثة وبعْدها؛ وذلك حماية الله تعالى له.

٢. إنّ مِن الأمور المستَقبَحة عند الله: التّعرّي بحضرة الناس؛ وقد حرّم الإسلام ذلك.

٣. إنّ عصمة الله تعالى لنبيِّه مِن ممارسة أفعال الجاهلية دليلٌ على تهيئة الله تعالى له لأمْر جليل.

ثانيًا: رَعْيُه ﷺ لِلغنَم:

روى البخاري عن أبي هريرة > قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما مِن نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم. كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة))، (صحيح البخاري).

والقيراط: جزء مِن الدينار، أو هو مكان بمكة؛ والأوّل الأرجح. وقد رعاها ﷺ لأهله، كما كان يذهب مع إخوته مِن الرضاعة في غنمهم.

قال ﷺ: ((بُعث موسى وهو يَرعى غَنمًا لأهله، وبُعثْت أنا وأنا أرعى غنمًا لأهلي بجياد)). جياد: مكان معروف بأسفل مكّة.

ومن حِكم رَعْية للغنم:

١. أنه ينبغي للمرء أنْ يعمل، وأنْ لا يكون عاطلًا عن العمل؛ لأنّ العمل شرف. فأشرف الناس: الرسل، كانوا يعملون، يرعَوْن الغنم، ويقومون بكلّ أمورهم.

٢. يؤدي رعْي الغنم إلى زرع الشفقة، والعطف، والصبر، وطول البال. ويُربّي رعْي الغنم على الحرص على المصلحة، ودفع المضرّة، وحُسن التعهّد. قال ﷺ: ((الفخْر والخُيلاء في أهل الإبل، والسَّكينة والوقار في أهْل الغَنم)). أخرجه الإمام أحمد.

٣. يُساعد رعْي الغَنم في الانعزال عن الناس، والتّدبّر في ملكوت الله، والجبال كيف نُصبت، وفي الأرض كيف بُسطت، وفي السماء كيف

رُفعت. قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء: الحِكمة في إلهام الأنبياء رعْي الغنم قبل النبوة: أن يَحصل لهم التّمرّن برعْيها على ما يُكلّفونه مِن القيام بأمْر أمّتهم، ولأنّ بمخالطتها يحصل لهم الحِلم والشّفقة...

حضوره ﷺ لحرب الفِجار، ومشاركته لحِلف الفضول، ومشاركته ﷺ في بناء الكعبة

أولًا: حضوره حرْب الفِجار:

كانت هذه الحرب بين قريش وكنانة مِن جهة، وقيس عيلان مِن جهة أخرى. وسُمِّيت هذه الحرب بحرب الفِجار، لكونها وقعت في البلد الحرام، وفي الأشهر الحُرُم، ولكونها قامت على سبب تافِهٍ لا يعدو قتْل شخص واحد مِن قريش ترتّب عليه قتْل العشرات.

حضر النبي ﷺ هذه الحرب، وعمره أربع عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، وكان ينبل لأعمامه، يجمع لهم النّبل الذي يرمون به.

ثانيًا: مشاركته ﷺ لحِلف الفضول:

روى الإمام أحمد: أنّ رسول الله ﷺ قال: ((شهدْتُ حلْف المُطيّبين -بنو هاشم، بنو زهرة، بنو مخزوم- مع عمومتي، وأنا غلام؛ وما أحبّ أنّ لي حُمر النَّعم، وأنّي أنكثه)).

لقد عقد هذا الحِلف: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، على التّناصر، والأخذ للمظلوم مِن الظالم. وقد كان ذلك في ذي

القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، منصرَف قريش مِن حرب الفِجار. وكان أوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب عمّ الرسول ﷺ.

وكان سببه المباشر: أنّ رجلًا مِن زبيد قدم ببضاعة له، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، فحَبس عنه حقّه، فاشتكاه على بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم، فأبوْا أنْ يُعينوه على العاص. وأوصل أمره إلى باقي بطون قريش، فأقام في الأمر الزبير بن عبد المطلب، ودعا إلى الحِلف؛ فاجتمعت البطون: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، على نصرة المظلوم وأخْذ الحقّ له. فذهبوا إلى العاص، وانتزعوا منه حقّ الزبيدي.

قال ﷺ: ((لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حِلْفًا، لو دُعيت به في الإسلام لأجبْتُ. تحالفوا أن يَرُدّوا الفضول على أهلها، ولا يعزّ ظالم مظلومًا)).

ثالثًا: مشاركته ﷺ في بناء الكعبة:

لّما بلغ الرسول ﷺ خمسًا وثلاثين سَنة، قامت قريش بهدْم الكعبة، لأنها تصدّعت مِن جرّاء السّيول، فقرّروا أنْ لا يجعلوا في ذلك البناء إلا المال الحلال. وقد كان الرسول ﷺ ينقل الحجارة على ظهره. وعندما وصلوا إلى مكان الحَجر اختلفوا فيمن يتولّى شرف وضْع الحجَر، فكادوا يقتتلون لذلك الأمْر، حتى اتّفقوا على أن يحكّموا أوّل داخل، فكان ﷺ هو أوّل داخل. فقالوا: هذا الأمين! أرادوا هنا بالأمين: الرسول ﷺ فقام وطلب منهم -صلى الله عليه وسلم- ثوبًا، فوضع الحجَر على الثوب، وطلب مِن كلِّ قبيلة أنْ تأخذ بطرف الثوب، وأن يرفعوه جميعًا. فلما وصل مكانه، أخذه ﷺ بيده فوضعه في مكانه؛ وبذلك حلّ ﷺ هذه المشكلة التي كادت تكون سببًا في حرب بين قريش، يقتل فيها الأخ أخاه وعمّه، وغير ذلك.

كادت أنْ تحدث ملحمة، إلاّ أنّ الله -تبارك وتعالى- وفّق رسوله ﷺ فحلّ هذه المشكلة بهذا الأمْر.

إذًا، هذه هي أهمّ الأمور التي شارك فيها الرسول ﷺ بنفسه، وكان له دوْر مباشر.

تجارته ﷺ في مال السيدة خديجة بنت خويلد، وزواجه ﷺ مِنها

أولًا: تجارته ﷺ في مال خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد مِن أسد بن عبد العزى امرأة حازمة شريفة لبيبة، مِن أوسط قريش نسبًا، وأعظمهم شرفًا، وأكثرهم مالًا. وكانت تستأجر الرجال مِن مالها، وتُضاربهم عليه بشيء وتجعله لهم. فلما بلغها عن الرسول ﷺ ما اشتهر به مِن الصدق والأمانة، وكرَم الأخلاق، أرسلت إليه، فعرَضت عليه الخروج في تجارتها، وتُعطيه أكثر ما تعطي أحدًا. فوافق ﷺ فخرج وخرج معه غلام لها يُقال له: مَيْسرة. وقد رأى في سفره هذا مع الرسول ﷺ أمورًا، فحكاها إلى خديجة، فرغبت في الزواج منه.

ومِن تلك الأمور التي ذكَرها مَيْسرة لسيّدته:

١. ما قاله الراهب "نسطور" لميسرة، عندما سأله عن بعض الصّفات الخلقية -وعرفها- قال للغلام: لا تُفارقْه، فهو النبي.
٢. كان ميسرة يرى ملَكيْن يُظلاّنه إذا اشتدّت الهاجرة.
٣. بالإضافة إلى ما سمعه ميسرة مِن أحَد رُهبان اليهود عن رسول الله ﷺ.
٤. يُضاف إلى ذلك ما حقّقتْه تجارة خديجة مِن الأرباح.
٥. ويُذكر أنّ خديجة رأت الملَكيْن اللّذيْن يُظلاّنه عند عوْدته إلى مكة.

كلّ هذه الأسباب مجتمعة دعَت خديجة للرّغبة في الزواج منه ﷺ.

ثانيًا: زواجه ﷺ مِن خديجة > :

كانت السيدة خديجة تُدعى: الطّاهرة، وكان ﷺ يُدعى بالأمين. وهذه الصّفات لا توجد إلاّ فيهما، ممّا قارب بينهما، وسهل الزواج، على الرغم مِن الفوارق التي تجعل حدوث مثل هذا غيْر ممكن.

لم تتردد خديجة كثيرًا، فبَعْد عودة الرسول ﷺ بشهريْن، أرسلت إليه صديقة لها تُدعى: نفيسة بنت منبه، تَعرض عليه الزواج، فوافق على ذلك، فتمّ الزواج. كانت خديجة قد تزوّجت قبل الرسول ﷺ مرّتيْن:

الأولى: تزوجت مِن أبي هالة بن زرارة التميمي، وأنجبت منه ولديْن، فولدت له: هند، وهو الذي روى حديث صِفة النبي ﷺ شهد بدرًا، وقيل: أحُد، وروى عنه الحسين بن علي -فكان يقول: حدثني خالي. قُتل يوم الجمَل مع عليّ بن أبي طالب > وولدُها الثاني منه: هالة، وله صحبة. وتوفِّي أبو هالة في الجاهليّة.

الثانية: أما زوجها الثاني، فيُدعى: عتيق بن عائذ المخزومي، وأنجبت منه: هند، وقد أسلمت، وليس لها رواية.

ثالثًا: مراسيم الزواج:

كان عُمُر الرسول ﷺ خمسًا وعشرين، وعمرُها أربعون سنة. وعندما عرضت على الرسول ﷺ الزواج منها وقَبله، ذكر ذلك لأعمامه فخرجوا معه، وخطبوها مِن أبيها خويلد -وقيل مِن عمِّها- وتمّ الزواج بحضور رؤساء مُضر. وأصدقها ﷺ عشرين بكْرة، وقيل: اثنتي عشرة أوقية ذهبًا ونَشًا. وقد خطب أبو طالب في هذا الزواج خُطبة بليغة، بيّن مكانة الرسول ﷺ وأنه سيكون له شأن عظيم، وبيّن أنّ المال ليس كلّ شيء.

ولنا وقفة - إن شاء الله- مع هذه السيدة العظيمة، التي كانت وزيرة، ومواسية للرسول ﷺ في أشدّ الظروف > .

الوحْي والإرهاصات التي سَبقتْه، والدّعوة السِّرِّيَّة لخيْر البريّة

عناصر الدرس

مجمل الأمور التي حدَثت له ﷺ أثناء حمْله، وصباه، وما ذُكِرَ عن أهل الكتاب وكُهّان العرب عند مبعثه ﷺ

أولًا: مجمل الأمور التي حدَثت له ﷺ أثناء حمْله، وصباه:

١. لّما حملت به آمنة، قيل لها: إنكِ قد حملْت بسيِّد هذه الأمّة.

٢. قالت أمّه بأنها لمْ تَشْعر بثِقل حَمْله.

٣. روي أنه ليلة مولده ارتجّ إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة مِن شرفاته، وغاضت بُحيرة طبريّة، وخمدت نار فارس. ورُوي أنه وُلِدَ مختونًا.

٤. ما حصل مِن البركة واليُمن لحليمة السّعدية عندما أخذت الرسول ﷺ لِتُرضعه.

ثانيًا: ما ذُكِرَ عن أهل الكتاب وكُهّان العرب عند مبعثه ﷺ:

قال ابن إسحاق: وكانت الأحبارُ مِن اليهود، والرهبانُ مِن النصارى، والكُهّان مِن العرب، قد تحدّثوا بأمْر رسول الله ﷺ قبْل مبعثه لّما تقارب مِن زمانه.

١ - كُهَّان العرَب:

قال ابن إسحاق: بأنّ كُهّان العرب كانت تأتيهم الشياطين مِن الجنّ، فيما تسترق مِن السمع حين كانت لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم. فلما تقارب مبعث الرسول ﷺ حُجبت الشياطين عن السمع، فرُموا بالنجوم؛ فعَرفت الجنّ أنّ

ذلك لأمْر حدَث مِن أمر الله لعباده. وقد ذكَر القرآن ذلك في سورة (الجن)، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ٩، ١٠].

وأخرج مسلم، من حديث ابن عباس { : "أنه لما قارب مبعث النبي ﷺ رُميت الجنّ بالنجوم، قطعًا لمرصد كهانة العرب في الجاهليّة".

وفي قصة سواد بن قارب -الكاهن- مع عمر بن الخطاب، قال سواد: "إنّ الشياطين قد سكتت ذليلة مغلوبة قُبيْل مبعث النبي ﷺ".

وهناك قصص أخرى تجنّبتُ ذكرها، خوفًا مِن الإطالة.

٢ـ أهل الكتاب:

تقدّمت قصة بحيرى الراهب، ونسطور، وأحبار اليهود، مع ميسرة غلام خديجة > .

ونشير إلى بعض الأمور الأخرى التي كان يتحدّث بها أهل الكتاب قبْل البعثة، ولِمَا يَعلمونه مِن أمْر رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

وكان مِن أسباب مبادرة مجموعة الأنصار، وهم الذين دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام: ما كانوا يسمعونه مِن اليهود عن نبيِّ آخِرِ الزّمان.

وكان مِن أسباب إسلام ثعلبة، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد: ما سمعوه مِن حَبْر مِن أحبار اليهود قدِم إليهم المدينة، يُدعى: ابن العثيبان، وكان رجلًا صالحًا

منهم. فلما حضرته الوفاة قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني مِن أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: إنك أعْلم. قال: إنما قدمت هذه البلدة أتوكّف -أتوقع- خروج نبيّ قد أظل زمانه. وهذه البلدة مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعث فأتْبعه. وقد أظلّكم زمانه، فلا تُسبقنّ إليه يا معشر يهود؛ فإنه يُبعث بسفْك الدماء، وسبْي الذّراري والنساء ممّن خالفه، فلا يمنعنّكم ذلك منه.

وعندما حاصر ﷺ بني قريظة لخيانتهم، خرج هؤلاء الثلاثة فأسلموا.

وقصّة سلمان الفارسي وبحْثه عن الدِّين الصحيح، إلى أنْ جاء بالمدينة، واستقرّ بها، إلى أن جاء ﷺ مهاجرًا إليها، وتأكّد مِن الأمارات التي كانت عنده في نبيّ آخِر الزمان، وأعلن إسلامه.

وكذلك قصة ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وخروجهما مِن مكة بحثًا عن الدِّين، حتى وصلا إلى راهب بالموصل الذي قال لهم: إنّ الذي تبحثون عنه يوشك أنْ يظهر بأرضكم.

وقصة إسلام زيد بن سنعة -الحَبر اليهودي- حيث يُروى عنه، أنه قال: لم يبق مِن علامات النبوّة شيء إلاّ وقد عرفْتها في وجْه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتيْن لم أخبرهما منه: يسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيده شدّةُ الجهل عليه إلا حِلمًا. فخالط رسولَ الله ﷺ حتى تأكّد مِن هاتيْن الخصلتيْن، فأسلم.

وقصة هرقل مع أبي سفيان، حيث قال لأبي سفيان: فإنْ كان ما تقول حقًّا، فسيملك موْضع قدميّ هاتيْن.

حِكمٌ وعِبر:

وخلاصة القول: أنّ علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون الرسول ﷺ قبل مبعثه، ممّا يجدونه مِن أوصافه وزمان خروجه في التوراة والإنجيل؛ وقد سجّل القرآن ذلك. وقد أسلم بعض اليهود، وفي مقدّمتهم: عبد الله بن سلام، وبعض النصارى وفي مقدمتهم: النجاشي ملِك الحبشة. وأوشك هرقل والمقوقس على الإسلام، ولكنّ المنصب والمصالح، وما قدّره الله عليهما، كان وراء عدَم إسلامهم.

تحنُّثه ﷺ وسلام الحجَر والشّجر عليه، نزول الوحي على رسول الله ﷺ

أولًا: تحنُّثه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ ينفرد إلى نفسه متقرِّبًا إلى الله تعالى في غار حراء -وهو في أعلى قمّة جبل- يتأمّل ويتدبّر في ملكوت الله تعالى، ويعبد الله على ملّة إبراهيم # وقيل: على شرع نوح # وقيل: موسى # وقيل: عيسى # وقيل: كل ما ثبت عنده أنه شرْع. ورجّح بعضهم: كونه على شرْع إبراهيم # .

وكان ﷺ لما قارب الأربعين، يُجاور هذا الغار شهرًا كاملًا مِن كل سنة، يُطعم مَن جاءه مِن المساكين. فإذا قضى جواره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف: الكعبة، قبْل أنْ يدخل بيته؛ فيطوف بها ثم يذهب إلى بيته.

وكانت السيدة خديجة > ترعاه وتزوره في جواره هذا، وتمدّه بما يحتاج إليه.

وقد ذكر ابن أبي جمرة: بأن هذا الغار له فضْل، مِن جهة أنه مُنزوٍ ومجموع لتحنّثه، وهو يبصر بيْت ربه؛ والنظر إلى البيت عبادة؛ فكان له في اجتماع ثلاث عبادات: الخُلوة، والتّحنث، والنظر إلى البيْت.

ثانيًا: سلام الحَجَر والشّجر عليه ﷺ:

١. عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنِّي لأعرف حَجَرًا بمكة كان يُسلّم عليَّ قبْل أنْ أُبْعَث. إنّي لأعرفه الآن)).

٢. وعن عليّ بن أبي طالب، قال: ((كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها... فلمْ يمرّ بشجر ولا حَجَر إلاّ قال: السّلام عليك يا رسول الله!)).

٣. عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لمّا كانت ليالي بُعثتُ، ما مررْتُ بِشجر ولا حَجَر إلاّ قال: السّلام عليك يا رسول الله!)).

٤. قال ﷺ لخديجة: ((إنّي أرى ضوءًا، أو أسمع صوتًا، وإنّي أخشى أنْ يكون بي جَنَن)).

ثالثًا: نزول الوحي على رسول الله ﷺ:

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة وأربعين يومًا، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهريْن، في يوم الاثنين السابع عشر مِن رمضان، وقيل: لسبْع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة خلتْ منه، وقيل: الحادي والعشرون منه، وقال ابن عبد البر: يوم

الاثنين لثمانٍ مِن ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين مِن الفيل، بعثه الله رحمة للعالمين، ورسولًا إلى كافّة الثّقليْن أجمعين.

عن عائشة < قالت: ((أوَّل ما بُدئَ به رسول الله ﷺ مِن الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثْل فلَق الصّبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء يتحنّث فيه -وهو التعبّد- اللّيالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثم يخرج إلى خديجة فيتزوّد لِمْثْلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء؛ فجاءه الملَك فقال: اقرأ! قال: ما أنا بقارئ. قال فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ! قلتُ: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد. ثم أرسلني، قال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثالثة. ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق: ١- ٣].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجُف فؤادُه. فدخل على خديجة بنت خويلد < فقال: زمّلوني! زمّلوني! فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع. فقال لخديجة وأخبَرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلاًّ! والله ما يخزيك الله أبدًا! إنك لتَصل الرَّحم، وتحمل الكَلّ، وتُكسب المعدوم، وتقري الضّيف، وتُعين على نوائب الحق.

فانطلقت خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل -ابن عمّ خديجة- وكان امرًا قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانيّ، فيكتب مِن الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أنْ يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمي. فقالت له خديجة: يا ابن عمٍّ، اسمع مِن ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ خبَر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى. يا ليتني فيها

جذعًا! ليتني أكون حيًّا، إذ يُخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قَط بمثل ما جئتَ به إلا عُوديَ. وإن يُدركْني يومُك أنصُرْك نصرًا مؤزرًا. ثم لمْ ينشب ورقة أنْ تُوفِّي، وفتَر الوحي)). هذا الحديث متفق عليه، وهي أعلى درجة الصحة.

فوائد من هذا الحديث:

١. السّر في الخلوة: فراغ القلب لما يتوجّه له.

٢. فلَق الصّبح: ضياؤه، وبُدِئ بالرؤيا الصادقة ليكون ذلك توطئة لليقظة، ثم مهّد له في اليقظة رؤية الضوء.

٣. يتحنّث: يتّبع الحنيفيّة، وهي: دين إبراهيم # .

٤. الليالي ذوات العدد، المراد بها: ما جاء مصرّحًا به في رواية ابن إسحاق: أنه شهر رمضان مِن كل سنة.

٥. حتى جاءه الحقّ: أي الأمْر الحقّ مِن عند الله تعالى.

٦. قوله: ((ما أنا بقارئ)): أي لا أُحْسن القراءة.

٧. قوله: ((فغطّني)): ضمّني وعصرني. والغطّ: حبْس النفَس.

٨. قوله: ((حتّى بلَغ منِّي الجهْد)): أي: بلغ التّعب مبلَغه.

٩. فرجع بها: بالآيات وبالعصمة.

١٠. قوله ((فزمّلوه)): لفّوه بغطاء. والروع: الفزع. قوله: ((لقد خشيتُ علَى نفْسي)): اختلف العلماء في معنى هذه الخشْية على اثنَي عشر

قولًا ؛ قاله : الحافظ ابن حجر - واختار مِن هذه الأقوال : أنّ الخشية هنا : الموت مِن شدّة الرّعب.

11. استدلت خديجة بمكارم أخلاقه ﷺ أنّ الله لن يضيعه.
12. الناموس : صاحب السِّرّ، والمراد به هنا : جبريل # .
13. ومِن الفوائد التي ذكرها الحافظ ابن حجر ~ : جمْعه بيْن الأحاديث المتعلِّقة ببداية بعْثه ﷺ فقال بأنّ مدّة الرؤيا كانت ستّة أشهر ، وابتداء وحي اليقظة كان في شهر رمضان.

بعض الروايات المتعلِّقة ببداية الوحي، وورقة بن نوفل، هل أسْلم؟ وأوَّل ما نزل مِن القرآن الكريم

أولًا : بعض الروايات المتعلِّقة ببداية الوحي :

وردت ألفاظ خارج حديث عائشة أمّ المؤمنين > مِن هذه الألفاظ: قوله ﷺ : ((فاجأنِي جبريل وأنا نائم)).

وفي حديث آخر : ((فأتاني وأنا نائم)). وفي آخره : ((فهَبَبْتُ مِن نومي، فكأنّما كُتِبَت في قلْبي كَتْبًا)).

قال السهيلي : وقد يُمكن الجمْع بين هذه الأحاديث : بأنّ النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبْل أن يأتيَه يقظة ، توطئة وتيسيرًا عليه ورفقًا به ، لأنّ أمْر النّبوّة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشَر ضعيف.

وذكر ابن كثير بأنّ هذا جاء مصرّحًا به في مغازي موسى بن عقبة، عن الزهري: أنه رأى ذلك في المنام، ثم جاء الملَك في اليقظة.

تثبّت خديجة مِن الوحي:

طلبت خديجة مِن الرسول ﷺ إذا جاءه صاحبه، أنْ يخبرها. فلما جاء جبريل، قال لخديجة: ((هذا جبريل جاءني)). فتذْكر الرواية أنها ألقتْ خمارها عن رأسها- ثم قالت للرسول ﷺ: ((هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عمّ: اثبت! وأبْشر! فوالله إنه لملَك، وما هذا بشيطان!)).

ثانيًا: ورقة بن نوفل، هل أسْلم؟

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى: ابن عمّ خديجة بنت خويلد. روى الإمام أحمد عن عائشة -أمّ المؤمنين-: أنّ خديجة أمّ المؤمنين } سألت النبي ﷺ عن ورقة بن نوفل. فقال: ((قد رأيتُه، فرأيت عليه ثيابًا بيضًا؛ فأحسبه لو كان مِن أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض)).

وروى الحافظ أبو يعلى، عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: ((قد رأيتُه، فرأيت عليه ثيابًا بياضًا. أبصرته في بطنان الجنة، وعليه السّندس)).

وفي رواية للبزار: ((لا تسبّوا ورقة! فإنّي رأيت له جنّة أو جنّتيْن)). وقال عنه ﷺ: ((يُبعث يوم القيامة أمّة وحْده)).

وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في "الإصابة"، وذكر الخلاف في إسلامه، والله أعلم.

ثالثًا: أوّل ما نزل مِن القرآن الكريم:

كان بداية نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يوم الاثنين. لّما سئل رسول الله ﷺ عن صيام الاثنين، قال: ((ذلك يوم وُلدتُ فيه، ويوم أُنزل عليَّ فيه)).

وكان أوّل ما نزل عليه: قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

وروى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((أُنزِلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة مِن رمضان. وأُنزلت التوراة لستٍّ مَضيْن مِن رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلتْ منه. وأنزل القرآن لأربعٍ وعشرين خلتْ مِن رمضان)). ولهذا قال بعض الصحابة بأنّ ليلة القدْر: ليلة الرابع والعشرين مِن رمضان.

ورُوي عن جابر بن عبد الله: أنّ أوّل ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] وقال الشيخ الألباني ~ : واللائق: حمْل كلامه على أنّ المراد به: أوّل ما نزل بعْد فتور الوحي.

مراتب الوحي، وشقّ صدره ﷺ وفتور الوحي

أولًا: مراتب الوحي:

قال ابن القيم في "الزاد": وكمّل الله له مِن مراتب الوحي مراتب عديدة:

الأولى: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحْيه ﷺ؛ فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثْل فلَق الصّبح.

الثانية: ما كان يُلقيه في روعه وقلبه مِن غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: ((إنّ روح القُدس نفث في روعي: أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب! ولا يحملنّكم استبطاء الرزق على أنْ تطلبوه بمعصية الله؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته)).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثّل له الملَك رجلًا، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له. وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا، "حديث جبريل".

الرابعة: كان يأتيه مثْل صلصلة الجرَس، وكان أشدّه عليه، فيتلبّس به الملَك، حتى أنّ جبينه ليتفصّد عرقًا في اليوم الشديد البرْد، وحتى أنّ راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبًا لها.

الخامسة: أنْ يرى الملَك على الصورة التي خلَقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أنْ يوحيَه، وهذا وقَع له مرّتيْن.

السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج، مِن فرْض الصلاة وغيْرها.

السابعة: كلام الله منه إليه بلا واسطة، كما كلّم الله موسى # كما جاء في القرآن الكريم.

الثامنة: ذكر بعضهم هذه المرتبة، وهي تكليم الله له كفاحًا مِن غير حجاب، وهي مذهب مَن يقول بأنّ الرسول ﷺ رأى ربّه -تبارك وتعالى- ليلة المعراج.

وأضاف بعضهم مرتبة أخرى، وهي: العلْم الذي يُلقيه الله تعالى في قلْبه عند الاجتهاد.

ثانيًا: شقّ صدره ﷺ:

وذكَر موسى بن عقبة في (مغازيه): أنّ رسول الله ﷺ قال لخديجة: ((أنّه رأى بطْنَه شُقّ، ثم طُهّر وغُسل، ثم أُعيد كما كان. قالت: هذا والله خيْرٌ، فأبْشِرْ!)).

وذكَر أبو نعيم: أنّ جبريل وميكائيل شقّا صدره.

قال الذهبي: يحتمل أن يكون أخبرهما بما تمّ له في صِغره. ويحتمل أن يكون شُقّ مرّة أخرى، ثم شُقّ مرّة ثالثة حين عُرج به إلى السماء.

والحِكمة في شقّ صدْره: ليتلقّى ما يُوحَى إليه بقلب قويّ في أكمل الأحوال مِن التّطهير.

ثالثًا: فتور الوحي:

والمراد بفتور الوحي: تأخّره فترة مِن الزمان؛ وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يَجِده # مِن الرّوع، وليحصل له التّشوّق إلى العوْد.

واختلف في المدة؛ فذكر ابن إسحاق: أنها كانت ثلاث سنين، وقد عضد هذا الرأي ما ذكره الإمام أحمد في (التاريخ)، ويعقوب بن سفيان النسوي، عن الشعبي: ((أُنزلت عليه النبوة، وهو ابن أربعين سنة؛ فقرن بنبوّته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلّمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه. فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة)). وقد ذكر هذا ابن سعد، والبيهقي.

وقيل: خمسة عشر يومًا. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: أربعون يومًا. وقيل: سنتان ونصف. ولا يُعلم بالتّحديد كم دام هذا الانقطاع، ولكن يبدو أنه لم يَدُم طويلًا.

وقد أنكر الواقدي -وهو متخصّص- مسألة اقتران إسرافيل بالرسول ﷺ حيث قال: لم يُقرن به إلاّ جبريل مِن حين أنزل عليه الوحي إلى أن قُبض ﷺ.

وعن عائشة أمّ المؤمنين > قالت: ((وفتَر الوحي فترة حتى حزن الرسول ﷺ حزنًا شديدًا، وغدا مرارًا كي يتردَّى مِن شواهق الجبال. وكلما أدنى بذروة ليُلقِي نفسه، تبدّى له جبريل # فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًّا. فيَسكن لذلك جأشه، وتقرّ نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي غدَا لِمثْل ذلك، فإذا أدنى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال مثل ذلك)). الحديث أخرجه الإمام أحمد والإمام البخاري.

وقد ضعّف الشيخ الألباني ~ مسألة محاولة النبي ﷺ التّردّي مِن رءوس الجبال، كما ضعّفها مِن قبل الحافظ ابن حجر، لأنّها بلاغات الزهري.

وبعد هذه الفترة مِن الانقطاع، نزل عليه الوحي مرّة أخرى. فيقول ﷺ: ((بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا مِن السماء، فرفعت بصري، فإذا الملَك الذي جاءني بحِراء جالس على كرسي بيْن السماء والأرض، فرعبت منه. فرجعت فقلت: زمّلوني! ؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١- ٥] فحَمِي الوحي وتواتر)). (صحيح البخاري).

مراتب الدعوة والدعوة السرية والرعيل الأول من المؤمنين بالدعوة

أولًا: مراتب الدّعوة:

ذكر ابن القيم ~ خمْس مراتب للدّعوة إلى الله تعالى:

١. النبوّة.
٢. إنذار عشيرته الأقربين.
٣. إنذار قومه: قريش.
٤. إنذار قوم ما أتاهم مِن نذيرٍ مِن قبْله، وهم: العرب قاطبة.
٥. إنذار جميع مَن بلغتْه دعوته مِن الجنّ والإنس إلى آخر الدهر.

أما مراحل الدّعوة التي مرّت به في حياته ﷺ فهي أربع مراحل:

المرحلة الأولى: الدّعوة السِّرِّيَّة، واستمرت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية: الدّعوة جهرًا، والكفّ عن القتال، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدّعوة جهرًا مع قتال المبتدِئين بالقتال، واستمرّت إلى صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدّعوة جهرًا مع قتال كلّ مَن يقف في سبيل الدّعوة.

ثانيًا: الدّعوة السِّرِّيَّة:

ويذكر أصحاب السِّيَر أنّ الدعوة السِّرية استمرت ثلاث سنوات.

قال ابن إسحاق: وكان بيْن ما أخفى رسول الله ﷺ أمْره واستتر به إلى أن أمَره الله تعالى بإظهار دينه: ثلاث سنين مِن مبعثه.

ومما يدلّ على ذلك أيضًا: ما جاء في إسلام عمرو بن عَبَسة > حيث قال: أتيت رسول الله ﷺ في أوّل ما بُعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخْفٍ.

وقد بدأ ﷺ الدعوة إلى التوحيد، ونبذِ كلِّ مظاهر الشِّرك. وكان تحرّكه في هذه الفترة في الوسط الذي تربطه به صلات مثل: زوجته، وبناته، ومولاه، وربيبه، وأصدقائه، وكلّ مَن يطمئنّ إلى أنه يكتم السِّرّ.

وكان مِن أوائل مَن دخلوا في الإسلام، مَن توفرت فيه الشروط السابقة: وهم الرعيل الذين كان لهم دوْر كبير فيما بعْد في مسيرة الأمّة الإسلامية، وترسيخ الدِّين في النفوس، والذّود عنه بكلِّ غالٍ ونفيس، وهم من هم؟ هم تربية الرسول ﷺ.

ثالثًا: الرَّعيل الأوّل:

١. خديجة بنت خويلد، سيدة نساء الجنَّة:

قال ابن الأثير ~ : خديجة أوّل خلْق الله أسلَم، بإجماع المسلمين؛ لم يتقدّمْها رجل ولا امرأة.

قال الزهري: كانت خديجة أوّل مَن آمن بالله، وقامت بأعباء الصّديقة. قال لهاﷺ: ((خشيتُ على نفسي؛ فقالت: أبشِرْ، فوالله لا يُخزيك الله أبدًا)). ثم استدلّت بما فيه مِن الصِّفات والأخلاق والشِّيم على أنّ من كان كذلك لا يُخزَى أبدًا.

٢- الصِّدِّيق، على خلافٍ بيْنه وبيْن عليّ } :

كان أوّل ذكَر آمن -على قول ابن عباس } مِن بعْد خديجة صدِّيق الأمّة، وأسبقها إلى الإسلام: أبو بكر الصِّدِّيق؛ فآزر رسول اللهﷺ.

قال حسّان بن ثابت < :

إذا تذكرتَ شجوى مِن أخي ثقةٍ ❖ فاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلاَ

خير البريّة أتقاها وأعْدلها ❖ بعد النّبيِّ وأوفاها بما حملاَ

والثاني التالي المحمود مشهده ❖ وأوّل الناس قدمًا صدّق الرُّسلاَ

٣- عليّ بن أبي طالب < :

ربيب رسول الله ﷺ وابن عمِّه، وزوج بنته السيدة: فاطمة الزهراء. قيل: بأنه ثاني مَن أسلم. وكان إسلامه بعد خديجة. وكان سنُّه إذ ذاك عشْر سنين، وممّا يُنسب إليه، قوله:

سبَقتكمُ إلى الإسلام طرًا ❖ صغيرًا ما بلغت أوان حُلمي

وقد قال بهذا: سلمان الفارسي، وأبو داود، والمقداد بن عمر، وجابر، وأبو سعيد الخدري } .

٤- زيد بن حارثة:

هو أوّل مَن أسلم مِن الموالي، وهو مولى رسول الله ﷺ بل كان يُدعى: زيد بن محمد، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] فهو حِبّ رسول الله ﷺ، أُسِرَ في الجاهلية فاشتراه حكيم لعمَّته خديجة، فوهبتْه للرسول ﷺ.

قال ابن الصلاح: والأورع أنْ يُقال: أوّل مَن أسلم مِن الرجال الأحرار: أبو بكر، ومِن الصبيان: عليّ، ومِن النساء: خديجة، ومِن الموالي: زيْد، ومن العبيد: بلال.

ثم أسلم بعد ذلك، بدعوة أبي بكر الصديق < :

١. عثمان بن عفان -ذو النوريْن- أمير المؤمنين.

٢. الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي -وهو ابن اثنتي عشرة سنة- كان عمّه يعلِّقه ويدخِّن بالنار ويقول: ارجع!، فيقول: لا أكفر أبدًا.

٣. عبد الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشَّرين بالجنّة، والثمانية السابقين إلى الإسلام، والستة أصحاب الشورى.

٤. سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة، وآخرهم موتًا، وأحد الستة والثمانية، وهو أحد القادة الفاتحين.

٥. طلحة بن عبيد الله، أحد العشرة، والثمانية، والستة.

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي، وأخواه: قدامة، وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

وأوّل امرأة أسلمت بعد خديجة: أمّ الفضل زوج العباس، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وفاطمة بنت الخطاب. ودخل الناس بعد ذلك أرسالًا مِن الرجال والنساء.

بداية الجهر بالدّعوة إلى الله تعالى، وأساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى

عناصر الدرس

الجهر بالدعوة، موقف قريش من دعوته ﷺ

أولًا: الجهر بالدَّعوة:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يَصْدع بما جاء به مِن الدّعوة إلى الإسلام، ونبْذ كلِّ المعبودات مِن دون الله.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

قال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة.

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: ((ما زال النبي ﷺ مُستخفيًا حتى نزلت: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾؛ فجهر هو وأصحابه)).

والصَّدْع: أصله: الإبانة والتّمييز والظهور. والإعراض عن المشركين: الكفّ عن قتالهم.

وأمره الله تعالى: أنْ يبدأ بعشيرته الأقربين: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ثانيًا: موقف قريش مِن دعوته ﷺ:

عن ابن عباس } قال: ((لمّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، صعد النبي ﷺ على الصَّفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عديّ، لبطون قريش، حتى اجتمعوا. فجعل الرجل إذا لمْ يستطع أنْ يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب، وقريش. فقال ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلًا بالوادي تريد

أن تُغير عليكم؛ أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم. ما جرّبنا عليك إلا صدقًا. قال: فإني نذير لكم بين يديْ عذاب شديد. فقال: أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، أَلِهذا جمعْتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢]))، صحيح البخاري.

وعن أبي هريرة > قال: ((قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم مِن الله شيئًا، يا بني عبد مناف، لا أُغني عنكم مِن الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أُغني عنك مِن الله شيئًا، يا صفيّة عمة رسول الله ﷺ لا أُغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا))، (صحيح البخاري).

وقفات مع الحديث:

١. قرّر ﷺ قريش عن صِدقه، فاعترفوا كلّهم بصدقه؛ فهو الأمين الصادق. فلماذا تناقضوا عندما دعاهم إلى الإسلام إلى توحيد الله تعالى، وترْك عبادة الأصنام؟!

٢. وفي القصة ذِكره لفاطمة، -وفي بعض طُرقها-: ((يا عائشة بنت أبي بكر، يا حفصة بنت عمر، يا أمّ سلمة)).

وفاطمة لم تكن في ذلك الوقت في سنّ تخاطَب بمثلها، وكذلك لم تكن عائشة، ولا حفصة، ولا أمّ سلمة مِن زوجات الرسول ﷺ في ذلك التاريخ. قال بعض العلماء بتعدّد قصّة الجمْع.

فالأُولى: كانت عندما أمَرَ الله تعالى بالدعوة جهرًا.

والثانية: جمعهم بعد ذلك في المدينة، وحضر هذا الجمْع: أبو هريرة، وابن عباس؛ وذلك لما نزل: "ورهطك منهم المخلصين".

قال القرطبي: لعلّ هذه الزيادة كانت قرآنًا، ثم نُسخت تلاوتها.

٣. الإنسان ملْك لله تعالى، فإذا أطاعه واتّبع رسوله فقد اشترى نفسه منه، وذلك بتخليصها مِن النار؛ وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: ((اشتروا أنفسَكم مِن الله)).

موقف بني عبد المطلب من دعوته ﷺ، وأبو لهب، وموقفه من الرسول ﷺ

أولًا: موقف بني عبد المطلب من دعوته ﷺ:

روى الإمام أحمد، عن عليّ بن أبي طالب قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، جمَع النبي ﷺ أهل بيْته؛ فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا. فقال لهم: مَن يَضمن عنِّي ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنّة، ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحرًا. من يقوم بهذا؟ فعرض ذلك على أهل بيته. فقال علي: أنا)).

وذكر البلاذري: أنّ رسول الله ﷺ قال في هذا الاجتماع: ((الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكّل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. ثم قال: إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتُكم، ولو غررت الناس ما غررْتُكم. والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة. والله لتموتنّ كما تنامون، ولتُبعثنّ كما تستيقظون،

ولتحاسبنّ بما تعملون، ولتجزونّ بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا؛ وإنها لجنّة أبدًا أو نار أبدًا. وإنكم لأوّل مَن أنذر، ومثلي ومثلكم كمثَل رجل رأى العدوّ فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه، فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك، ومرافدتك، وأقبلنا لنصحك، وأشدّ تصديقًا لحديثك! وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون. وإنما أنا أحدهم، غير أني والله أسرعهم إلى ما تحبّ. فامْضِ لما أُمِرتَ به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنّي لا أجد نفسي تطوع إلى فراق دين عبد المطّلب. وتكلّم القوم كلامًا ليّنًا، غير أبي لهب، فإنه قال: يا بني عبد المطلب، هذه والله السوءة. خذوا على يديْه، قبل أن يأخذ على يديه غيركم. فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم، وإن منعتموه قُتلتم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنّه ما بقينا. ثم قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابًا مِن العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم؛ فإني قد جئتُكم بأمْر الدنيا والآخرة)).

وبعد هاتيْن المواجهتيْن: العامة -مع كافة قريش- والخاصة مع بني هاشم وبني المطلب، بدأت المفاصلة بين حزب الإيمان وحزب الشيطان. فالرسول ﷺ بدأ بتنفيذ الأمر الإلهي، ويجهر بالدعوة إلى الله تعالى.

قال ابن إسحاق: فلما بدأ رسول الله ﷺ قومه، وصدع بالإسلام، لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه، حتى عاب آلهتهم، فأعظموه، وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته؛ فحدب عليه عمه أبو طالب، وأكثرت قريش ذكْر رسول الله ﷺ وحضّ بعضهم بعضًا عليه.

قال في (المواهب): فلم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها؛ وكان ذلك سنة أربع. وكان عدد رجال بني عبد المطلب الذين حضروا هذه الدعوة أكثر مِن أربعين بقليل.

ثانيًا: أبو لهب وموقفه مِن الرسول ﷺ:

كان أبو لهب حالة شاذّة في المجتمعات القبليّة العربيّة؛ إذ كانت العصبية هي التي تحرِّكهم.

لكن أبا لهب وقف أمام الرسول ﷺ ودعوته، ولعلّه أوّل مَن تلفّظ بكلمة إساءة في وجه الرسول ﷺ لأنه لما انتهى ﷺ مِن توجيه الخطاب لكافّة بطون قريش، لم يُجب على كلامه إلا أبو لهب. إذ قال له "تبًّا لك، ألهذا جمعْتَنا؟"، فأنزل الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ١- ٥].

ولّما نزلت هذه السورة، جاءت العوراء -أم جميل، حمالة الحطب- فقال أبو بكر: ((يا رسول الله، لو تنحَّيْت عنها؛ فإنها امرأة بذيئة اللسان. قال سيُحال بيني وبينها. فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك. قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله. فاندفعت راجعة. فقال: أبو بكر: يا رسول الله ما رأتك. قال: كان بيني وبينها ملَك سترني بجناحه حتى ذهبت)). وفي بعض الروايات: أنها جاءت مُوَلْوِلة تقول: مذمَّمًا أبيْنا، ودينَه قليْنا، وأمره عصيْنا.

وهي تريد رسول الله ﷺ فقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

وعن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: ((انظروا قريشًا كيف يَصْرف الله عني شتمهم ولعْنهم. يشتمون مذمَّمًا، ويلعنون مذمَّمًا، وأنا محمد))، (صحيح البخاري).

الصلاة قبل الإسراء والمعراج

صلاة المسلمين في بداية الإسلام:

ذُكِرَ: ((أنّ جبريل # ضرب الأرض فنبع الماء، فتوضّأ أمام الرسول ﷺ فتوضأ ﷺ كما رأى. ثم صلّى ركعتيْن. فصلّى رسول الله ﷺ ثم علّم ﷺ خديجة الوضوء والصلاة، فكانا يصلّيان)).

قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلَّوا ذهبوا في الشِّعاب، واستخفَوْا بصلاتهم مِن قومهم.

وقد وقف أبو طالب على رسول الله ﷺ وعليّ في الشعاب يصلّيان، فقال: يا ابن أخي، ما هذا الذي أراك تَدِين به. قال ﷺ: ((أي عمّ، هذا دين الله ودين رُسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولًا إلى العباد)).

وقد وقعت في الشّعاب معركة بين سعد بن أبي وقاص وبعض قريش. رأوه وبعض المسلمين يصلّون، فضرب أحدهم بلحْي بعير، فسال دمه؛ فكان أوّل دم أهرق في الإسلام.

وعن عائشة > قالت: ((افتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أوَّل ما افتُرضت عليه: ركعتيْن ركعتيْن، كلّ صلاة. ثم إنّ الله تعالى أتمّها في الحضَر أربعًا، وأقرّها في السفر على فرْضها الأول ركعتيْن)).

وذكر بعض العلماء: أنّ الصلاة كانت قبل الإسراء، وفرض الصلاة كانت: صلاة قبل طلوع الشمس، وأخرى بعد الغروب.

الأسلوب الأوّل من أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى وهو: محاولة التأثير على أبي طالب عم الرسول ﷺ

المحاولة الأولى: تقدّم أنّ أبا طالب أعلن موقفه مِن دعوة الرسول ﷺ أمام بني المطّلب؛ وهذا الموقف يتلخص في أمريْن اثنيْن:

الأمْر الأوّل: الالتزام التام بحماية الرسول ﷺ مهما كلّفه ذلك مِن أمر.

الأمْر الثاني: يعلم علْم اليقين: أنّ ما جاء به محمد ﷺ حقٌّ، إلاّ أنه لِمكانته مِن قومه، لا يريد أنْ يترك دين آبائه، وأنْ يُسفِّه ما كان يفعل عبد المطّلب. فالهداية مِن الله تعالى. -اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم- ونظرًا لمكانة أبي طالب في قريش عامة، وبني هاشم خاصة، بدأت قريش تُحاوره مِن أجل التّخلّي عن حماية الرسول ﷺ وأنْ يَترك الأمْر لهم، وقد تذرّعوا بعدّة حُجج، وقدّموا عدّة عروض.

ويُمكن أنْ نُجمل أهمّ الأمور التي كانت تَحملها قريش في مفاوضتها مع أبي طالب في النّقاط التالية:

١. مشى رجال مِن أشرافهم إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا. فإمّا أن تَكفّه، وإمّا أنْ تخلّي بيننا وبينه. فإنك على مثْل ما نحن عليه مِن خلافه، فنكفيكَه. فقال لهم أبو طالب قولًا رقيقًا، وردًّا جميلًا.

٢. قريش تُعاود الكَرّة مرة ثانية. جاء الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنًّا، وإن لك شرفًا ومنزلة فينا. وإنا قد استنْهيْناك مِن ابن

أخيك، فلمْ تَنْهَه عنا. وإنّا والله لا نَصبر على هذا: مِن شتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيْب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو نُنازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقيْن. ثم انصرفوا.

ونلاحظ هنا الفرْق بيْن ما قاله الوفد في المرة الأولى، وما قاله في المرة الثانية.

فعظُم الأمْر على أبي طالب، وذلك لعدّة أسباب:

١. فِراق قومه وعداوتهم.

٢. نفْسه لا تطيب بتسليم رسول الله ﷺ إلى قريش. فماذا فعَل؟

أرسل أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فلما جاءه، قال له: يا ابن أخي، إنّ قومك فاجئوني، فقالوا لي: كذا وكذا. فأبْق على نفْسك وعليَّ، ولا تحمّلني مِن الأمْر ما لا أطيق.

ولكنّ موقف الرسول ﷺ كان صارمًا، فقال في عِزّة وإباء، وثقة بما عند الله، وامتثالًا لأمر الله في تبليغ الدعوة وبيان الحق: ((يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهْلك فيه، ما تركتُه)). ثم استعْبر رسول الله ﷺ فلما ولّى، ناداه أبو طالب فقال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت. فوَالله لا أُسلمك لشيء أبدًا، ثم أنشد قائلًا:

والله لن يصلوا إليك بجمْعهمْ ❖ حتى أُوَسّدَ في التراب دفينًا
فاصدعْ بأمْرك ما عليك غضاضةٌ ❖ وأبشِرْ وقرّ بذاك عيونًا

المحاولة الثانية: عمارة بن الوليد مقابل رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشًا، حين عرفوا أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه لهم، مشَوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا

طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد -أشدّ وأقوى- فتًى في قريش، وأجمله، فخُذْه، فلك عقله ونصره. واتخِذْه ولدًا، فهو لك. وأسلمْ إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف ديننا ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم، فنقْتله؛ فإنما هو رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغْذُوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله لا يكون أبدًا. أرأيتم ناقة تحنّ إلى غير فصيلها؟ فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضًا.

ويعلِّق ابن كثير على موقف أبي طالب مِن الرسول ﷺ فيقول: "إن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبّ محمد ﷺ حبًا طبيعيًا، لا شرعيًا".

الأسلوب الثاني من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه ﷺ

ومِن تلك الاتّهامات:

١. اتّهموه ﷺ بالجنون، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦]. وحكى عنهم تعالى قولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١] وقد أجابهم الله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢] -والمجنون تخاف الناس مِن مخالطته- إذًا ما هو الهدف مِن وراء هذه التهمة الكاذبة؟

٢. اتّهموه ﷺ بالسِّحر، وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، ﴿ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] والناس يخافون مِن السّاحر.

٣. اجتماع قريش لصدّ أهل الموسم عن الاستماع إلى رسول الله ﷺ بعد الجهر بالدعوة، ووصول المفاوضات بيْنهم وبيْن أبي طالب إلى طريق مسدود. وقد أظلّهم موسم الحجّ، والرسول ﷺ بدأ يدعو الناس عامّة وعلانية إلى الإسلام. فاجتمعوا لتوحيد كلمتهم وتنسيق جهودهم، للوقوف في وجه الرسول ﷺ ودعوته.

وقد دعا الوليد بن المغيرة إلى هذا الاجتماع، وقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمْر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضًا، ويردّ قولكم بعضه بعضًا. قالوا: فأنت فقلْ. قال: بل أنتم فقولوا أسمعْ. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجْعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون! لقد رأينا الجنون وعرفناه. ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر! لقد عرفنا الشّعر كلّه: رجزه وهجزه، وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه. فما هو بشاعر! قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر! لقد رأينا السّحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: والله، إنّ لِقوله لحلاوة، وإنّ أصله لغدق... وما أنتم بقائلين مِن هذا شيئًا إلاّ عرف أنه باطل. وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، يفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرّقوا عنه بذلك.

وتذكر بعض الروايات: أن الوليد لما ردّ كل الآراء التي قالت بها قريش، قالوا له: أرنا قولك. فقال لهم: أمهلوني حتى أفكّر فيه. فظل يفكر حتى أبدى لهم رأيه السابق.

وفيه أنزل الله تعالى ستّ عشرة آية مِن القرآن الكريم، مِن سورة "المدثر"، وفيها قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ١١- ٢٦].

ثـم بعـد اتّفـاقهم، قـاموا بتوزيـع فِرَق علـى مـداخل مكـة المكرمـة، للتحـذير مـن الرسول ﷺ وكان على رأس المحذِّرين منه: عمّه أبو لهب. وقد أدّى عملـهم هـذا إلى عكس ما كانوا يريدون؛ فقـد صـدرت العـرب مِـن ذلـك الموسـم بـأمر رسـول الله ﷺ وانتشر ذِكْره في بلاد العرب.

وكان هذا الموقف مِن قريش سببًا في إسلام بعض العرب، ومن ذلك قصة إسـلام الطّفيـل بـن عمـرو الدّوسـي > فقـد حـذّروه مِـن الاسـتماع إلى رسـول الله ﷺ وخوّفوه منه، حتى وضع قطنًا في أذنَيْه مخافة أنْ يسمع كلام رسول الله ﷺ ولكنّ الله تعـالى أراد لـه الخير، فسمع مِن الرسـول ﷺ فكـان سـببًا في إسـلامه وإسـلام قومه بإسلامه.

٤. اتّهام الرسول ﷺ بالكذب، وهو الصادق الأمين، ولكنه لما جاء بالحق، ونهاهم عن عبادة الأصنام، كذّبوه. وهكذا حال المبطلين في كل زمان ومكان.

يريدون أنْ يطفئوا نور الله بأقوالهم وأفعالهم، قال الله تعالى: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] وقد ذكَر القرآن الكريم عنهم هذه التّهمة في حقّه ﷺ حيث قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾

[ص: 4]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ [الفرقان: 4].

5. اتّهموه بالإتيان بالأساطير. قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: 5].

وقالوا بأنّ القرآن مِن عند البشَر، وليس مِن عند الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: 103].

الأسلوب الثالث من أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين

أولاً: السّخرية، والهدف منها: تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنويّة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: 53].

وروى الإمام البخاري: أنّ امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربَك منذ ليلتيْن أو ثلاثًا. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: 1، 2].

وروى البخاري: أنّ أبا جهل قال مستهزئًا: اللّهم إنْ كان هذا هو الحق مِن عندك، فأمطر علينا حجارة مِن السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉜ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ㉝ ﴾ [الأنفال: 32، 33].

ثانيًا: الغمْز واللّمز والضّحك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩- ٣١].

ومرّ ﷺ برجالات قريش في الحِجر، فلما قاربهم، غمزوه ببعض القول ثلاث مرات، فقال لهم: ((يا معشر قريش! أمَا والذي نفْسي بيده! لقد جئتُكم بالذَّبْح!))، ففزعوا مِن هذا الموقف فزعًا شديدًا.

ثالثًا: الاستعلاء والتكبّر، قال المشركون للنبي ﷺ: لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء: صُهيبًا، وبلالًا، وخبابًا؛ فاطردْهم عنك، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

كِبار المستهزئِين:

١. الأسود بن عبد المطّلب بن أسد.
٢. الأسود بن عبد يغوث الزهري.
٣. الوليد بن المغيرة المخزومي.
٤. العاصي بن وائل السهمي.

وقد نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] والوليد بن المغيرة هو القائل: أينزل على محمد، وأُترك؟ وأنا كبير قريش وسيّدها. ويُترك أبو مسعود -عمرو بن عمير الثقفي- سيد ثقيف؟ ونحن عظيما القريتيْن. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

ومِن كبار المستهزِئين أيضًا:

أبو جهل، وأميّة بن خلف، والنّضر بن الحارث، والأخنس بن شريق، وأبيّ بن خلف.

باقي أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى

ووسائل الثبات على دين الله

عناصر الدرس

الأسلوب الرابع من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: التّشويش، والأسلوب الخامس مساومة الرسول ﷺ، والأسلوب السادس: طلبهم أن يكون للرسول ﷺ أمور خارقة للعادة

الأسلوب الرابع من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: التّشويش:

كان المُشركون يتواصَوْن فيما بينهم: إذا قام رسول الله ﷺ بقراءة القرآن الكريم، أو أحَد مِن الصحابة: أنْ يقوموا بإحداث الأصوات، مِن أجْل منْع الناس مِن السّماع لهذا القرآن الكريم، وخاصة أصحاب العقول الصافية. وقد ذكر الله تعالى عنهم هذه الخصلة الذميمة التي تدلّ على اعترافهم بمدى تأثير القرآن الكريم، إلا أنهم يريدون أنْ يُغطّوا هذا النور الذي أراد الله له الظهور، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصِّلَت: ٢٦].

الأسلوب الخامس: مساومة الرسول ﷺ:

أولًا: عرْض المال والجاه والمنْصب:

قام عُتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وهو يحمل رسالة مِن قريش، فجلس إلى رسول الله ﷺ ثم قال له: اسمعْ مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها، لعلك تقبل منّا بعضها. فقال له رسول الله ﷺ: ((قلْ أبا الوليد، أسمعْ!)) قال: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به مِن هذا الأمر مالًا جمعْناه لك مِن أموالنا؛ حتى تكون أكثرنا مالًا. وإنْ كنتَ تريد به الشّرف سوَّدناك علينا؛ حتى لا نقطع أمرًا دونك. وإن كنت تريد مُلكًا ملّكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبْنا لك الطِّبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرِئك منه.

حتى إذا فرغ عُتبة، ورسول الله ﷺ يسمع منه، قال له: ((قَد فرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم. قال: ((فاسمعْ مني!)). قال: أفعل! قال رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصِّلت: ١- ١٣]. وأمسك عتبة على فيهِ، وناشَدَه الرَّحم أنْ يكفّ عنه. ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، فسَجَد. ثم قال: ((قد سمعتَ أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك!)). فقال ما عندك غير هذا؟ فقال: ((ما عندي غير هذا)).

ثانيًا: الالتقاء معه في منتصف الطريق (الحوار):

حاولت قريش أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه. قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[القلم: ٩]. فقالوا لرسول الله ﷺ: اعبُدْ آلهتنا يومًا، ونَعبد إلهك يومًا. فأنزل الله تعالى سورة (الكافرون): ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[الكافرون: ١- ٣].

الأسلوب السادس: طلبهم أن يكون للرسول ﷺ أمور خارقة للعادة:

وقد ذكَر الله تلك المطالب في الآيات التالية:

١. قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾[الفرقان: ٧، ٨].

٢. قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾[الإسراء: ٩٠- ٩٣].

٣. وعن ابن عباس: أنهم سألوا الرسول ﷺ أن يُسَيِّرَ لهم جبال مكة، ويقطع لهم الأرض ليزرعوها، ويبعث لهم مَن مضى مِن الآباء، مثل: قصيّ، ليسألوه عن صدق محمد ﷺ.

وفي مسند الإمام أحمد، من حديث ابن عباس، قال: "سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أنْ يجْعل لهم الصَّفا ذهبًا... فقيل له: إنْ شئت أنْ تستأني بهم، وإنْ شئت أنْ تُؤتيهم الذي سألوا، فإنْ كفروا هلَكوا كما أُهلكتْ مِن قبلهم الأمم. قال: لا! بل أستأني بهم".

وروي أنهم طلبوا منه أنْ يجعل صخرة معيّنة ذهبًا لينحتوا منها، فتُغنيهم عن رحلتَي الشتاء والصيف. وطلبوا منه أنْ يريهم آية، فأراهم القمر قد انشقَّ.

وروى الإمام البخاري عن ابن مسعود، قال: ((انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتيْن: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا!))، فقال كفار قريش: سحَركم ابن أبي كبشة.

وروى الترمذي، عن أنس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشقَّ القمر بمكة مرّتيْن، فنزلت: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[القمر: ١، ٢].

الأسلوب السّابع من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: سبّ القرآن الكريم، والطّعن في مصدره، والأسلوب الثامن: الاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول ﷺ

الأسلوب السّابع من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: سبّ القرآن الكريم، والطّعن في مصدره:

عرف المشركون ما للقرآن في عقول العقلاء وأفصح الفصحاء، فلجئوا إلى أساليب شتّى لإبعاد الناس عنه، مخافة أنْ يتأثّروا به. ومن تلك الأساليب:

١ـ سبُّ القرآن الكريم:

روى البخاري ومسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]: أنّ ابن عباس قال: "أُنزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة. وكان إذا صلّى بأصحابه رفَع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبُّوا القرآن ومَن أنزله ومَن جاء به. فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي: بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبّوا القرآن. ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تُسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

٢ـ وصْف القرآن الكريم بأنّه أساطير الأولين:

كان النّضر بن الحارث مِن شياطين قريش، وينصب العداوة لرسول الله ﷺ. وكان يعارض ما يذْكره ﷺ مِن قصص الأنبياء. وربما كان معه مِن الأساطير التي تعلّمها في الحِيرة وبلاد فارس، ويقول: يا معشر قريش، أنا أحسن حديثًا من

محمد، وما حديثه إلا أساطير الأولين! فردّ الله تعالى عليه قوله، فقال: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

٣- قولهم بأنَّ القرآن مصْدره: البشَر.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله عليهم في قولهم: إنّا قد بلَغَنا أنك إنّما يُعلِّمك رجل باليمامة، يقال له: الرحمن، ولن نؤمن به أبدًا. فأنزل الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠].

كان ﷺ يجلس أحيانًا عند المروة إلى غلام نصرانيّ، يقال له: جبر، وغلام آخر يسمّى: يسارًا، يصنع السيوف؛ فكانوا يزعمون أنّ النبي ﷺ يتعلّم القرآن ويتلقّاه مِن هذيْن الغلاميْن، أو أحدهما. وقد ردّ الله سبحانه عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

وعلى الرغم مِن هذه المواقف إلاّ أنَّ كبارهم كانوا يستمعون إلى القرآن الكريم سِرًّا. فذكر ابن إسحاق عن الزهري، أنه حدَّث: أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا مِن رسول الله ﷺ وهو يصلّي مِن الليل في بيْته. فأخذ كلّ رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلَم بمكان صاحبه، فبأتوا يستمعون له. حتى إذا طلع الفجْر تفرّقوا، فجمعَهم الطّريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا! فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا. ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل إلى

مجلسه، فيأتوا يستمعون له. حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا فجمعَهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أوّل مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسه، فيأتوا يستمعون له. حتى إذا طلع الفجر، تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود إلى ذلك. فتفرَّقوا.

نعوذ بالله مِن المكابرة عن قبول الحق، ونسأله الهداية.

الأسلوب الثامن: الاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول ﷺ:

اليهود أهل كتاب، والمفترَض فيهم: أنْ يكونوا المبادِرين إلى اتّباع الرسول ﷺ لأنّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ لأنَّ الكتب السماوية السابقة تحدثت عنه بإسهاب، وبأوصافه التي لا تدَع مجالًا للشك فيه؛ ومع ذلك فقد ظاهروا عليه عبَدَة الأوثان، وألّبوهم على قتاله، وردِّ دعْوته. وهذا أمْر ليس بمستغرَب على قتَلَة الأنبياء، ومُحرِّفي الكتب السماوية (التوراة والإنجيل).

أوفدت قريشٌ وفدًا منها إلى المدينة، وعلى رأسهم: النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، ليأتوا مِن اليهود بأسئلة تعجيزية يطرحونها على رسول الله ﷺ. فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف، وعن ذي القرنيْن، وعن الرُّوح. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصْل ما بيْنكم وبيْن محمد... فجاءوا محمدًا ﷺ فسألوه. فقال لهم: ((أُخبركم غدًا))، ولم يستثْنِ.

قال ابن إسحاق: فمكث رسول الله ﷺ خمْس عشرة ليلة، وفي بعض الروايات: أنّ الوحي تأخّر عليه ثلاثة أيام، لمْ يُحدث الله تعالى في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة. قالوا: وعَدَنا محمد غدًا، واليوم خمْس

عشرة ليلة... حتى أحزن رسول الله ﷺ مُكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلَّم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل # بسورة (الكهف)، وفيها معاتبته على حزنه عليهم: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، ثم الإجابة على الأسئلة، وإجابة سؤال الرُّوح جاء في سورة (الإسراء) (الآية ٨٥).

وفي (صحيح البخاري): أنّ اليهود سألوا الرسول ﷺ عن الروح، في المدينة، فأنزل الله تعالى عليه الآية: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وبناء على هذا، فقد رجّح بعض العلماء ما في الصحيح، وقالوا: بأنَّ الآية مدنية، وإن كانت السورة مكية.

وقد جمَع العلماء بيْن الأمريْن بتكرار النزول، ومنهم: ابن كثير. وقال الزركشي: لا مانع مِن نزول بعض القرآن أكثر مِن مرة، تعظيمًا له وتذكيرًا بفضله.

ومن أسئلتهم: أنه كان ﷺ جالسًا معهم في مجلس، وفيه النضر، فأفحمهم ﷺ وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ١٠٠]. فقام ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى، فحدّثه الوليد بن المغيرة بما جرى، وعجزهم عن الرد عليه، فقال: أما والله لو وجدته لخصمتُه. فسلوا محمدًا: أكُلُّ ما يُعبد مِن دون الله في النار؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبُد عزيرًا، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم. فقال النبي ﷺ: ((إنَّ كلَّ مَن أحبَّ أن يُعبد مِن دون الله فهو مع مَن عَبَده في النار...)).

الأسلوب التاسع من أساليب قريش في الصَّدِّ عن دين الله تعالى: الاعتداء الجسدي

(أ) الاعتداء الجسدي على رسول الله ﷺ:

على الرَّغم مِن مكانة الرسول ﷺ الاجتماعية، وحماية عمّه له، وعدم تجرُّؤ قريش على اقتحامه، فإنّ رسول الله ﷺ تعرَّض للأذيَّة في نفسه، وفي أهل بيته، على يد كفار قريش.

فقد روى مسلم وغيره عن أبي هريرة > قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بيْن أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزَّى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته! أو لأعفِّرنَّ وجهه في التراب!. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلّي. زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فاجأهم منه إلا وهو ينْكص على عقبيْه، وينفي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا مِن نار، وهولًا وأجنحة!

فقال رسول الله ﷺ: ((لو دنا منِّي لاختطفتْه الملائكة عضوًا عضوًا)). قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧] إلى آخر السورة.

وروى البخاري: أنَّ عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ، فقال: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [غافر: ٢٨].

وزاد بعضهم: فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظلِّ الكعبة، فقال: ((يا معشر قريش، أمَا والذي نفسي بيده، ما أُرسِلتُ إليكم إلّا بالذّبْح!))، وأشار بيده إلى حلْقه، فقال أبو جهل: يا محمد، ما كنتَ جهولًا. فقال رسول الله ﷺ: ((أنت منهم)).

وروى الشيخان، عن ابن مسعود > قال: ((ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد؛ فإنّه كان يصلِّي، ورهط مِن قريش جلوس، وسلا جزور نُحرت بالأمس قريبًا، فقالوا: مَن يأخذ سلا هذا الجزور، فيضعه على كتفَي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم: عقبة بن أبي معيط، فجاءه فقذفه على ظهر رسول الله ﷺ. فضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، والنبي ﷺ ما رفع رأسه. وجاءت فاطمة > وطرحتْه عن ظهره، ودعت على مَن صنَع ذلك. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته رفع رأسه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا. ثم قال: اللهم عليك بالملأ مِن قريش، اللهم عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأميّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط. وذكر السابع، فلم أحفظه. فوالذي بعثه، لقد رأيت الذين سمَّى صرْعى ببدر، ثم سُحبوا إلى القليب -قليب بدر- غير أمية بن خلف، فإنه كان رجلًا بادنًا، فتقطّع قبل أن يبلغ به إليه)).

وروى أنس بن مالك >: "أنّ المشركين ضربوا رسول الله ﷺ حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر > فجعل ينادي: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ وقد تجرّأت قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمِّه في السّنَة العاشرة.

وقد روى الدارقطني، عن عمرو بن عثمان بن عفان، عن أبيه، قال: أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ بعد وفاة عمِّه.

وهذا يدلّ أنه ربما تعرّض قبْل موته للأذيّة في سبيل الله. وذكر ابن إسحاق وغيره، قال: لّما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ مِن الأذى ما لمْ تطمع فيه في حياة أبي طالب.

وروى ابن سعد قال: لّما توفِّي أبو طالب وخديجة اجتمع على رسول الله ﷺ مُصيبتان، فلزم بيْته، وأقلَّ الخروج. ونالت قريش منه ما لم تكن تنال منه، ولا تطمع فيه. فبلغ ذلك أبا لهب، فجاء فقال: يا محمد، امضِ لما أردْت، وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعْه...

وسبَّ ابن الغيطلة النبي ﷺ فأقبل عليه أبو لهب فنال منه. فأقبل يصيح: صبأ أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقتُ دين عبد المطلب، ولكن أمنع ابن أخي أن يُضام حتى يمضي لما يريد. قالوا: قد أحسنت، وأجملت، ووصلت الرحم.

فمكث ﷺ أيامًا لا يعترض له أحدٌ منهم بسوء، وهابوا أبا لهب، إلى أن جاء عقبة بن أبي معيط، فأراد هو وأبو جهل إحداث القطيعة من جديد بين الرسول ﷺ وأبي لهب. فقالوا لأبي لهب: اسأله عن مصير عبد المطّلب؟ إنه يقول بأنه في النار. فقال أبو لهب لرسول الله ﷺ: أيدخل عبد المطّلب النار؟ قال: ((نعم. ومَن مات على مثْل ما مات عليه)). فقال أبو لهب: لا برحتُ لك عدوًّا، وأنت تزعم أنَّ عبد المطّلب في النار.

وكان له ﷺ مجموعة مِن الجيران يؤذونه ويؤذون بناته، وكانوا يطرحون في بُرْمَته إذا نصبت رحِم الشاة، ويضعون القاذورات أمام بيته، ويرمونه بالحجارة وهو في

بيته ﷺ حتى اتخذ حجرًا يستتر به منهم إذا صلى. وكان مِن أشدّ جيرانه لـه أذيّـة : أبو لهب، وزوجته العوراء، وعقبة بن أبي معيط، والحكَم بن أبي العاص، وابن الأصداء الهذلي، وعدي بن الحراء.

وقام عتيبة بن أبي لهب بشقِّ قميص رسول الله ﷺ فدعا عليه ﷺ فقال : ((اللّهمّ سلّط عليه كلبًا مِن كلابك)) فأكله السَّبُع وهو بالزرقاء في بلاد الشام.

(ب) الاعتداء الجسديِّ على الصحابة رضوان الله عليهم :

أبو بكر الصديق > تعرّض للأذيّة، حتى فكّر في الهجرة إلى الحبشة، فرارًا بدينه.

وقد خطب أبو بكر يومًا في المسجد الحرام، فقاموا عليه وضربوه حتى سقط أرضًا. ورُفع إلى بيته، وكلُّ الناس يرى أنه قد مات. ولم يخلصه منهم إلا قومه بنو تيم.

وكان عبد الله بن مسعود أوَّل مَن جهر بالقرآن في مكة بعد رسول ﷺ فضربه المشركون في وجهه حتى أثّروا فيه.

وكان عمّ عثمان بن عفان يلفّه في حصير مِن جريد النخل، ويدخِّن مِن تحته. وأوثقه وأقسم أنْ لا يحلّ وثاقه حتى يعود عن إسلامه. فأقسم عثمان على عدم ترْك الإسلام.

ولَمَّا علِمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته مِن بيتها، وكان مِن أشد الناس تنعُّمًا ؛ فتخشف جلده تخشّف الحية، حتى حملَه أصحابه على قسيّهم لشدة ما به مِن الجهد والإعياء.

والزبير بن العوام: كان عمّه يعلّقه في حصير، ويدخّن عليه النار، ويطالبه بالرجوع إلى الكفْر. فيقول الزبير: "لا أكفر أبدًا!".

وممّن تعرّض للتعذيب، بل لعلّه نال منه ما لمْ ينلْه غيْرهم، هم: الموالي الذين لا مُدافع عنهم، مثل:

آل ياسر. وكان يُضرب بهم المَثل فيما لاقَوْه مِن الابتلاءات. فقد كان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حمِيَت الظهيرة، فيعذبونهم برمضاء مكة.

أمُّهم: سُميّة بنت خياط، مولاة أبي حذيفة المخزومي، كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذّبها أبو جهل وطعنها في قُبُلها بحَرْبة فماتت. وكانت أوّل شهيدة في الإسلام.

وزوجها ياسر: وهو مِن أوائل مَن أسلم، قال مجاهد: "أول مَن أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسُميّة. فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر منَعَهما قومُهما، وأمّا الآخرون: فأُلبسوا أدرع الحديد، ثم صُهروا في الشمس".

وأصل ياسر مِن اليمن، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوَّجه أمَته: سُميَّة. ومات ياسر في العذاب، وكذلك رُمي ابنه عبد الله فمات. وقد مر ﷺ على آل ياسر يعذَّبون، فقال لهم: ((صبرًا آل ياسر! إنّ موْعِدكم الجنة!)). وتفننوا في إيذاء عمار حتى أجبروه أنْ يتلفظ بكلمة الكفْر بلسانه. وذكَر المفسِّرون أنّ سبب نزول قول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] هو موقف عمار بن ياسر.

وبلال بن رباح: كان مولى لبعض بني جمح، وكان حبشيًّا، وقيل: نوبيًّا. وكان مولاه: أميَّة بن خلف، يُخرجه إذا حمِيَت الظهيرة، فيطرحه على ظهْره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللّات والعزَّى. وهو يقول في ذلك العذاب: "أُحد! أُحد!".

وعن عمرو بن العاص، قال: "مررت ببلال وهو يعذَّب في الرمضاء، ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: "أنا كافر باللات والعزى"، وأمية مغتاظ عليه، فيزيده عذابًا.

وعندما رآه أبو بكر > في هذه الحالة ساوم سادَته على شرائه، فاشتراه وأعتقه.

وذكر البلاذري: أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق، وهو مدفون بالحجارة. وفي الصحيحين: أنّ بلالًا قال لأبي بكر: "إن كنتَ إنما اشتريْتني لنفسك، فأمسكني، وإن كنت اشتريتني لله فدعني، وعملي لله".

خباب بن الأرت: أصله مِن تميم، سُبِيَ في الجاهلية فبيع بمكة، وكان مولى لأمِّ أنمار الخزاعية. كان يعمل حدادًا يصنع الأسنّة والسيوف. وكان مِن السابقين الأوَّلين إلى الإسلام.

وعندما أظهر إسلامه لاقى صنوفًا شتَّى مِن العذاب، في المال والنفس؛ فمَنعوا منه ماله. وكانوا يأخذون بشعر رأسه ويجذبونه جذبًا، ويضجعونه على صخور ملتهبة، ثم يضعون حجارة على صدره حتى لا يقوم. وأوقدوا له نارًا وأوضعوه عليها.

وفي الصحيح عن خباب، قال: "شكوْنا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بُردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ قال: ((كان الرجل فيمَن قبْلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه. فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتيْن؛ وما يصدّه ذلك عن دينه. والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب مِن صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون!)).

ومِن المستضعفين: حمامة، والدة بلال، وعامر بن فهير، وأم عُبيس، والنهدية وابنتها، وجارية بني عديّ التي كان يعذِّبها عمر بن الخطاب قبل أن يُسلم، وجارية بني نوفل. وقد أعتقهم جميعًا أبو بكر الصديق > واشتراهم مِن مالِه > .

وهكذا عُذّب المسلمون في دين الله تعالى، ولكنهم صبروا، بل ازدادوا تمسكًا بهذا الدين الذي ارتضاه الله -تبارك وتعالى- للناس.

وسائل الثبات على دين الله تعالى:

١. **الإيمان بالله تعالى**؛ فالإيمان الجازم إذا خالط بشاشة القلوب فإنَّ صاحبه يستهْوِن كلَّ شيء في سبيله.

٢. **قيادة تهوي إليها الأفئدة**؛ فقد كان ﷺ يتمتَّع من جمال الخلق، وكمال النفس، ومكارم الأخلاق، والشِّيم النبيلة، والشمائل الكريمة، ممّا تتجاذب إليه القلوب، وتتفانى دونه النفوس.

٣. **الشعور بالمسئولية**؛ فقد كان الصحابة { يشعرون بالمسئولية تجاه هذا الدِّين، وأنَّ البشرية محتاجة إلى التضحية من أجْل إنقاذها.

٤. الإيمان باليوم الآخر؛ فكانوا يعلمون علْم اليقين: أنهم سيقفون أمام ربهم، وأنهم سيحاسَبون على كلِّ أعمالهم. وكانوا يعلمون أنَّ الدنيا وما فيها لا تساوي جناح بعوضة في جنْب الآخرة.

٥. القرآن وتدرُّجه في النزول، وما يشتمل عليه من تنوُّع الأساليب كان سببًا مهمًّا مِن أسباب الثبات. والقرآن يُبشِّرهم بالنّصر، وأنّ العاقبة للمتّقين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

٦. البشارات بالنجاح؛ فقد نزلت في هذه الفترة العصيبة مِن حياة المسلمين آياتٌ تُبشِّرهم بغلَبة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصّافّات: ١٧١- ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

وكان ﷺ يبشّر أصحابه بالنصر: ((قولوا: لا إله إلا الله، تُفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتَدِين لكم بها العجَم)).

الأسلوب العاشر من أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى: محاصرة الدّعوة داخل مكة

وذلك مِن أجْل أنْ تظلَّ تحت السَّيطرة على مرأى ومسمع منهم، فهم لا يضمنون إنْ خرجتْ عن مكة أنْ يحاولوا الانتقام منهم والاعتزاز عليهم؛ ولذلك حاولوا جاهدين منْع هذه الدَّعوة مِن الخروج مِن مكة المكرمة. ومِن أمثلة هذا الأسلوب:

(أ) محاولة استرجاع المسلمين مِن الحبشة:

لّما تفاقم الاضطهاد على المسلمين مِن قريش في السنة الخامسة مِن البعثة أذِن رسول الله ﷺ لهم قائلًا: ((إنّ بالحبشة ملِكًا عادلًا، لا يُظلم عنده أحَدٌ؛ فالحقُوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرَجًا ومخرجًا مّما أنتم فيه!))...

ولّما رأت قريش أنهم استقرّوا بالحبشة قامت بتشكيل وفْد، ودفعت إليه الهدايا وما يُستطرف عند ملِك الحبشة ووزرائه ورجال دِينه. وقد اختارت قريش لهذه المهمَّة: عمرو بن العاص؛ لِما عُرف عنه مِن الدهاء، وعمارة ابن الوليد. فلمّا دخلا عليه سجدا له، وقيل: كان مع عمرو بن العاص ربيعة بن المغيرة المخزومي. وقاموا بتوزيع الهدايا على النّجاشي وبطارقته. واجتمعوا مع البطارقة، وطلبوا منهم تأييد مطلبهم أمام النجاشي وأنْ لا يسمح لهم بالكلام.

تقول أمّ سلمة < راوية حديث الهجرة إلى الحبشة: "ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص مِن أن يَسمع النجاشي كلامهم - كلام المهاجرين-". لماذا؟ ولكنَّ النَّجاشي ملِك عادل، كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ فرفض أنْ يسلِّمهم إلا بعْدما يستمع إلى كلامهم.

وسنعرض لِمَا جَرى بينهم -إن شاء الله تعالى- إلّا أنَّ هذه السّفارة فشلت فشلًا ذريعًا. فتقول أمّ سلمة > :

"فخرجا مِن عنده مقبوحَيْن، مردودًا عليهما ما جاءَا به؛ لأنَّ النجاشي لَّما استمع إلى جعفر > وقرأ عليه شيئًا مِن القرآن الكريم، وحدَّثه عن دعوة الإسلام، وما تأْمُر به مِن إفراد الله تعالى بالعبادة، وما اشتملت عليه مِن الأخلاق- طَرد وفْد قريش شرَّ طرْدة، وقال للمهاجرين: عيشوا حيثما تريدون".

(ب) ملاحقة الرسول ﷺ في دعوته للقبائل:

كان ﷺ مِن دأْبه طَرْق كلِّ الأبواب، مِن أجْل دعوة النّاس إلى الإسلام، وينتهز المناسبات التي تشتمل على تواجد مجموعات مِن البشر، مثل: مواسم الأسواق؛ فكان يذهب إليها يدعو الناس إلى الإسلام، وكذلك مناسبات الحج. ولكن قريشًا كانت تسعى جاهدة لإقناع الناس بعدم الإصغاء إليه، أو حمايته. ومِن أمثلة ذلك:

عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي ﷺ يَعرِض نفسه على الناس في الموقف، ويقول: ((ألاَ رجُل يعرض عليَّ قومه؟ فإنَّ قريشًا قد منعوني أنْ أبلّغ كلام ربِّي)) رواه أبو داود.

وعن محمد بن المنكدر، أنه سمع ربيعة بن عباد يقول: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس في منازلهم، قبْل أنْ يُهاجر إلى المدينة، يقول: ((يأيها الناس، إنّ الله يأمُركم أنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا)). قال: وراءه رجل يقول: يأيها الناس، إنّ هذا يأمُركم أنْ تتركوا دِين آبائكم. فسألت: مَن هذا الرجل؟ فقيل: أبو لهب.

وذكر ابن إسحاق والواقدي مجموعة مِن القبائل التي عَرض عليها رسول الله ﷺ نفْسه: كندة، وكلب، وبني حنيفة -وردّوا عليه ردًّا قبيحًا- وبني عامر بن صعصعة، وغسان، وبني محارب، وغيرهم، كان يأتيهم أيام مِنى.

وكذلك عرَض نفْسه ﷺ على بني شيبان، وعَرض عليهم الإسلام وبيَّن لهم محاسنه، وما يدعو إليه مِن نبْذ العصبية، والصِّدق، والإخلاص. وقال ﷺ لبني شيبان بعدما طلبوا منه أنْ يتْركهم للتّفكير في الأمْر، قال: ((ما أسأتُم في الرّدِّ، إذ أفصحْتم بالصِّدق. وإنّ دين الله لنْ ينصره إلَّا مَن حاطه مِن جميع جوانبه)).

ولم يزَلْ رسول الله ﷺ في ذلك يدعو إلى دِين الله ، ويأمُر كلَّ مَن لقِيَه ورآه مِن العرب كلَّ عام. يتْبع الحاجَّ ، ويذهب إلى عكاظ، ومِجنَّة، وذي المجاز ؛ وهي: أسواق تُقام في موسم الحج.

وروى الإمام أحمد وغيْره، عن رجل مِن كنانة ، قال: ((رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز ، وهو يقول: يأيها الناس ، قولوا: لا إله إلا الله ، تُفلحوا))، وإذا رجل خلْفه يسفي عليه التراب ؛ وإذا هو أبو جهل.

وهكذا كان كفّار قريش يتناوبون الخروج إثْر رسول الله ﷺ لتحذير الناس منه ومِن دعوته ، لأنهم يروْن أنَّ إيواء الدعوة عداوة لهم ، وتُشكِّل خطرًا عليهم ؛ وبالتالي كانوا يحذِّرون القبائل مِن إيواء الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

(ج) محاولة منْع المسلمين مِن الهجرة إلى المدينة:

في أثناء عَرض الرسول ﷺ نفْسه على القبائل التقى بسُويد بن الصامت ، أخي بني عمرو بن عوف ، مِن الأوس ، فدعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يُجب ، ثم انصرف. فقُتل في بعض حروبهم ، وقد كان رجال مِن قومه يقولون بأنه قد قُتل وهو مسلم.

ثم قدم مكة أبو الْحَيْسَر أنس بن رافع ، في فتية مِن قومه بني عبد الأشهل ، يطلبون الحِلف من قريش. فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال رجل منهم اسمه: إياس بن معاذ ، وكان شابًّا: يا قوم ، هذا والله خيْر ممَّا قدِمنا له ، فنهَره أبو الحيسر... فانصرفوا إلى بلادهم ، ومات أبو الحيسر ، وكانوا يقولون بأنه مات مسلمًا.

كانت هذه بدايات الاتِّصال بسكان يثرب ، وتوّج ذلك ببيعة العقبة الأولى في منى. ثم تلتْها الثانية ، والثالثة التي مهّدت للإسلام في المدينة. وبعد هذه البيْعة أذِن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: فلما تمَّت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ في ليلة العقبة، وكانت سِرًّا عن كفَّار قومهم وكفَّار قريش، أمَر رسول الله ﷺ مَن كان معه بالهجرة إلى المدينة. فخرجوا أرْسالًا، خوفًا مِن قريش مِن أنْ تمْنعهم.

هذا أبو سلمة، لّما عجزوا عن ردِّه عن الهجرة منعوا زوجته أمَّ سلمة مِن الهجرة، وحبسوها، وفرَّقوا بيْنها وبيْن ابنها.

ولما أراد صهيب > الهجرة قالت له قريش: أتريد أنْ تخرج بمالِك ونفْسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال صهيب: أرأيتم إنْ تركتُ لكم مالي، أتُخلُّون سبيلي؟ قالوا: نعم. فأخذوا كلَّ ما عنده وتركوه.

وكان عمر بن الخطاب قد تواعد هو وعيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص، موضعًا يُصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة. فاجتمع عمر وعياش، وحُبس عنهما هشام.

بل إنهم لم يَكْتفوا بذلك، فحاولوا قتْل رسول الله ﷺ.

والذي أردت الإشارة إليه: هو إبراز ما كانت تشعر به قريش مِن الخطر إذا خرج المسلمون مِن مكة، وبذلك كانت تلجأ إلى كلِّ الوسائل لمنْع ذلك.

الأسلوب الحادي عشر من أساليب قريش في الصّدّ عن دين الله تعالى: الحصار الاقتصاديّ، ووسائل الثبات على دين الله تعالى

حاولت قريش جاهِدةً أنْ تَمنع نور الله، ولكنّ الله مُتمّ نُوره ولو كرهتْ ذلك قريش، ومَن هو على شاكلتها مِن الكفَرة والملُحدين قديمًا وحديثًا. وقد ابتكرت أسلوبًا كانت فيه قُدوة للظَّلَمة مِن بَعدها، وهو أسلوب التَّجويع الجماعي؛ فقد حدثت عدة أمور أفقدت قريشًا صوابَها.

وهذه الأمور هي:

إسلام حمزة، ثم عُمر، ثم رفْضه ﷺ للمساومة، ثم اتّفاق بني المطلب وبني هاشم -مسلِمهم وكافِرهم- على منْع رسول الله ﷺ والدِّفاع عنه، والقتال دونه؛ إذًا لا سبيل إليه.

فلجئوا إلى أسلوب الحِصار الاقتصاديّ: تجويع الجميع مِن أجْل أنْ يتخلّى الجميع عنه، ويبتعدوا عنه. فقرَّروا مقاطعة بني هاشم وبني المطّلب، حتى يسلِّموا محمدًاﷺ للقتْل.

روى ابن إسحاق وغيْره مِن أصحاب السِّير والمغازي: أنّ الصحابة قد نزلوا أرضًا أصابوا بها أمنًا، وأنَّ عُمر وحمزة أسلما، وأنَّ الإسلام قد فشا في القبائل. أجمعت قريش على أنْ يقتلوا رسول الله ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب، فجَمع بني هاشم وبني المطَّلب، ودعاهم إلى حماية الرسول ﷺ فأجابوه لذلك، حتى كفّارهم فعلوا ذلك حميَّة على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أنْ يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطّلب على أنْ لا يعاملوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم، حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدًا لأهمِّيَّة هذا العمَل في نظرهم. وانحاز بنو هاشم وبنو المطَّلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلُّهم إلا أبا لهب.

وكان بداية هذا الحصار الظّالم في مُحرّم سنة سبْع مِن البعثة، واستمر ثلاث سنين، حتى جَهدوا. ولم يكنْ يأتيهم شيء مِن الأقوات إلّا خفْية، حتى كانوا يُؤذون مَن اطّلعوا إلى أنه أرسل إلى قرابته شيئًا مِن الصِّلات.

وذكر السهيلي: أنهم جهدوا حتى أكلوا ورَق الشَّجر. وكانوا إذا قدِمت عِير إلى مكة منَعوهم مِن الشراء منها، حتى تَعبَ المسلمون تعبًا شديدًا؛ فقد جاعوا ولمْ يجدوا ما يلْبسونه. وهلك في هذا الحصار جماعة مِن المسلمين } . وعلى الرّغم مِن هذه المقاطعة، فإنّها لمْ تُثنِ رسول الله ﷺ عن الدعوة. فقد كان يخرج في المواسم يدعو الناس إلى الإسلام، وكان عمُّه يخاف عليه مِن القتْل، فكان يغيِّر مكان نومه في الليلة الواحدة أكثر مِن مرَّة.

ولَمَّا أراد الله إنهاء هذه المحنة عن المسلمين ومَن كان معهم في الحصار قام رجال مِن قريش في نقْضها، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أبي أميَّة، والمطعم بن عديّ، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري بن هشام. وكانت تَربطهم ببني هاشم والمطّلب صِلات الأرحام، وقد وجد الصحيفة أكلت الأرضةُ كلَّ ما فيها مِن ظُلم وجوْر، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عمَّه قبْل الاطِّلاع عليها.

الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة: الأسباب، والأهداف والنتائج

عناصر الدرس

أسباب، وتاريخ، وأهداف الهجرة، وخطة الخروج من مكة

تقدّم الحديث عن الأساليب التي استخدمتْها قريش في الوقوف أمام الدَّعوة الإسلامية، وكان لهذه الأساليب التي اشتملت على المنْع مِن ممارسة شعائر الدين الإسلامي بحرية، والأذيَّة الجسديَّة والنفسيَّة، والمحاصرة الاقتصاديَّة، وغير ذلك... كانت كلّها وراء أسباب هجرة مَن هاجر إلى الحبشة، بالإضافة إلى الابتلاء والتمحيص: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١، ٢].

تاريخ الهجرة:

كانت بداية الاضطهادات في أواسط السنة الرابعة أو أواخرها، وتفاقمت في أواسط السّنَة الخامسة. وفي هذه اللحظات العصيبة نزلت سورة (الكهف) ردودًا على أسئلة كفّار قريش، وقد اشتملت على قصص ثلاث، فيها إشارات بليغة مِن الله تعالى إلى عباده المؤمنين: قصة أصحاب الكهف تُرشد إلى الهجرة مِن مراكز الكفْر والعدوان حين مخافة الفتَن على الدِّين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]. وكذلك قصة موسى والخَضر فيها إيحاء بالهجرة. وجاءت قصة ذي القرنيْن تُبيِّن أنَّ الأرض لله يورثها مَن يشاء مِن عباده، وأنّ الفلاح إنما هو سبيل الإيمان.

ثم نزلت سورة (الزمر) تشير إلى الهجرة، وتُعلن أنّ أرض الله ليست بضيّقة، قال تعـــالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وكان ﷺ عنده علْم بما كان عليه ملِك الحبشة مِن العدالة؛ فلذلك اختار الحبشة لأنْ تكون أوَّل هجرة في الإسلام، وإن كانت اختياريَّة، غير واجبة كالهجرة إلى المدينة قبْل فتْح مكة، فكانت واجبة لنصرة الرسول ﷺ ولمؤازرته في حرْبه ضدَّ معسكر الشِّرك. وممَّا يدل على عدم وجوب الهجرة إلى الحبشة: تلك الصِّيَغ التي وردت عن الرسول ﷺ في أمْر الهجرة إلى الحبشة، مثل: ((لو خرْجتم إلى أرض الحبشة)) أذِن لهم الرسول ﷺ بالهجرة: ((تَفرّقوا في الأرض!)).

أهداف الهجرة:

١ـ حماية العقيدة:

عن عائشة < قالت: "فلمَّا ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر > مُهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبُد ربِّي. قال ابن الدغنة: فإنّ مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج..." الحديث في صحيح البخاري.

٢ـ حماية الأبدان والأعراض:

الإنسان كرَّمه الله تعالى، فلا ينبغي لأيٍ كان إهانته، كما أنه لا ينبغي له الخضوع لتصرُّفات المتسلِّطين، وإذلال نفسه؛ فأرض الله واسعة يستطيع الإنسان أنْ يجد

فيها الراحة والأمن، وإن كان الأعداء الآن يحاولون تضييقها على المسلمين. والله المستعان.

٣. مقاومة الطُّغيان:

الهجرة وسيلة مِن وسائل المقاومة للطُّغيان، وطريق لمواجهة القهر والتّسلط على رقاب الناس؛ لأنَّ رفض الظُّلم وعدم الخضوع للظالمين أمْرٌ شرعيٌّ في غاية الأهمِّيَّة؛ فلا تستقيم الحياة الإنسانية ولا تنعم الشعوب إلا عندما تُدرك تمام الإدراك عواقبَ الظلم ونتائج الاستسلام.

٤. نشْر الإسلام:

ما دام الهدف الأساسي مِن الهجرة لأجل الإسلام وفي سبيل الله، فإنَّ غاية المسلم: نشْر هذا الدِّين في أيّ أرض حلَّ بها، لأنَّ الإسلام لا يعرف الحدود الضّيِّقة، ولا الوطنيَّة. إنه دين الله الذي جاء لهداية البشرية، كلَّ البشرية.

وخلاصة القول: فإنَّ الهجرة إلى الحبشة كانت بمثابة بحث عن الحريات الأساسية للإنسان، مثل: حرية العبادة، وحرية الأمن، وحرية التعبير عن المعتقد.

خطّة الخروج مِن مكة:

كان الخروج إلى ساحل البحر في غاية السِّرِّيَّة، حيث خرج المهاجرون فُرادى يتسلَّلون، لئلاّ ينكشف أمْرُهم.

يقول ابن سعد: "خرجوا مُتسلِّلين سرًّا، وكانوا أحد عشر رجلًا، وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشّعيبة، منهم الراكب والماشي. ووفّق الله للمسلمِين ساعةَ جاءوا سفينتيْن للتّجار، حملوهم فيها إلى أرض الحبشة، بنصف دينار".

ويقول: "وكان خروجهم في رجب مِن السنة الخامسة مِن النُّبوَّة، فخرجت قريش في آثارهم، حتى جاءوا البحر مِن حيث ركبوا، فلم يجدوا أحدًا منهم".

ويقول: "فأقاموا شعبان وشهر رمضان، وكانت السَّجدة في شهر رمضان، وقدموا في شوال سنة خمْس".

ذكَر ابن سعد -كما تقدَّم- أنهم أحد عشر رجلًا وأربع نسوة. وذكَر ابن إسحاق: أنهم كانوا عشرة رجال وأربع نسوة، وسرد أسماءهم، وهم: عثمان بن عفان، وزوجته: رقيّة بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عقبة، وزوجته: سهلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الله، وزوجته: أمّ سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وزوجته: ليلى بنت أبي حتمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، وسهيل بن بيضاء.

وزاد ابن هشام: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس؛ وتكون هذه موافقة لرواية ابن سعد.

كما زاد ابن حزم: أمّ كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

وذكَر بعضهم: أنَّ عدد الرجال كان اثنَيْ عشر رجلًا، منهم: عبد الله بن مسعود.

وكان أوّل مَن خرج مهاجرًا: عثمان بن عفان مع زوجته: رقيَّة بنت رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: ((... إنّ عثمان أوَّلُ مَن هاجر بأهْلِه بعْد لوط)).

عودة مهاجري الهجرة الأولى، وقصة الغرانيق، والهجرة الثانية وعدد المهاجرين

عودة مهاجري الهجرة الأولى

السبب الذي اتّفق عليه كافّة المؤرِّخين: أنَّ سبب عودة المهاجرين مِن الحبشة: ما سمعوه عن إسلام قريش، وأنها سجدت مع رسول الله ﷺ.

فعن ابن عباس } : "أنّ النبي ﷺ سجَد بـ(النّجم)، وسجَد معه المسلمون والمشركون، والجنّ والإنس" الحديث في الصحيح.

وقد جزم الواقدي: بأنَّ سجود المشركين مع النبي ﷺ كان في رمضان، سنة خمْس، وكانت الهجرة الأولى في شهر رجب.

قصَّة الغرانيق:

ارتبطت قصَّة الغرانيق مع عودة المهاجرين مِن الحبشة، لِما سمعوه عن سجود المشركين مع رسول الله ﷺ. فالبعض يذكر سبب سجود المشركين مع رسول الله ﷺ ما ألقاه الشيطان على لسانه.

فقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير، قال: "قرأ رسول الله ﷺ بمكة: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النَّجْم: ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العُلى، وإنَّ شفاعتهم لتُرتجى". فقال المشركون: ما ذَكَر آلهتنا بخيْر قبْل اليوم. فسجد، وسجدوا. فنزلت: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]".

وقد أخرج هذه القصة: محمد بن إسحاق، وموسى بن عقبة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر، وقال: "وكلّها، سوى طريق سعيد بن جبير، إمَّا ضعيف، وإما منقطع؛ لكن كثرة الطُّرق تدلّ على أنّ للقصّة أصْلًا".

وقد ضعَّف غير واحد هذه القصة، وقال بأنها باطلة لا أساس لها مِن الصحة، مثل القاضي عياض، الذي قال بأنَّ هذه القصة لم يَذْكرها أحَد مِن المحدِّثين، وإنما وَلع بعض المفسِّرين بذِكرها، وكذلك المؤرِّخون.

وقال الإمام محمد بن خزيمة: "إنها مِن وضْع الزنادقة".

وقال الإمام البيهقي: "هذه القصة غير ثابتة مِن جهة النَّقل". وكذلك: القاضي أبو بكر بن العربي.

وقال ابن كثير: "قد ذكر كثير مِن المفسرين ها هنا قصّة الغرانيق، ولكنها طُرق كلّها مُرسلة، ولمْ أرَها مُسنَدة مِن وجْه صحيح".

وقام الشيخ المحدِّث ناصر الدين الألباني ~ بدراسة هذه القصة وعقّب على أسانيدها: "وهي كلّها مُعلَّة بالإرسال والضّعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به، لا سيما في مثل هذا الأمر الخطير".

ويقول محمد الأمين الشنقيطي ~ في أضواء البيان: "إنّ بطلان قصة الغرانيق في نفس سياق آيات النجم التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم، بوجود قرينة قرآنية واضحة على بطلان هذا القول؛ لأنَّ النبي ﷺ قرأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل، قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣]؛ وليس مِن المعقول أنَّ النبي ﷺ يسبّ آلهتهم هذا السّبّ

العظيم في سورة (النجم)، متأخّرًا عن ذكر آلهتهم بخيْر -المزعوم- إلّا غضبوا ولم يسجدوا، لأنّ العبرة بالكلام الأخير".

يقول الشيخ محمد الغزالي ~ في (فقه السيرة): "والذي ورد في الصحيح: أنّ الرسول ﷺ قرأ سورة (النجم) في محفل يضمُّ مسلمين ومشركين، وخواتم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، فلمّا أخذ صوت الرسول ﷺ يهدر بها ويُرعد بنذرها، حتى وصل إلى قوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٣- ٦١] كانت روعة الحقّ قد صدَعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فمَا تمالكوا أنْ خرُّوا لله ساجدين، مع غيْرهم مِن المسلمين".

الهجرة الثانية، وعدد المهاجرين:

لم تتغيّر الأحوال عمّا كانت عليه قبْل الهجرة الأولى، بل ازداد الأمر سوءًا؛ فعن أم سلمة > قالت: "لّما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة مِن الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم، وسطَت بهم عشائرهم، ولقُوا منهم أذىً شديدًا؛ فأذِن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرّة ثانية. فكانت خرجتهم الآخرة أعظم مشقّة، ولقُوا مِن قريش عنتًا شديدًا، ونالوهم بالأذى. واشتدّ عليهم ما بلغهم عن النجاشي مِن حُسن جواره لهم، فقال عثمان بن عفان: "يا رسول الله، فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشي، ولست معنا؟". فقال رسول الله ﷺ: ((أنتم مهاجرون إلى الله وإليَّ. لكم هاتان الهجرتان جميعًا)). قال عثمان: "فحسْبنا يا رسول الله".

وكان عدد المهاجرين -كما في رواية عبد الله بن مسعود- ثمانين رجُلًا. وذكَر الطبري: أنهم كانوا اثنين وثمانين رجلًا. وقال ابن سعد: أنهم ثلاثة وثمانون رجلًا، وعدد النساء ثماني عشرة امرأة، وعدد الأبناء كانوا عشرين؛ فيكون العدد الإجمالي للمهاجرين رجالًا ونساءً صغارًا وكبارًا: مائةً وثلاثةً وعشرين شخصًا تقريبًا.

وقد حاولت قريش -كما مرّ معنا- إرجاع هؤلاء المهاجرين إلى مكة، وأرسلوا لذلك؛ وقد باءت مساعيهم بالفشل. واستقر أولئك المهاجرون بأمْن وأمان. فتقول أمّ سلمة < : "لّما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خيْر جار: النجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نُؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه".

مثول الوفد الإسلامي أمام النّجاشي، وتاريخ عودة المهاجرين مِن الحبشة

تقدَّمت الإشارة أكثر مِن مرَّة إلى الوفد الذي أرسلَتْه قريش مِن أجْل استرجاع المهاجرين، وأنَّهم طلبوا مِن الأساقفة أنْ لا يستمع النجاشي إلى حديث المسلمين؛ لكنَّه رفض ذلك، وقرَّر دعوتهم والاستماع إليهم؛ وهو أمْر يدلُّ على العدالة التي وصَفَه بها رسول الله ﷺ.

أرسل النجاشي إلى الوفد، ودعاهم إلى المثول أمامه. ثم تشاور المسلمون فيما بينهم: ماذا يقولون له؟ واتّفقوا على أن يقولوا ما تعلّموه مِن الإسلام.

ومِن حديث أمّ سلمة: "... فقال النّجاشي: ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومَكم، ولمْ تدخلوا في ديني، ولا دين أحد مِن هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلّمه: جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملِك، كنا قومًا أهل جاهلية: نعبد

الأصنام، ونأكل الميْتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، يأكل القويُّ منَّا الضَّعيف. فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرف نسَبَه وصدْقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نحن نعبد وآباؤنا مِن دونه مِن الحجارة والأوثان. وأمرَنا بصدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحُسْن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء. ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكْل مال اليتيم، وقذْف المحصنة. وأمرَنا أنْ نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا. وأمرَنا بالصلاة والزكاة".

قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام.

"فصدّقناه وآمنا به، واتَّبعناه على ما جاء به، وعبدْنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرّمْنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا. فعدا علينا قومنا، وفتنونا عن ديننا ليرُدُّونا إلى عبادة الأوثان مِن عبادة الله، وأنْ نستحلَّ ما كنا نستحلَّ مِن الخبائث. فلمَّا قهرونا وظلمونا، وشقّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجْنا إلى بلدك، واخترناك على مَن سواك، ورغبنا في جوارك، ورجوْنا أن لا نُظلم عندك أيُّها الملك!".

قالت: "فقال له النجاشي: هل معك ممَّا جاء عن الله مِن شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأْه عليَّ. فقرأ عليه صدرًا مِن سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]. قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّت لحيتُه، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلاه عليهم. ثم قال النجاشي: إنَّ هذا -والله- والذي جاء به موسى ليَخرُج من مشكاة واحدة! انطلقا!. فوالله لا أُسلِمهم إليكم أبدًا ولا آباد!".

هكذا استطاع جعفر > عرْض قضيته بطريقة لائقة ؛ لأنها صادقة وعادلة. دخل في الموضوع مباشرة دون مقدِّمات مملَّة. وقد ركّز في هذا العرْض على الأمور التالية :

١. مخاطبة الملِك باحترام، وإثارة الحميَّة عنده، وذلك مِن خلال ما ذكَره مِن اختيارهم له مِن بيْن الناس كافَّة.

٢. عرْض موجز لما كان عليه العرب في الجاهلية : مِن عبادة الأوثان، وقتْل الأنفس، وظُلم القويِّ للضعيف.

٣. عرض موجز عن أسباب الإسلام، وما أنعم الله عليهم به مِن ترْك ما كانوا عليه مِن جهْل، وعبادة الأوثان التي يصنعونها بأيديهم ثم يعبدونها.

٤. ذكْر السبب الذي دفعهم إلى ترك أوطانهم، لأنهم مُنعوا مِن ممارسة شعائر دِينهم.

٥. ثم اختار الآيات التي تتحدّث عن ميلاد عيسى # وهو أمْر مُهمّ عند النَّجاشي، لكونه مِن أتباعه.

تألّم عمرو بن العاص -قائد الوفد- لِمَا لقِيَه عرْض جعفر الصادق > مِن صدًى وأثرٍ طيِّب، فقال : والله لأُنبِّئنَّهم غدًا عيْبهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم. ثم غدا إلى النجاشي مِن الغد، فقال : أيّها الملِك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولًا عظيمًا. فأرسلْ إليهم فاسألْهم عمّا يقولون فيه؟ فلمّا دخلوا عليه، قال لهم : ما تقولون في عيسى بن مريم؟

قال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي بيده الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت، هذا العود.

وهكذا انتهت المواجهة لصالح المهاجرين، وحقّقت لهم مِن المكاسب ما لم يكونوا يتوقّعونه:

منها: أنه أصبح في علْم الجميع: أنهم جيران النجاشي، وأنهم تحت حمايته.

ومنها: شرح الإِسلام ومبادئه أمام الجميع؛ وهي فُرصة دعويَّة لم يكونوا يتوقّعون الحصول على مثْلها.

ومنها: الأثر الواضح الذي ترَكه القرآن الكريم في النّجاشي، الذي بكى حتى أخضل لحيَته، وكذلك أساقفته.

ومنها: إسلام النّجاشي ~ اسم النجاشي: أصحمة.

اتفقت الروايات على إسلامه، وإن كان غير معدود في الصحابة، لعدم رؤيته للنبي ﷺ. وممّا يدل على إسلامه: صلاة النبي ﷺ عليه، بالإضافة إلى مطالبة قومه له بالتّنحِّي عن المُلْك لترْكه دين النَّصرانية.

وكذلك رسوله الذي أرسله مع جعفر لدى عودته والمهاجرين مِن الحبشة، ليخبر رسول الله ﷺ بأنه أسلم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وسأل رسول الله ﷺ أن يستغفر له. وقد قام ﷺ بالدعاء له فقال: ((اللّهم اغفرْ للنَّجاشي)) ثلاثًا.

وقصّة صلاته ﷺ على النجاشي، مخرَّجة في الصحيحين؛ فعن أبي هريرة > : ((أنّ رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه. خرج إلى المصلّى فصفَّ بهم، وكبَّر أربعًا)).

وعن جابر بن عبد الله { قال: قال النبي ﷺ: ((قد تُوُفِّي اليوم رجل صالح مِن الحبش، فهلمَّ فصلُّوا عليه!)).

تاريخ عودة المهاجرين مِن الحبشة:

كانت الهجرة -كما مرّ معنا- حدثت في السنة الخامسة مِن البعثة، واستقرُّوا هناك إلى أن بلَغهم قوْل رسول الله ﷺ: ((إنّي رأيت دار هجرتكم ذات نخْل، بين لابَتيْن)) وهما الحرّتان. فرجع ثلاثة وثلاثون مِن المهاجرين إلى مكة، ومعهم ثماني نساء، فتوفِّي اثنان في مكة، وحبس منهم سبعة، وشارك في معركة بدر منهم أربعة وعشرون رجلًا.

أمّا الفوج الأخير مِن المهاجرين إلى الحبشة، فقد عادوا في السنة السابعة مِن الهجرة بعد فتح خيْبر مباشرة، وذلك بعدما أمرهم رسول الله ﷺ في كتابه الذي وجَّهه إلى النّجاشي، بالقدوم عليه.

بعض مِن آثار الهجرة إلى الحبشة، وفضائل المهاجرين إلى الحبشة، والمهاجرون إلى الحبشة مِن اليمن

مِن آثار الهجرة إلى الحبشة:

١. إسلام النّجاشي.

٢. الوفود القادمة مِن الحبشة.

قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلًا، أو قريبًا مِن ذلك، مِن النصارى حين بلغهم خَبَرُه مِن الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة. فلمَّا فرغوا مِن مسألة رسول الله ﷺ عمَّا أرادوا دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فلمَّا سمعوه فاضت أعينهم بالدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدَّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كُتبهم مِن أمْره. فلمَّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفَر مِن قريش، فقالوا: قبَّحكم مِن ركب، فلم تطمئنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينَكم، وصدَّقتموه بما قال! ما يفلح ركب أحمق منكم! فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم. لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه. لم نألُ أنفسنا خيرًا.

وقد صاحب عودة جعفر مع أصحابه مِن الحبشة وفْد كبير، ما بيْن الثلاثين إلى السَّبعين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وفي بعض الروايات: "قدم وفْد النّجاشي على رسول الله ﷺ فقام يَخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: ((إنّهم كانوا لأصحابي مُكرِمين، وإنّي أحبّ أنْ أكافِئَهم)).

٣. الرسائل المتبادَلة بيْن الرسول ﷺ والنَّجاشي:

بعْد صلح الحديبية، والهُدنة التي وقعت بين الرسول ﷺ وقريش قام بإرسال الرُّسل إلى ملوك العرب والعجم، يدعوهم إلى الإسلام. وكان عمر بن أميَّة الضمري هو رسول رسول الله ﷺ إلى النَّجاشي، إذ حمّله ﷺ كتابيْن:

أحدهما: يدعوه فيه إلى اتِّباعه.

والثاني: يدعوه فيه أنْ يزوِّجه أمَّ حبيبة. فأخذ الكتابيْن، وقبَّلهما، ووضعهما على رأسه وعينيْه، ونزل عن سريره تواضعًا، ثم أسلم وشهد شهادة الحق. وقد كتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ كتابًا يُخبره فيه بإسلامه.

فضائل المهاجرين إلى الحبشة:

لقد حاز مُهاجرو الحبشة على سبْق التَّضحية في سبيل الله تعالى؛ فهم أوَّل مَن فرَّ بدِينه تاركًا الأوطان والأهل والمال؛ لأنهم مُنعوا مِن إقامة شعائر دِينهم بأمن وأمان، بالإضافة إلى أنهم شاركوا أيضًا غيْرهم في فضْل الهجرة إلى المدينة. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وعن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري > قال: لقِيتْ أسماء بنت عميس عمرَ بن الخطاب > فقال: نِعم القومُ أنتم، لولا أنَّا سبقناكم بالهجرة. فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: ((بل لكُم الهجرة مرَّتيْن: هجرة إلى أرض الحبشة، وهجرة إلى المدينة)).

وعن عامر الشعبي قال: قالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إنَّ رجالًا يفخرون علينا، ويزعمون أنَّا لسنا مِن المهاجرين الأوَّلِين. قال: ((بل لكم هجرتان)).

المهاجرون إلى الحبشة مِن اليمن:

لقد ورد ذكْر الأشعريِّين بقيادة أبي موسى الأشعري، في مِهاجِرة الحبشة، وقد ظنَّ البعض أنهم خرجوا مِن مكة إلى الحبشة. وتذكُر بعض الروايات: أنهم أسلموا قديمًا، ولكنَّ رواية مسلم تُبيِّن ما حدث لأبي موسى وقومه حتى عُدُّوا مِن مُهاجرة الحبشة.

فعن أبي موسى الأشعري، قال: "بلغَنا مخرج النبي ﷺ فخرجنا مُهاجرين إليه: أنا وأخَوان، أنا أصغرهما. أحدهما: أبو بردة، والآخر: أبو رهم. إما قال: بعضًا، أو قال: ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلًا مِن قومي. فركبنا سفينة، فألقتْنا إلى النّجاشي بالحبشة، فوافقْنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إنَّ رسول الله ﷺ بعثَنا ها هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتى قدمْنا جميعًا. فوافقْنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيْبر، فأسْهم

لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيْبر شيئًا، إلّا لِمن شهد معه، إلّا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، فقسم لهم معهم)).

ويُمكن أن نستخرج مِن هذه الرواية الأمور التالية:

١. أنَّ هجرة الأشعريِّين كانت إلى النبي ﷺ بعدما سمعوا أنه هاجر إلى المدينة.

٢. أنَّ طريق هجرتهم كان الطريق البحريِّ؛ لأنهم ركبوا السفينة.

٣. أنَّ السفينة انحرفت بهم، وتغيَّر اتجاهها حتى رسَت بهم في موانئ الحبشة.

٤. أنَّ عددهم كان ثلاثة وخمسين، أو اثنيْن وخمسين.

٥. طلب جعفر منهم الإقامة معهم، حتى يذهبوا إلى الرسول ﷺ جميعًا.

٦. بيَّنت الرواية تاريخ القدوم، وهو في السنة السابعة مِن الهجرة.

إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب { الاختفاء في دار الأرقم، والحصار الظالم، ووفاة أبي طالب وخديجة، ووقفات مُهمَّة مِن سيرة خيْر البريَّة

عناصر الدرس

التَّعريف بحمزة ﷺ وسبب إسلامه وجهاده ونصرته لدِين الله

من هو حمزة؟

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم: عمّ الرسول ﷺ أسَد الله وأسَد رسوله، يُكنى: أبا عُمارة، وأبا يعلى أيضًا. أسلم في السَّنة الثالثة، وقيل: في السَّنة السادسة بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

كان أسنَّ مِن الرسول ﷺ بأربع سنين، وقيل: بسنتيْن، وقيل: بل كانا متعاصريْن.

سبب إسلام حمزة > :

روى ابن أبي حاتم: أنَّ حمزة بن عبد المطلب كان حَسَن الهيئة، مُهتمًّا بالصَّيد، وأنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بأبي جهْل، فوقع به أبو جهل وآذاه. فرجع حمزة مِن الصيد، وامرأتان تمشيان خلْفه، فقالت إحداهما: لو علم ذا ما صنع أبو جهل بابن أخيه أقْصر عن مِشيته. فالتفت إليهما، فقال: وما ذاك؟ قالت: أبو جهل فعَل بمحمد كذا وكذا.

فدخلته الحميَّة، حتى دخل المسجد، وفيه أبو جهل، فعلا رأسَه بقوْسه، ثم قال: "دِيني دِين محمد، إنْ كنتم صادقِين فامنعوني!.

وذكر ابن إسحاق: أنَّ أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ وهو بالصَّفا، فشجَّه وآذاه، فلم يردُّ عليه رسول الله ﷺ وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان تسمع الكلام.

وكان حمزة مولَعًا بالصَّيْد وأعزَّ فتًى في قريش. وعاد مِن صيْده بعد هذه الحادثة، فلمَّا مرَّ بالمولاة، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك مِن أبي الحَكم! وجَده جالسًا فآذاه، وسبَّه، وبلغ مِنه ما يَكره، ثم انصرف عنه، ولمْ يُكلِّمه محمد. فغضب حمزة، وذهب يبحث عن أبي جهل، فوجده جالسًا بيْن قريش، فضربه على رأسه بقوْسه حتى شجَّه. ثم قال: "أتشجَّه، وأنا على دِينه، أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليَّ إنِ استطعتَ!.

وتذكر الروايات: أنَّ حمزة بعْدما عاد إلى بيْته بات يُفكِّر فيما قاله، وكيف قاله؟ ولماذا يتْرك دِينه؟ وفي الصباح جاء إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه همَّه في ذلك، فجعل ﷺ يُحدِّثه ويُرغِّبه ويرهبه، حتى أسلم. وكان إسلامه نصْرًا للإسلام والمسلمِين، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا يُؤذون به رسول الله ﷺ.

جهاده ونُصْرته لِدِين الله:

كانت أوَّل سريَّة بعثها رسول الله ﷺ بقيادة حمزة، ورايَتة أوَّل راية عقَدها ﷺ.

شهد حمزة بَدرًا، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، قتَل عتبة بن ربيعة مبارزة. وشهد يوم أُحُد، واستشهد فيه؛ قتَله وحشيُّ بن حرب الحبشيّ. وكان يوم قُتل عمُره تسعًا وخمسين سنة. ودُفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش، في قبْر واحد.

وقد مُثِّل بالشهداء يوم أُحُد، ومَثّلت به هند بنت عتبة، بل يُقال بأنّها بَقَرت بطنه، فأخرجت كَبِده، وجعلت تلوكُه ثم لفظته.

ولمّا رأى ﷺ تمثيل قريش بالشهداء قال: ((لئِن ظفرْتُ بقريش لأُمثِّلنَّ بثلاثين منهم))، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦، ١٢٧].

تأثّر ﷺ بوفاة عمِّه حمزة، وقال عنه: ((حمزة سيِّد الشهداء)). وقد وصَفه ﷺ بقوله: ((رحِمك الله أي عمّ، فلقد كنت وصولًا للرَّحِم، فَعولًا للخيْرات)). ولمَّا رأى ﷺ النساء يبكين موتاهنَّ، قال: ((لكن حمزة لا بواكيَ له)).

فرضي الله عن أبي عمارة وأرضاه، على ما بذَلَه مِن نُصرة الدِّين، وجمَعنا معه الجِنان في أعلى علِّيِّين.

وقال ﷺ حين وقف عليه: ((لنْ أُصاب بمثْلك أبدًا)). وقد صلّى ﷺ عليه وعلى الشهداء، فأُتي بحمزة وشهيد، فصلّى عليهما، ثم رُفع الشهيد وبقي حمزة، فأُتي بشهيد آخَر وصلّي عليه وعلى حمزة. وهكذا جيء بالشّهداء شهيدًا شهيدًا، حتى صلّى على حمزة يومئذٍ سبعين صلاة.

التعريف بعُمر رضي الله عنه وسبب إسلامه

مَن هو عُمر؟

هو: عُمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزَّى، القرشيّ، العدويّ، أبو حفص: ثاني الخلفاء الرّاشدين > ومِن عظماء التاريخ الذين شهد لهم العدوّ قبْل الصديق بالعبقرية، وبالأمانة والحزْم والصِّدق وبُعْد النّظر. كان مِن أشراف قريش في الجاهلية، وإليه كانت السّفارة والمنافرة والمفاخرة.

سبب إسلام عُمَر < :

أسلم عُمَر في السَّنة السادسة مِن البعثة، وكان عمُره ستًّا وعشرين سنة. وكان مِن أشدِّ الناس على المسلمين. وكان ﷺ يُحبُّ إسلامه كما يُحبُّ إسلام غيْره، وقد قال ﷺ: ((اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ الرَّجُليْن إليك: عُمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام)). فكان أحبّهما إلى الله: عُمر بن الخطاب، أما عمرو بن هشام "أبو جهل" فقد قُتل يوم بدر كافرًا -والعياذ بالله-.

كان عُمر قبْل أنْ يُسلم يسوم المسلمين سوء العذاب، وخاصَّة مَن هم حوْله.

قال سعيد بن زيد، وهو ابن عمِّ عُمر، وزوج أخته: "والله لقد رأيتُنا، وإنَّ عُمر يوثِقني وأختَه على الإسلام، قبل أنْ يُسلم".

وروى ابن إسحاق: أنَّ ليلى أمَّ عبد الله، زوجة عامر بن ربيعة، قالت: "والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عُمر -وهو على شِرْكه- حتى وقف عليَّ، وكنا نَلقَى منه البلاء، فقال: أتنطلقون يا أمّ عبد الله؟ قالت: نعم. والله لَنَخرُجنَّ في أرض الله؛ فقد آذيتمونا وقهرْتمونا، حتى يجعل الله لنا مَخرجًا. قالت لزوجها: لو رأيت عُمر ورِقّته وحُزنه علينا... قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قلت: نعم. فقال: لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطَّاب".

هكذا كان عُمر شديدًا على المسلمين، لا يأملون منه الإسلام، ولكنَّ نور الإيمان إذا خالط بشاشة قلْب الإنسان طرَد كلَّ ظُلْمة كانت بقلْبه.

وخلاصة ما قيل في سبب إسلام عمر بن الخطاب < :

أنه خرج يومًا يريد قتْل النبي ﷺ فلقِيَه رجل، فقال: أين تعمَد يا عُمر؟ قال: أريد أنْ أقتل محمدًا. قال: كيف تأمن بني هاشم وبني زهرة، وقد قتلْت محمدًا؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوْت وتركْت دينك الذي أنت عليه. قال: أفلا

أدُلّك على العجَب يا عُمر؟ إنّ أختك وختَنك قد صَبَوَا وتركا دِينك الذي أنت عليه. فمشى عُمر حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها (طه)، يُقرئهما إيَّاها. فلما سمع خباب حِسَّ عُمر توارى في البيت، وسترت فاطمة -أخت عُمر- الصحيفة، وكان قد سمع عُمر حين دنا مِن البيت قراءةَ خباب إليهما. فلمَّا دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثًا تحدّثناه بيْننا.

قال: فلعلّكما قد صبوْتما؟ فقال له ختنه: يا عمر، إنْ كان الحقُّ في غيْر دينك؟ فوقف عُمر على ختَنه، فوطِئه وطْئًا شديدًا. فجاءت أُخته فرفعَته عن زوجها. فضربها حتى شجَّ رأسها، فقالت وهي غضبى: يا عُمر. إن كان الحق غيْر دينك. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله.

فلمّا يئس عُمر، ورأى ما بأخته مِن الدّم، ندِم واستحيى؛ فكانت هذه اللحظات العاصفة لها الأثر في نفْس عُمر، حيث عرف أنّه ارتكب حماقة في حقّ أخته وفي حقّ زوجها ابن عمه، فندم. فقال عمر: اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه. فقالت أخته: إنك رِجْس، ولا يمسّه إلا المطَهّرون! فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، وبدأ يقرأ بعد البسملة: ﴿ طه ﴾ [طه: ١] إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]. فقال: ما أحْسن هذا الكلام وأكرَمه! دُلّوني على محمد! فلمّا سمع خباب كلام عُمر، بشّره بدعوة الرسول ﷺ. فدلّوه على مكانه، فذهب إليه وأعلن إسلامه.

وكان إسلام عُمر نصرًا للإسلام والمسلمين وعِزًّا؛ فقد أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام، وسمَّاه الرسول ﷺ: "الفاروق". وقال ابن مسعود > : "ما كنّا نقْدر أنْ نُصلّي عند الكعبة، حتى أسلم عُمر". وقال: "ما زِلنا أعزّة منذ أسلم عُمَر".

وعن صهيب بن سنان > قال: "لمّا أسلم عُمَر ظهر الإسلام ودُعي إليه علانية، وجلسْنا حول البيت حِلقًا، وطُفنا بالبيت. وانتصفنا ممَّن غلظ علينا، ورددْنا عليه بعض ما يأتي به".

وعن ابن عباس } : "نزل جبريل # على النبي ﷺ قال: يا محمد، لقد استبشر أهْلُ السماء بإسلام عمر" رواه ابن ماجه.

الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، والحِصار الظَّالم لبني هاشم وبني المطَّلب

مَن هو الأرقم؟

الأرقم بن أبي الأرقم، وأبوه اسمه: عبْد مناف بن أسد المخزوميّ: كان مِن أوائل مَن أسلم. شهِد بدرًا والمشاهد كلِّها مع رسول الله ﷺ. وكان من عقلاء قريش. وقد استخفى النبي ﷺ في داره. وعن الأرقم: أنه تجهَّز يريد بيت المقْدس، فلمّا فرغ مِن جهازه جاء إلى النبي ﷺ يودِّعه. فقال: ((ما يُخرجك؟ حاجةٌ أو تجارة؟)). قال: لا والله يا نبيَّ الله! ولكنْ أردت الصلاة في بيت المقْدس. فقال النبي ﷺ: ((الصَّلاة في مسجدي خيْرٌ مِن ألْف صلاة فيما سواه، إلَّا المسجد الحرام)). فجلس الأرقم ولمْ يخرج.

وقد أعطى النبي ﷺ الأرقم سيفًا يُقاتل به يوم بدر، واستعمله ﷺ على الصدقات. توفّي > بالمدينة، وصلّى عليه سعد بن أبي وقاص سنة ثلاث وخمسين، وله ثلاث وثمانون > .

موقع دار الأرقم:

كانت تقع عند الصّفا، وعُرفت بعد ذلك بدار الخيزران. وقد بُني مسجد في المكان الذي كان ﷺ مُختبئًا فيه. وفي هذه الدار أسلم عُمَر بن الخطاب وجمْع مِن الصحابة، وظلّ ﷺ بها حتى تكامل عدَد الصحابة أربعين، وخرجوا.

ومِن فضائل هذه الدار:

أنها كانت المدرسة الأولى لِتلقّي التربية والدروس مِن الرسول ﷺ. وذكَر المباركفوري استنتاجًا: لماذا اختار ﷺ هذه الدار لِيَلْتقي بأصحابه فيها؟ فقال: "لأنَّ الأرقم لمْ يكنْ معروفًا بإسلامه، ولأنه مِن بني مخزوم التي تَحمل لواء التنافس والحرْب ضدَّ بني هاشم، إذ يُستبعَد أنْ يَختفي الرسول ﷺ في قلْب العدوّ، ولأنه كان فتىً صغيرًا عندما أسلم في حدود الستّ عشرة سنة، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة".

يُضاف إلى ذلك: أنَّ الدار كانت بالقُرب مِن الصّفا وتَكثر حول هذه المنطقة الحركة، فلو وُجدت حركة حولها لمْ يكنْ في ذلك شُبهة. وكان دخوله ﷺ لهذه الدار في السنة الخامسة مِن البعثة، وكانت مُدّة إقامتهم في هذه الدار شهرًا. وكان إسلام حمزة يوم ضُرب أبو بكر.

وممَّا له صلة بهذه الدار: ما روته عائشة < قالت:

((لمّا اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا ألحّ أبو بكر < على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر، إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يُلحَّ عليه حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، كلّ رجُل في

عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس؛ فكان أوّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ)).

"وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا. ووُطِئ أبو بكر، وضُرب ضربًا شديدًا. ودنا منه الفاسق عُتبة بن ربيعة، فجعل يضْربه بنعليْن مَخصوفيْن حتى ما يُعرف وجهه مِن أنفه. وجاءت بنو تيم يتعادَوْن فأجْلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يَشكُّون في موته. ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لَنقتُلنَّ عتبة بن ربيعة. وكان أوَّل شيء تكلَّم به أبو بكر: سؤاله عن رسول الله ﷺ فسأل أمّه. فقالت: والله ما لي علْم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أمِّ جميل بنت الخطاب، فاسأليها عنه. فخرجت حتى جاءت أمُّ جميل. فقالت: إنَّ أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله. وإنْ كنتِ تحبِّين أنْ أذهب معك إلى ابنك. فقالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا. فدنت أمُّ جميل منه وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إنّ قومًا نالوا هذا منك لأَهل فِسق وكفر! وإني لأرجو أنْ ينتقم الله لك منهم. قال: ما فعَل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمّك تسمع. قال: فلا شيء! دعيك منها! قالت: سالم صحيح. قال: فأين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإنَّ لله عليَّ أنْ لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا، حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكَن الناس، خرجنا به يتّكئ علينا، حتى أدخلناه على رسول الله ﷺ".

الحِصار الظّالم لبني هاشم وبني المطَّلب:

المقاطعة العامَّة:

تقدّم الحديث عن المقاطعة التّامّة لبني هاشم وبني المطّلب، لوقوفهم صفًّا واحدًا للدّفاع عن رسول الله ﷺ في الأساليب التي اتَّبعتْها قريش في الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية، ولكنْ نشير هنا إلى أنها بدأت في السنة السابعة مِن البعثة، وانتهت في السنة العاشرة منها. ذكر أصحاب السِّير: أنه لَمَّا رأت قريش أنَّ الصحابة قد نزلوا أرضًا أصابوا بها أمنًا، وأنَّ عُمر وحمزة أسلما، وأنَّ الإسلام فشا في القبائل أجمعوا على أنْ يقتلوا الرسول ﷺ. فبلغ ذلك أبا طالب، فجمَع بني هاشم وبني المطّلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شِعبهم، ومنعَه مِمّن أراد قتْله، فأجابوه لذلك، حتى كفارهم فعلوا ذلك حميَّة على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أنْ لا يعاملوهم، ولا يناكحوهم، حتى يسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة؛ ثلاث سنوات مِن الحصار الظّالم حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء مِن الأقوات إلَّا خفْية حتى إنهم كانوا يُؤذون مَن اطَّلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئًا مِن الصِّلات، **إلى أنْ قام في نقْض الصحيفة نفَر مِن قريش، وهم**: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أبي أميَّة، والمطعم بن عديّ، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري بن هشام بن الحارث؛ وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات الأرحام.

وذكَر ابن هشام: أنَّهم وجدوا الأرَضة قد أكلتْ جميع ما فيها، إلا اسم الله تعالى. وابن إسحاق وغيره يقولون بأنّها أكلت كلَّ ما فيها مِن اسم الله تعالى.

وكان أبو لهب -عدوّ الله- يقول: "يا معشر التّجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئًا، فقد علِمتم مالي ووفاء ذمَّتي، فأنا ضامن أنْ لا خسار عليكم!" (تعويض الدِّول المتضرّرة)!.

وفاة أبي طالب، وما تركتْه مِن أثر في رسول الله ﷺ ووفاة السّيِّدة خديجة >

مات أبو طالب سنة عشر مِن البعثة بعد الخروج مِن الحِصار الظالم في رَجب، وقيل: في رمضان قبل وفاة خديجة > بثلاثة أيام.

وفي الصحيح عن سعيد بن المسيِّب: أن أبا طالب لَمَّا حضرتْه الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أميَّة وأبو جهل بن هشام. فقال له النبي ﷺ: ((إنك أعظم الناس عليَّ حقًا، وأحْسنهم عندي يدًا، ولأنت أعظم عليَّ حقًا مِن والدي؛ فقُل كلمة تَجبُ لك بها الشَّفاعة يوم القيامة. قلْ: "لا إله إلاّ الله")).

فقالا له: أتَرْغب عن مِلَّة عبد المطَّلب، فقال: أنا على ملَّة عبد المطَّلب، ومات. فقال رسول الله ﷺ: ((والله لأستغفِرَنَّ لك ما لمْ أُنْهَ عنك))؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

ثم نزلت الآية الأخرى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمِّه: ((قُل: "لا إله إلّا الله"، أشْهَد لك بها عند الله يوم القيامة))، فقال: لولا أنْ تُعَيِّرَني قريش فيقولون: إنما حَمَله

على ذلك الجَزَع لأقررت بها عيْنك ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾)) (صحيح مسلم).

ورُوي عن العباس بن عبد المطّلب قال : ((أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، عمّك أبو طالب كان يغضب لك ويمنعك ، هل ينفعه ذلك؟ قال : نعم ، هو في ضحضاح. ولولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل مِن النار)).

وفي مسلم ، من حديث ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : ((أهْون أهْل النار عذابًا أبو طالب ، وفي رجليْه نعلان مِن نار يغلي منهما دماغه)).

هذا ما صحَّ في شأن أبي طالب : أنه مات على ملَّة عبد المطَّلب. أمَّا الروايات الأخرى التي فيها أنه قال : "لا إله إلَّا الله" عند موته ، فلم يصحّ فيها شيء.

ليس هناك مِن شكٍّ فيما قدَّمه أبو طالب لرسول الله ﷺ مِن الحياطة والمنْع ، فقد كان الحصن الذي تحتمي فيه الدعوة الإسلامية مِن هجمات الكبراء والسُّفهاء.

وقد تلمَّس بعضهم بعض الحِكَمْ : أنّ الله تعالى شاء أنْ لا يُسلم أبو طالب ، ويموت على الكفْر قبل قيام الدولة الإسلامية بثلاث سنوات ، لئلا يتوهَّم أحَدٌ أنّ أبا طالب كان وراء قيامها.

ويُمكن أنْ يلحق بذلك أمْر آخَر ، وهو : أنَّ مُقاربة الصالحين لا يترتَّب عليها صلاحُ مَن أراد الله له الشقاوة : فهذا ولد نوح # كان مِن المُغرَقين ، وهذه امرأة لوط كانت مِن المَرجومين ، وهذا عمُّ الرسول ﷺ مات على ملَّة الكافرين.

وفاة السِّيِّدة خديجة > :

بعد حياة حافلة بالجهاد والتَّضْحية انتقلت أمُّ المؤمنين السيدة خَديجة > إلى رحمة الله ، وما عند الله خيْر للأبرار ؛ فقد كانت للرسول ﷺ بمنزل الوَزير

النَّاصح، والزوجة الحَنُون التي تريد أنْ توفِّر لزوجها كلّ سُبُل الراحة. فقد كانت وزيرة صِدق للنبي ﷺ على الإسلام، وكان يسكن إليها. وهي أمُّ أولاده كلّهم إلّا إبراهيم. وقد كان ﷺ يُحبّها ويُكِنُّ لها كلَّ الاحترام، وكان دائما يتذكَّرُها ويُثْنِي عليها، ويَودُّ صديقاتها ويحترمهن، وعندما يراهنَّ يتذكَّر أيامه مع خديجة > .

وقد عاشت مع الرسول ﷺ رُبع قرْن مِن الزمان، حيث توفِّيَت على الرَّاجح في السنة العاشرة مِن البعثة. وقد كانت وفاتها وأبي طالب في أسبوع واحد، بعد خروج بني هاشم وبني المطَّلب مِن الحصار الظَّالم بأيام قلائل، وقيل: شهر ونصف، وقيل: شهر وخمسة أيام. ودُفنت بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في قبْرها، ولم تكُن الصلاة على الجنائز قد شُرعت. وكان عُمرها عندما توفِّيت خمْسًا وستين سَنة.

وفضائلها كثيرة: فهي سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وقد بشَّرها ﷺ بقصْر مِن قصَب في الجنّة > .

المساومة الأخيرة، زواجه ﷺ مِن سَودْة >

لما علمت قريش بمرض عمِّ الرسول ﷺ ذهب زُعماؤُها إليه، فقالوا: يا أبا طالب، إنك مِنَّا حيث قد علِمتَ، وقد حضَرك ما تَرى، وتَخَوَّفْنَا عليك. وقد علمْت الذي بيننا وبيْن ابن أخيك؛ فادْعُه فخُذ له منَّا وخُذ لَنا منه، ليكُفَّ عنَّا ونَكُفَّ عنه، وليدَعنا وديننا، ونَدَعه ودِينه. فبعث إليه أبو طالب، فجاءه. فقال: "يابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك، ليُعطوك وليأخذوا منك". قال: فقال رسول الله ﷺ: ((نعَم، كلمة واحدة تُعطونيها تَملِكون بها العرَب وتَدين لكم العَجَم)). فقال أبو جهل: "نعَم، وأبيك وعشر كلمات!". قال:

((تقولون: "لا إله إلَّا الله"...)). قال: "فصفَّقُوا بأيديهم. ثم قالوا: "أتريد أنْ تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إنَّ أمْرَك لعَجَب!" فقال بعضهم لبعض: "إنه والله ما هذا الرجل بمُعطيكم شيئًا ممّا تريدون".

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ١- ٥].

زواجه ﷺ مِن سَوْدة < :

هي: سَوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامريّة القرشيَّة، وأمُّها: الشموس بنت قيس، مِن بني النجار. تزوّجها السّكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت قديمًا هي وزوجها، وخرجَا جميعًا مهاجرَيْن إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية. مات زوجها بأرض الحَبَشة، أو بعد الرجوع إلى مكة.

أمَّا زواج الرسول ﷺ منها، فقد ذُكر أنَّ خولة بنت حكيم السُّلمية امرأة عثمان بن مظعون أتتْ إلى رسول الله ﷺ فقالت له: ((يا رسول الله، كأنِّي أراك قد دخلتْك خلّة لفقْد خديجة. فقال: أجَل! كانت أمَّ العيال وربَّة البيت. قالت: أفلا أخطُب عليك؟ قال: بلى، فإنّكنَّ معشر النِّساء أرْفق بذلك. فخطبت عليه سودة. فقالت لرسول الله ﷺ: أَمْرِي إليْكَ. فقال لها: مُرِي رجُلًا مِن قومك يُزوِّجك. فأمَرت حاطب بن عمرو، فزوَّجها)). فكانت أوَّل امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ بعد خديجة. وكان ذلك في رمضان سنة عشر. وانفردت به نحوًا مِن ثلاث سنين حتى دخل بعائشة.

فلمَّا كبرت، وأصبحت لا رغبة لها في الرجال، وخافت مِن الرسول ﷺ أنْ يُطلِّقها طلبت منه إبقاءها ضِمْن زوجاته، وأنّها وهبت يومها لعائشة < ؛ وفي ذلك أنزل الله: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

وعن عائشة < قالت: "ما رأيتُ امرأة أُحِبُّ أنْ أَكُون في ملاحَتِها وزُهدها وصلاحِها مِن سودة" أخرجه مسلم.

وكانت تُضحك النبي ﷺ فقالت له يومًا: ((صلّيْت خلْفك البَارحة فركعتَ بِي حتى أمسكتُ بأنفي مخافة أنْ يقطر الدّم. فضحك النبي ﷺ)).

حج ﷺ حجَّة الوداع بنسائه، قال: ((هذه الحجَّة، ثم ظهور الحصر)). قال أبو هريرة: فكان نساء النبي ﷺ بعد ذلك يحجُجن، إلا سَوْدة بنت زَمْعة وزينب بنت جحش، قالتا: "لا تحرِّكنا دابة بعد رسول الله ﷺ".

وبعث عُمر بن الخطاب بغرارة مِن دراهم إلى سَودة، فقالت: "ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في الغرارة مثْل التّمر! ففرّقتْها.

واختُلف في تاريخ وفاتها، فقيل: في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية. وقيل: توفّيت في خلافة عُمر بن الخطاب. ورجَّح الواقدي القول الأوَّل > .

هجرته ﷺ إلى الطّائف، وعوْدته ﷺ إلى مكة

قال ابن إسحاق: لَّما هلك أبو طالب نالت قريش مِن رسول الله ﷺ مِن الأذى ما لمْ تكُن تناله منه في حياة عمِّه. خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النُّصرة من ثَقِيف، والمَنَعَة بهم مِنْ قَومه، ورَجَاء أنْ يَقبَلوا منه الإسلام.

ورُوِيَ أنَّ خروجه إلى الطَّائف كان بعد وفاة خديجة < بثلاثة أشهر وثمانية أيَّام. وتذْكر بعض الرِّوايات أنّه خرج ومعه زيد بن حَارثة.

وذكر ابن إسحاق: أنه ﷺ عندما ذَهب إلى الطَّائف الْتقى سادة ثقيف إذ ذاك، وهم: أبناء عمرو بن عُمير عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، وعرض عليهم الإسلام، فلمْ يقبلوا منه، بل سَخِروا منه. وعندما يَئِس من خيْر ثقيف، طلب

منهم أنْ يَكْتموا عنه ما دار بينهم حتى لا يُثيروا عليه النَّاس، ولكنّهم لمْ يفعلوا، وأغْرَوا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا في سبِّه والصّياح به حتى اجتمع عليه الناس، وألجَئوه إلى حائط لعُتبة وشَيبة ابنَيْ ربيعة، وهما فيه. ورجع عنه ما كان يَتبَعه مِن سفهاء ثَقِيف، وجلس في ظلِّ شجرة عِنب، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقِي مِن سفهاء الطائف.

وعندما رآه ابنا ربيعة على هذه الحال تحرَّكت فيهما عاطفة الرَّحمة، فأمرا غلامًا نصرانيًّا -يُدعى عدَّاسًا- أن يقدِّم له عِنبًا. وتعجَّب عَدَّاس مِن قول النبيﷺ: ((باسم الله)) قبْل أنْ يَأكل، فأعلمه الرسول ﷺ بأنه نَبِيٌّ، فأخذ يقبِّل رأسَ النبي ﷺ وقَدَميْه ويَديْه.

وجاء ابنا ربيعة أنْ يَصُدَّاه عن النبي ﷺ قائلَيْن له: "لا يَصرفنَّك عن دينك! فإنَّ دِينك خيْرٌ مِن دينه".

وفي رواية: إنَّ سفهاء الطائف قعدوا صَفَّيْن للرسول ﷺ على طريقه، فلما مرَّ بيْن صَفَّيْهم جعلوا لا يرفع رجليْه ولا يضعهما إلاّ رَضَخُوهما بالحِجارة، حتى أدْمَوا رجليْه. وكان ذلك مِن أشدِّ ما لقِي النبي ﷺ.

فعن عائشة < قالت: سألت رسول الله ﷺ فقلت: هَل أتى عليك يوم كان أشَدَّ عليك مِن يوم أُحُد؟ قال: ((لَقِيت مِن قومك ما لقِيت. وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العَقَبة، إذ عرَضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يُجبْني إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مَهْمُوم على وَجْهي، فلمْ أسْتَفِق إلا وأنَا بقَرْن الثَّعالب. فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتْني، فنظرْت، فإذا جبريل. فناداني فقال: إنّ الله قد سمِع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملَك الجبال. فسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد، إنْ شئتَ أنْ أُطبِق عليهم

الأخْشبيْن؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أنْ يُخرج الله مِن أصلابهم مَن يَعبُد الله وحده، ولا يُشرك به شيئًا)).

وكان ﷺ بعدما أيس مِن أهل الطائف واستقر تحت ظلِّ شجرة العِنب رفع يديْه إلى السماء وقال الدعاء التالي، وهو دعاء الكرْب، فقال ﷺ: ((اللهم إليك أشكو ضعْف قوَّتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المُستضعَفين، وأنت ربي. إلى مَن تكِلني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمني؟ أم إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمْري؟ إنْ لم يكُن بك عليَّ غضب فلا أبالي. ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمْر الدنيا والآخرة، مِن أنْ تُنزل غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك)).

وكانت إقامته بالطائف عشرة أيام، كما ذكر ذلك ابن سعد في "الطبقات"، وقيل: كانت إقامته بالطائف شهرًا.

عوْدته ﷺ إلى مكة:

مَكث ﷺ الفترة التي مكثها في الطائف، سواءً كانت عشرة أيام أمْ شهرًا، إلا أنه كان حزينًا لموقف ثَقِيف، ولِمَا يتوقَّع مِن قريش عند عودته إلى مكة. وفي طريقه ﷺ جاءه ملَك الجبال، كما تقدَّم.

أقام ﷺ أيامًا بوادي نخلة، وهو بالقرب من مكة (السيل الكبير)، وخلال إقامته هناك أرسل الله إليه نفرًا مِن الجنِّ، ذكرهم الله في موضعيْن مِن القرآن:

الموضع الأول: في سورة (الأحْقَاف): ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣١].

والموضع الثاني: في سورة (الجنِّ): ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ١- ٣] إلى الآية الخامسة عشرة.

وأمام هذه البِشارات التي تَضمَّنتها هذه الآيات، والتَّأييد الذي بعثه الله إليه مِن مَلَك الجِبَال، إلى إسلام النَّفر مِن الجنِّ- انقَشَع الحُزن عن رسول الله ﷺ، وقرَّر العَودة إلى مكة المكرمة. فقال له زيد، مولاه ورفيق دربْه: ((كيف ندخل عليهم وقد أخرجوك؟ -يعني قريشًا- فقال: يا زيد، إنَّ الله جَاعِل لِمَا ترى فَرَجًا ومَخْرجًا. وإنَّ الله نَاصر دِينه ومُظْهِر نَبِيَّه)).

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا دنا مِن مكة، مكث بحراء، وبعث رجلًا مِن خُزَاعة إلى الأَخْنَس بن شَرِيق لِيُجيره. فقال: أنا حَلِيف، والحَلِيف لا يُجير.

فبعث إلى سُهَيل بن عمرو، فقال سُهيل: إنَّ بَنِي عامر لا تُجير على بني كَعب. فبعث إلى المُطْعِمْ بن عَديٍّ، فقال المُطْعِم: نعم، ثم تَسلَّح ودَعا بَنِيه وقَومه، فقال: البسوا السِّلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإنِّي قد أجَرْتُ مُحمدًا. ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أنِ ادخُلْ، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حَارثة،

حتى انتهى إلى المسجد الحرام. فقام المُطْعِمْ بن عَديٍّ على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قدْ أجرْت محمدًا فلا يُهجِه أحد منكم. وانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاسْتَلمه، وصلَّى ركعتيْن وانصرف إلى بَيتِه، ومطعم بن عديٍّ وولده مُحدقون به بالسلاح، حتى دخل بَيْتَه.

وقيل: إنَّ أبا جهل سأل مُطْعِمًا: أمُجير أنت أم مُتَابع؟ قال: بل مُجير. قال: قد أجَرْنا مَن أجرْت.

وكان ﷺ يذْكر هذا المَوقف النَّبيل للمُطْعِم بن عَديٍّ، فقال في أَسْرَى بدْر: ((لو كان المُطعم حيًّا ثم كلَّمَني في هَؤلاء النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُم له)).

الإسراء والمعراج

عناصر الدرس

الإسراء والمعراج معجزتان من معجزات النبي ﷺ تاريخ الإسراء والمعراج وتعريف الإسراء والمعراج والأدلّة على ثبوت الإسراء والمعراج

إنّ الإسراء والمعراج معجزتان، ثابت وقوعهما بالكتاب والسُّنّة والإجماع. وفي الإسراء والمعراج عَزَاء وتسْلية لِما أصابَ رسول الله ﷺ في عام الحُزن، مِن فَقْد عَمِّه المُنَافِح والمُحَامي عنه أبي طالب، وزوجه الوفيّة الودود: خديجة بنت خويلد < وكانت بَلسَمًا شَافيًا لشَكْواه مِمّا لَقِيَه مِن عِناد كفار قريش في مكة، وغِلظَة كُفّار ثَقِيف في الطّائف. وهي رحلة مُباركة خَرَقَت مقاييس الزّمَان والمَكان، وربَطَت بيْن الرسالة المحمّدية ومُقدّسات الأرض، ووثّقَت صِلتها بِوَحْي السّماء.

أولًا: تاريخ الإسراء والمعراج:

١. ذهب البعض إلى أنّ الإسراء والمعراج كانا قبْل الهجرة بسَنَة. وهو قول الزُّهْري، وعُرْوَة بن الزُّبير، وابن مسعود. وادّعى ابن حَزم الإجماع على هذا القول.

٢. وقيل: قبل الهجرة بسنتيْن.

٣. وقيل: بثلاث؛ وهو ما سار عليه ابن إسحاق.

والقول الأول -هو الذي رجّحه المُحَقِّقون- مِن المُتقَدِّمين والمُتأخِّرين. وكان الإسراء والمعراج في شهر ربيع الأول يوم الاثنين، الثاني عشر منه. عن جابر وابن عباس { قالا: "وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، يوم الاثنين الثاني عشر مِن ربيع الأول، وفيه بُعث، وفيه عُرج به إلى السماء، وفيه هاجر".

ثانيًا: تعريف الإسراء والمعراج:

١ـ **الإسراء:** هو السَّيْر عامّة الليل، وهو إذْهَاب الله بَنبِيّه محمد ﷺ مِن المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقُدس، في جزء مِن الليل، ثم رجوعه مِن لَيْلته.

٢ـ **المعراج:** هو السُّلَّم. "مِفْعَال" مِنَ العُرُوج، أيْ: الصُّعود. وهو: إصْعَادُه ﷺ مِن بيت المَقْدس إلى السّماوات السّبع وما فوقها، حيثُ فُرِضَت عليه الصّلوات الخَمس، ثمّ رُجُوعه إلى بَيتِ المَقدس في جزءٍ منَ الليل.

ثالثًا: الأدلّة على ثبوت الإسراء والمعراج:

أـ **الإسراء:** ثابت بالقرآن والأحاديث الصّحيحة:

أمّا القرآن: ففي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، والأحاديث سَتَرِدُ -إنْ شاء الله.

بـ **المِعْرَاج:** فهو ثابت بالأحَاديث الصّحيحة، ويرى بعض العُلماء أنّ المِعراج -وإنْ لَم يَثْبُت بالقرآن صَراحة- فقد أُشِير إليه في سورة (النّجم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣- ١٨]. والمرئيّ هنا: جبريل # رآه ﷺ على الهيئة التي خُلق عليها.

أمّا الأحاديث، فسيأتي الحديث عنها -إن شاء الله.

وذكر سَيِّد قُطب ~ في كِتابه (الظلال) الحِكْمة في الإسـراء برسـول الله ﷺ إلى بَيت المَقدس أولًا، فقال: "الرّحلة مِن المسجد الحـرام إلى المسجد الأقْصى رحلـة مُخْتارة مِن اللطيف الخبير، تـربط بـين عقائِدِ التوحيـد الكـبرى مِـن لَـدُن إبـراهيم # إلى محمد خاتم النّبيِّين ﷺ، وتـربط بـيْن الأمـاكن المُقَدَّسـة لـدِيَانات التّوحيد جَميعًا؛ وكَأَنّما أريد بهذه الرِّحلة العَجيبة إعْلان وَرَاثة الرَّسُـول الأخير لمقدَّسـات الرُّسُل قبْله، واشتمال رسالته على هذه المقدّسات، وارتباط رسالته بها جميعًا".

الإسراء والمعراج بـالجسد والرُّوح وبعض الأحاديث الـواردة في الإسراء والمعراج

أولًا: الإسراء والمعراج بالجسد والرُّوح:

جمهور العلماء سَلفًا وخَلفًا على أنّ الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنّهُما كانا في اليَقظة بجسده وروحه؛ وهذا هو الذي يـدلّ عليه قولـه تعـالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾، والعبْد: الرّوح والجسد.

وفي الأحاديث الصحيحة:

١. أنـه شُـقَّ صَـدْرُه الـشّريف، ورَكِـب البُـرَاق، وعُـرِج بـه إلى الـسماء، ولاقَـى الأنبياء، وفُرِضَت عليه الصّلوات الخَمْس، وأنّ الله كلَّمَه، وأنَّه صَار يَرجع بيْن موسى # وبيْن ربه ﷻ ممّا يُؤَكد أنّ الإسراء كان بجسده وروحه، وأنه يَقظَة.

٢. وهـو مَـرويّ عـن بعـض أهـل العِلـم، أنّ الإسـراء كـان بـالروح دون الجـسد، ونُسب هذا القول إلى السّيدة عائشة أمّ المؤمنين > أنها قالت: "ما فقدْت جسد رسول الله ﷺ ولكنْ أُسرِيَ بروحه".

وقد ضَعّفَ القَاضي عِياض هذا الحديث سَنَدًا ومَتنًا، وقال: ابن دِحْيَة بِوَضْعِه.

ومّما يُضَعِّفُه: أنّ عائِشَةَ لمْ يكُن ﷺ قد دخل بها، فكيف يُنْسَب إليها أنّها قالت: لم أفْقد جسده؟!.

٣. وذهب قوم آخرون بأنّ الإسراء والمعراج كانا مَنامًا؛ وهو بعيد جِدًّا. وقد استدل أصحاب هذا القول بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قالوا بأن الآية تُشِير إلى الإسراء والمعراج، والرُّؤيا إنما تُطلق على المَناميّة لا البصريّة.

ويَردّ على هذا الاستدلال والاستنتاج ما رُوي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: "وهي رُؤيا عَين أُرِيَها رسول الله ﷺ ليلةَ أُسْري به. والشّجرة الملعونة: شَجْرة الزقوم"، (صحيح البخاري).

ويرى بعض المفسرين: أنّ الآية نزلت في صُلح الحُديبية بسبب رؤيا رسول الله ﷺ أنه دخل المسجد الحَرَام؛ وعلى هذا تكون الآية خارج محلّ الاستدلال.
وأيضًا لو كان الإسراء والمعراج مَنامًا، لَمَا كان فيهما شيء يُسْتَعْظَم، ولما بَادَرَ كفّار قريش إلى تكذيب رسول الله ﷺ، والتّعَجُّب ممّا قَال، لأنّ الرؤيا المَنامِيَّة لا يُحجَر عليها.

ثانيًا: بعض الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج:

لقد رَوى أحاديث الإسراء والمِعْراج كَثير منَ الصّحابة } وتلقّاها عنهم الرّواة العُدول، وأخرجها أصحاب الكُتُب الحديث، وكتب التفسير، والمَغَازِي، والسِّير.

وقد جاءت هذه الأحاديث عند البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، والبَيْهَقي، والطَّبَري، وغيرهم، وكذلك محمد بن إسحاق، وابن هشام، وموسى بن عُقبة، وغيرهم...

وسأذكر أجمَع هذه الأحاديث، كما قال السيوطي في كِتَابه (الآية الكُبرى في شرح قِصَّة الإسراء) ص٤٥، قال مسلم: حدثنا شَيبان بن فَرُّوخ، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البُنَاني، عن أنس > : أنّ رسول الله ﷺ قال: ((أُتِيْتُ بالبُرَاق، وهو دَابّة أبيض طويل، فوق الحِمار ودون البَغل، يضَع حَافِرَه عند منتهى طرْفه. قال: فركبْتُه حتى أتَيْتُ بيت المقدس، فربطتُه بالحَلَقة التي يَربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد. فصليت فيه ركعتيْن، ثم خرجت. فجاءني جبريل # بإناء مِن خَمر، وإناء مِن لبَن، فَاخترتُ اللّبَن، فقال جبريل: اختَرتَ الفطرة.

ثم عُرج بنا إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، فقيل: مَنْ أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: بُعث إليه ففُتِحَ لنا، فإذا أنَا بآدم، فرحّب بي ودعا لِي بخير. ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: مَنْ أنت؟ فقال: جبريل. فقِيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد. قِيل: وقد بُعث إليه؟ قال: بُعِث إليه. فَفُتح لنا، فإذَا أنا بابنَي الخَالة: عِيسى ابن مريم ويَحيى بن زكَريا، فرحّبا بي ودَعوَا لِي بخيْر.

ثم عُرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل مَن أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه؟ ففُتِح لنَا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أُعطِي شطر الحُسن. فرحّب بِي ودعا لي بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل. قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحّبَ بي ودعا لي بخير. قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عُرِج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهَارون، فرحّب بي ودعا لي بخير.

ثم عُرِج بنا إلى السماء السّادسة، فاستفتح جبريل، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحّب بي ودعا لي بخَيْر.

ثم عُرِج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِد ظَهْره إلى البَيت المَعْمُور، وإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون إلف مَلَك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المنتهى، فإذا ورقُها كآذان الفِيَلَة، وإذا ثَمَرُها كالقِلال.

قال: فلما غَشِيَها مِن أمْر الله ما غَشِيَ تغيّرت، فما أحد مِن خلْق الله يستطيع أنْ يَنْعَتَها مِن حُسنها. قال: فَأوحِيَ إليَّ ما أوحي. ففَرض عليَّ خمسين صلاة في كلّ يوم وليلة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال: ما فَرَضَ ربّك على أمّتك. قلت: خمسين صلاة. قال: ارجِع إلى ربك فاسْألْه التّخفيف، فإن أمّتك لا يُطِيقُون ذلك. فإني قد بَلَوتُ بني إسرائيل وجَرَّبْتُهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا ربي، خفِّف عن أمّتي، فحطّ عني خمْسًا. فرجعت إلى موسى، فقلت: حطَّ عنّي خمسًا. قال: إنّ أُمَّتَك لا يُطِيقُون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيف. فلمْ أزَل أرجع بيْن ربّي وبيْن موسى حتى قال: يا محمد إنَّهُنّ خَمْس صلوات لكلّ يوم وليلة، لكلّ صلاة عشرة؛ فتلك خمسون صلاة. ومَن همَّ بحسنَة فلمْ يَعمَلها كُتِبَت له حَسنة، فإنْ عمِلها كُتبت له عشرًا. ومن همَّ بسيئة فلمْ يعملْها، لم تُكتَب شيئًا، فإنْ عمِلها كُتِبت سيئة واحدة. فنزلتُ حتى

أتيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التّخفيف. فقلت: قد رجعت إلى ربّي حتّى استحيَيْت منه))، (صحيح مسلم).

ومن حديث في (صحيح البخاري): ((... فنزل جبريل، ففرّج صَدري ثمَّ غَسَلَه بماءِ زمزم، ثم جاء بطسْت مِن ذهب ممتلئ حِكمة وإيمانًا، فأفرغه في صَدري ثم أطْبَقه. -وفيه أنه أُدخِل الجنة- فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المِسك))، صحيح البخاري.

ومِن رواية البيهقي: ((لمّا جاءَ جبريل بالبُراق، فكأنّها أصَرت أذنيْها، فقال لها جبريل: يا بُراق، فوالله ما ركِبك مثْلُه))، دلائل النبوة.

وفي رواية لابن أبي حاتم في تفسيره: أنه ﷺ صلّى بالأنبياء، وهو إمام لهم في بيت المقْدس، وفي عودته من بيت المقدس، رأى عِيرًا لقريش.

ومن رواية لأحمد: ((ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا بأربعة أنهار: نهران بَاطنان. ونَهران ظَاهران. فقلت: وما هذا يا جبريل؟ قال: أما البَاطنان: فنَهران في الجنّة، وأما الظاهران: فالنِّيل والفُرات)).

موقف قريش مِن الإسراء والمعراج وموقف المسلمين منه

أولًا: موقف قريش مِن الإسراء والمعراج:

وفي صَبيحَة الإسراء والمعراج، جاء رسول الله ﷺ إلى قُريش فحدَّثَهم بقِصَّتِه، فقالوا بأنَّ هذا لأمر عجيب: إنّ العِير لتَطَّرِدُ شَهرًا مِن مكة إلى الشام مُدْبِرة وشهرًا مُقبلة، أفيَذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟! قال فارتدّ كثير ممّن كان أسلم. وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له: هل يا أبا بكر هذا

صاحبك يَزْعُم أنّه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة؟ فقال لهم أبو بكر: إنكم تَكذِبون عليه. فقالوا: بلى هو ذاك في المسجد يُحَدِّثُ به الناس. فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لَقَد صَدَق. فما يُعْجِبُكم مِن ذلك؟ فوالله إنّه ليُخبرني أنّ الخَبَر لَيَأتِيه مِن السّماء إلى الأرض في سَاعة مِن ليل أو نهار، فَأُصَدِّقُه؛ فهذا أبعد ممّا تعجبون منه. ثم أقبَل حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: ((يا نبي الله، أحدّثتَ هؤلاء القوم أنك جِئتَ بَيتَ المَقدس هذه اللّيلة؟ قال: نعم. قال: يا نبي الله فَصِفْهُ لِي، فإني قد جِئْتُه -قال الحسن: - فقال رسول الله ﷺ: فَرُفع لي حتّى نَظَرْتُ إليه -فجعل رسول الله ﷺ يَصِفُه لأبي بكر- ويقول أبو بكر: صَدَقْتَ، أشْهَدُ أنّك رسول الله. حتى إذا انْتَهَى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصِّدِّيق)). فيومئذ سمّاه الصّديق. قال الحسن: فأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه بذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ثانيًا: موقف المسلمين منه:

الموقف الأول: تذْكر بعض الرِّوايات الّتي لا يُعَوّل عليها صِحّةً: أنّ بعض مَنْ أسْلم ارتدّ عن الإسلام، وذلك لأنّهم حكّموا عُقُولهم، وقَاسُوا الأمور بما هُو مَعروف عندهم مِن بُعْدِ بيت المَقدس؛ ولكن هذه الرواية ضَعَّفها العلماء.

الموقف الثاني: هو موقف الصّديق، وهو يُمثّل موقف المسلمين، فهم صدَّقوه فيما هو أبْعَد مِن ذلك، فكيف لا يصدّقُونَه في هذا الأَمْر الذي يجِبُ إرْجاعه إلى قُدرة الله، وقُدرته لا يُعجزها شَيء ﷻ.

هل رأى رسول الله ﷺ ربّه؟ عظات وعِبر منه

أولًا: هل رأى رسول الله ﷺ ربّه؟

قال ابن عباس } وطَائِفة، بأنّ رسول الله ﷺ رأى ربّه ببَصَرِه. فعن ابن عبّاس } ، قال رسول الله ﷺ: ((رَأَيتُ رَبِّي -تبارك وتعالى-))، مسند الإمام أحمد، وصَحَّحَه أحمد شاكر.

قالت عَائشة < وبعض العلماء، بأنّه ﷺ لمْ يَرَ ربّه. فعن أبي ذر < قال: قلت: يا رسول الله، رأيت ربك؟ فقال: ((نورٌ، أنَّى أراه؟)).

وقال ابن كثير: "لم يُعْرَف مخالف مِن الصحابة لعائشة إلاّ ابن عباس... قال: وما رُوِيَ في ذلك مِن إثْبَات الرُّؤية بالبَصَر، فلا يَصِحّ شيءٌ مِنْ ذَلك، لا مَرفوع ولا مَوقُوف".

ثانيًا: عظات وعِبَر منه:

1. حديث الإسراء والمعراج متّفق عليه بَين أهل الحديث والمَغَازي، وثَبَت بآياتٍ قرآنية، وبأحاديث نبوية؛ فهو قَطعيّ الثّبوت.
2. جاءت معجزة الإسراء والمعراج بعد المِحَن التي أبتُلِيَّ بها رسول الله ﷺ لِتَجْديد عزِيمَته، وللتّدليل أنّ مَا يُلاقيه الرّسول ﷺ ليس مَرَدّه التّخلي عَنه، وإنّما هو ابتلاء. والابتلاء سُنّة مِن سُنن الله تعالى في هذا الكون.

٣. الإسراء برسول الله ﷺ مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومِن ثم العُروج به، يدلّ على فضيلة المسجد الأقصى، ويدل على الارتباط الوثيق بين الرِّسَالات الإلهيّة. وفيه دلالة على وجوب المُحافظة على هذه الأرض الطِّيِّبة، وتطهيرها مِن جميع الدّنس.

٤. في اختيار الرّسول ﷺ اللَّبَن على الخمر دلالة له على الإسلام هو: دين الفِطْرَة.

٥. في اجتماع الأنْبِيَاء -عليهم الصلاة والسلام- في السماوات، والصّلاة خَلفَه، دليل على فَضلِ نبيِّنا ﷺ وعلى أنّ الرّسالات كلّها سِلْسِلَة مَوصُول بعضها ببعض.

٦. كان ما رآه ﷺ مِن آيات الله الكُبْرى في مَلَكُوت السّموات والأرض، له أثره في تَوهِين كَيْد الكافرين، ورَفع لمعنويات نَبِيِّه ﷺ.

٧. أنّ فرض الصّلَوات الخَمْس في ليلة المِعرَاج دَليل على أهَمِّية هذا الرُّكن مِنْ أَركان الإسلام، الذي يَجب أنْ يَكُون مِعْرَاجًا يَرقى بالنّاس كُلَّما تدلّت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا.

دعوة القبائل والأفراد للدّخول في الإسلام وزواجه ﷺ بعائشة، واتّصاله بالأوْس والخزرج

عناصر الدرس

عَرض الرسول ﷺ نفْسه على القبائل، والقبائل التي اتصل الرسول ﷺ بوفودها

أولًا: عَرض الرسول ﷺ نفْسه على القبائل:

كان ﷺ في حركة دائبة، للبحث عن مكان يَعبد الله تعالى فيه آمِنًا، ولإقامة صَرح الدّولة الإسلامية فيه، ويُمكن أنْ نُقَسِّم هذه المُحَاولات إلى أربَع:

المحاولة الأولى: مع أهل مكة، فقد أنذر ﷺ عشيرته الأقْربين بَعْد أمْر الله تعالى له. ثم أنْذَر قريشًا، وأعلن بالدّعوة عِندما جَاءَه التّوجيه الرَّباني: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [الحِجر: ٩٤]. لكنّ قريشًا لم يُستجب منها إلا أفراد، وامتنع الملأ مِن الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ وبالتّالي لم يَتَمَكَّن ﷺ مِن إقَامة الدّولة الإسلامية في مكّة، ولذلك بدأ يبحث عن البَديل، عَن مَكان تنطلق منه الدّعوة الإسلامية، ويكون قاعدة آمِنَة لأفْرَاد الأمّة الإسلامية.

المحاولة الثّانية: وتحت وطْأَة الضُّغُوط والتّعذيب الذي تعّرض له الّصحابة، ومنْعهم مِن مُمَارسة شعائر دِينهم، ووقوف قريش بكلِّ ما أوتيت مِن قوّة أمام المَدِّ الإسلامي، بدأ ﷺ يُفكِّر في مكان خارج مكّة يستطيع المسلمون فيه مُمَارسة دِينهم. فاستعرض الدُّول المُجاورة، فوَجَدَ أنَّ الحَبَشة بمَلِكِها العَادل أحْسَن مكان يتوجَّه إليه المُهَاجرون، فأمَرهم ﷺ بالتّوجّه إليها. وربما كانت المجموعة الأولى مجموعة استِطْلاعيّة، فوجدت النّجَاشي كما أخبر ﷺ إلا أنها لم تَمكث فترة طويلة، ثُمَّ عادت بناءً على ما بَلَغها مِن إسلام قريش. ثم حَدثت الهجرة الثّانية إلى الحبشة وبأعدادٍ أكبر، إلا أنّ الحبشة لم تَكُن المَكان المناسب لإقامة الدَّولة الإسلامية، فلم ينتقل ﷺ إليها لأسباب، وهي:

١. تمكُّن رِجَال الدّين النّصراني مِن السّيطرة، وبالتّالي سيقِفُون أمَام أيّ مُحاولة لدخول الناس في الإسلام، ولَن يسْمَحُوا بإقامة دولة إسلاميّة على أنقاض الدولة النَّصرانية.

٢. الخلافات داخل البيت الحَاكِم، وهذا يعني عدم الاستقرار؛ وبالتّالي: فإنّ البَلَد غير المستقر لا تؤمن عواقب أحداثه.

٣. النَّجاشي على الرّغم مِن عَدَالَتِه وإسلامه، لم يَستَطع أنْ يُعلن أمَامَ شَعبه أنّه فَارق النَّصرانية، وهذا راجع إلى ضعْف حكْمه، لأنه لو كان قَويًّا لاستطاع إعلانَ إسلامه، ولَتَغيّر الوَضْع في الحبشة وأصبحت دولة إسلامية.

المحاولة الثالثة: كانت مع أهْل الطّائف، وقَد مثَّل رَدّهم عليه ﷺ خُروجًا حتى على التّقاليد العَرَبيّة مِن إكرام الضّيف واحْتِرام مَشَاعِره حتى يَخْرُج، ولكنّ أهْل الطّائف سَلّطوا سُفَهَاءَهم على رسول الله ﷺ مِن أجْل المُبَالغة في أذيّته. إذًا أهلُ الطّائف لَيسُوا مُهَيَّئِين لإقامة الدولة الإسلامية بأرضهم.

ثانيًا: القبائل التي اتصل الرسول ﷺ بوفودها:

لم يترك ﷺ موسمًا من المواسم لمدّة عشر سنوات، ولا مناسبة من المناسبات إلا استغلّها ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى؛ فكان يذهب لمقابلة الوُفُود والأفراد على حدٍّ السواء.

وسأبدأ بالحديث عن القبائل التي ورد أنّ الرسول -صل الله عليه وسلم- الْتقى بها، وكان له معها بعض الحِوارَات والمواقف، ثم أذكر بعض الأفراد الذين الْتَقَى بِهِم ﷺ.

ومن هذه القبائل:

١- **كِنْدَة:** وهي قبيلة عظيمة، وكِنْدَة: اسمه ثور بن عُفَيْر بن أَدد بن كهلان، وكانت مَسَاكِنُهم باليَمن ممّا يلي حضرموت، كان لهم ملِك باليمن والحجاز، وكان لهم صَنم بحضرموت يعبدونه مِن دون الله، كانت لهم مشاركات كبيرة في أحداث التّاريخ. دعاهم ﷺ إلى الإسلام، وكان وفدُهم الذي التقى به الرسول ﷺ بزعامة رجل منهم يُدعى: مليح، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه.

٢- **كلب بن وبرة، بطن من قضاعة من القحطانية،** كانت منازلهم بدومة الجَنْدَل، وتَبُوك، وأطْراف الشام. وكان لهم صنم بدَوْمَة الجندل، يدعى: وَدًّا.

وقد زار ﷺ في حينها بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فقال لهم: ((يا بني عبد الله، إنّ الله قد أحسن اسْم أبيكم، فأسلموا)). فلم يقبلوا منه.

٣- **وفد بني حنيفة:** وبنو حنيفة قبيلة مِن بَكْر بن وَائل من العدْنَانية، وكانت تَسْكُن اليَمامة ثم تفرّقت في كثير من البلدان، وتعدّ مِن القبائل المحَارِبة ذات الشّوكة.

أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، فلم يكُ أحد مِن العرب أقْبح ردًّا عليه منهم، كما قال ابن هِشَام.

٤- **بنو عامر بن صَعصَعَة:** بطن من كِلاب بن ربيعة من قَيس عيلان، مِن العدنانية. كانت ديارهم في جهات المدينة: الربذة وفدك. ذكَر ابن إسحاق: أنّ رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام، وعَرَض عليهم نفْسه، فقال له رجل منهم يُدعى: بَيْحَرَة بن فارس: أرأيت إنْ نحن بايعناك على أمْرك، ثم أظهرك الله على

مَن خالفك، أيكون لنا الأمر بعدك؟ قال: ((الأمر إلى الله يضَعه حيث يشاء)). قال: فقال له: أفَنَهْدِف نُحُورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيْرنا؟ لا حاجة لنا في أمرك! فأبَوْا عليه.

فلمّا عاد وفدهم قصّوا ما حدث لهم على شيخ كبير لهم، فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها مِن تَلاف؟ هل لِذنابها مِن مُطَّلَب. والذي نفسُ فلان بيَده! ما تقوَّلها إسماعيلي قط، وإنها لحق. فأيْن رأيكم كان عنكم؟.

٥- **بنو شيبان بن ثعلبة:** بطن مِن بكر بن وائل مِن العدنانية، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام، ولهم شُهود في الفتوحات الإسلامية، وخاصة في العراق حيث كانت منازلهم. وأكثر أئمة الخوراج في ربيعة منهم.

جاءهم الرسول ﷺ ومعه الصّديق وعليّ بن أبي طالب، فبدأ الصّديق الحديث ليستفسر عن أنْسَابهم ومَكَانَتِهم الاجتماعية في أقْوَامِهم، وعنْ أحْوَالهم العسْكرية. ثم بدأ ﷺ الحديث معهم، فقال: ((أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله، وأنْ تؤووني وتنصروني حتى أؤدّيَ عن الله الذي أمَرَنِي به، فإنّ قريشًا قد تظاهرت على أمر الله وكذّبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنيّ الحميد)). ثم تحدث مَفْرُوق بن عمرو، وهاني بن قَبيصة، والمثنّى بن حَارثة. فكانوا يستفسرون عن الإسلام.

ثم قال له هاني بن قَبِيْصَة: قد سمعت مقالتك وصدّقت قولك. وإنّي أرى أنّ تَرْكنَا ديننا واتّبَاعنا إيّاك على دينك أوّلَ مَجْلِسٍ جلسته إلينا ليس له أول ولا آخِر، لم نُفَكِّر في أمرك وننظر في عاقبة ما تدعو إليه... ثم قال: ترجع وتنظر. ونرجع نحن وننظر في أمرنا. ثم تكلّم المثنّى بن حارثة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ((ما أسأتم في الرّدّ، إذ أفصحتم بالصّدق، إنه لا يقوم بدِين الله إلاّ مَن أحاطه مِن جميع جوانبه)).

٦ـ وفد بني عَبْس: وعبس بن بغيض: بطن عظيم مِن غطفان من قيس بن عيلان، كانت منازلهم بنَجْد ومِن أوْدِية وادي الرِّمَّة، وقبيلة عَبْس منَ القَبائل المُحَاربة، ومن أيَّامهم: "داحس والغبراء"، وهو يوم عبْس على فَزَارة.

جاءهم رسول الله ﷺ في مَنَازلهم بالقُرب من الجَمْرَة الأولى، مُردف زيد بن حارثة، فدعاهم إلى الله، فلم يستجيبوا له، وكان مِن ضمن الوفد: ميسرة بن مَسْروق العبْسي، فحثَّ قَومه على الإسلام، ولكنَّهم رفضوا. وعندما دعاه النبي ﷺ خاصَّة لِمَا رأى من قوله، قال له: المرء مع أهله. ثم إنّهم في طريق عودتهم مرّوا باليهود في تيماء، فأخبرهم عمّا حدث، فأخرجت اليهود كُتبها فذكَرت الصفات التي رآها في رسول الله ﷺ فأرادوا العَودة إليهم، فمنعهم من ذلك زُعَمَاؤهم، وهكذا الزعامات.

نماذج مِن دعوته للأفراد وموقف قريش مِن دعوته للقبائل والأفراد

أولًا: نماذج مِن دعوته للأفراد:

دعوة الأفراد تكتسب جانبًا مُهمًّا مِن جوانب الدّعوة إلى الله تعالى، وتَحْتَاج إلى حِكمة وفِقْه بالنّاس؛ فقد كان ﷺ يركِّز على دَعوة الأفْرَاد، خَاصَّة أصحَاب المَكَانة الاجتماعية في مجتمعاتهم، لِمَا لَهُم مِنَ التّأثير على أَقْوَامهم.

قال ابن إسحاق -في معْرض حديثه عمّا كان يَبْذُله ﷺ في دَعْوَة النّاس-: "ولا يسمع بقَادِم يقدم مكّة مِن العَرب له اسم وشَرَف، إلاّ تصدَّى له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عِندَه".

كما فَعَل ﷺ مع سُوَيد بن الصّامت، وكذلك قصّته مع أبي الجسر، وغيرهم...

روى الترمذي وغيره: أنّ رسول الله ﷺ لقي رجلًا مِن أشراف قُريش، فدعاه إلى الإسلام وهو يرجو أنْ يُسلم، وقيل: كان في مجلس فيه وجوه قريش، فجاء ابن أمّ مكتوم الأعمى، وهو مُشْتَغِل بهم، فسأله ولم يدْرِ أنّه مشغول بذلك، وجعل يستقرئُه القُرآن، ويقول: يا رسول الله، أرشدني! علِّمْني ممّا علّمك الله! فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ حتى أضْجَرَه، وذلك لأنه شَغَلَه عمّا كان فيه مِن أُمَرَاء النَّفَر، وما كان يطمَع فيه مِن إسْلامهم. فعَاتَبه الله تعالى على ذلك، كما جاء في سورة "عَبَس".

ثانيًا: موقف قريش مِن دعوته للقبائل والأفراد:

لمْ تكْتف قريش بامتناعها عن متابعة الرسول ﷺ والإيمان به، بل إنها وقفت سدًّا منيعًا لِمنْع الناس مِن الإسلام. وقد تقدّم معنا ذلك في أساليبها للوقوف أمام الدعوة الإسلامية.

خرج أعشى بن قيس إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، وهو شاعر معروف، وقال في ذلك قصيدة، نذكر منها قوله مخاطِبًا ناقته:

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ❖ تراجي وتلقى مِن فواضله ندَى
نبي يَرى ما لا ترَوْن وذِكْره ❖ أغار لعمْرى في البلاد وأنجدَا

إلى أن قال:

إذا أنت لمْ ترحلْ بزادٍ مِن التّقَى	❖	ولاقيْت بعْد الموت مَن قد تزوَّدَا
ندِمْت على أنْ لا تكون كمثْله	❖	فترصد الأمْر الذي كان أرصدَا
فإياك والميتات لا تقربنّها	❖	ولا تأخذنْ سهمًا حديدًا لتفصدَا
وذا النّصب المنصوب لا تَنسُكنّه	❖	ولا تعْبد الأوثان واللهَ فاعبُدَا

إلى آخر القصيدة.

قال ابن هشام: "فلما كان بمكة أو قريبًا منها، اعترضه بعض المشركين مِن قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسلم. فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرِّم الزنا! فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمْر مالي فيه أرَب. فقال: يا أبا بصير، إنه يحرِّم الخمر! فقال الأعشى: أمّا هذه، فوالله، إنّ في نفسي منها لعلالات، ولكنني منصرف، فأتروّى منها عامي هذا، ثم آتيه وأسلم. ثم انصرف فمات في عامِه ذلك، ولم يعُد إلى النبي ﷺ.

وقد أوردت هذه القصة كما أوردها ابن هشام.

ولكن السهيلي قال معلقًا على ذِكر ابن هشام لها: "وهذه غفلة من ابن هشام ومَن تابعه، فإنّ الناس مجمعون على أنّ الخمر لم ينزل تحريمها إلاّ في المدينة بعد أُحُد".

وهذا الكلام -أي كلام السهيلي- وجيه، ولكنّ هذه القصة تدلّ على تفكير قريش، وعلى الوسائل التي كانت تستخدم ضدّ الدعوة مع هذا أو مع غيره. وقد تقدم اجتماعهم الذي قرّروا فيه تحذير كلّ قادم إلى مكة مِن الرسول ﷺ والقصة التالية تدلّ على ذلك.

إسلام الطّفيْل بن عمرو الدّوسي :

كان الطّفيْل بن عمرو سيدًا مطاعًا شريفًا في دَوْس. وكان قد قدم مكة، فاجتمع به أشراف قريش يحذّرونه مِن رسول الله ﷺ، ونهوه أنْ يسمع كلامه. قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أنْ لا أسمع منه شيئًا، ولا أكلِّمه حتى حشوْت أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كرسفًا -قطنًا- خوفًا مِن أنْ يبلغني شيء مِن قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلاّ أنْ يُسمعني بعض قوله؛ فسمعت كلامًا حسنًا. قال: فقلت لنفسي يا ثكل أمي! والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحَسَن مِن القبيح، فما يمنعني أن أسمع مِن هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حَسنًا قبِلْتُه، وإن كان قبيحًا تركْتُه. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قالوا لي: كذا وكذا... فاعرِضْ عليّ أمْرَك. قال: فعَرَض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن؛ فلا والله! ما سمعت قولًا قطّ أحسَن منه، ولا أمرًا أعدل منه! قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام؛ فادْعُ الله أنْ يجعل لي آية تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه. قال: فقال: ((اللهمّ اجعلْ له آية)).

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنيّة تُطلعني على الحاضر، وقع بين عينيّ نور مثل المصباح. قال: فقلت: اللهم في غيْر وجهي، فإنّي أخشى أن يظنّوا بها مُثْلة وقعت في وجهي لفراقي لِدينهم. قال: فتحوّل في رأس سوطي. قال:

فجعل الحاضرون يتراءَوْن ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلّق، وأنا أتهبط عليهم مِن الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

وبدأ > يدعو أهله إلى الإسلام؛ فأسلم أبوه وزوجته وأهل بيته، إلا أنّ دوسًا أبطأت عليه في الإسلام، فجاء إلى رسول الله ﷺ يشكو تباطؤ دوْس في دخول الإسلام، وطلب منه أنْ يدعو عليهم. فقال رسول الله ﷺ: ((اللهمّ اهْدِ دَوْسًا! ارجعْ إلى قومك فادْعُهم، وارفُقْ بهم!)). وظلّ بأرض قومه حتى فتْح خيْبر، قدِم المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا مسلمين، وشارك مع رسول الله ﷺ في جهاده. واستشهد في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق. رضي الله عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ بفضله وإحسانه.

ومِن صُوَر موقفها مِن دعوته ﷺ: ما كان يقوم به أبو لهب، فكان يذهب وراء رسول الله ﷺ يقول: "لا تُطيعوه فإنه صابئ كاذب". فيردّون عليه أقبح الردود ويقولون: قومك بك أعْلم.

وكان يقول أبو لهب للناس: "يا بَني فلان! إنّ هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاّت والعزَّى مِن أعناقكم، وحلفاءكم منَ الجنّ".

وكذلك يصنع أبو جهل فكان يقول: "يا أيّها الناس، لا يغرَّنّكم هذا عن دِينكم".

وقد تقدَّم طرَفًا مِن الأمثلة على موقف قريش مِن الدعوة إلى الله.

زواجه ﷺ بالسيدة عائشة >

جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة < ، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوّج؟ قال: ((مَن؟)) قالت: إنْ شئتَ بِكرًا، وإن شئت ثيِّبًا، قال: ((فمَن البِكر؟)) قالت: أحبّ خلْق الله إليك، عائشة ابنة أبي بكر. قال: ((ومَن الثَّيِّب؟)) قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنتْ بك واتَّبعتْك. قال: ((فاذهبي فاذْكريهما عليّ)) فجاءت إلى بيت الصِّدِّيق، فقالت لزوجته أمّ رومان: ماذا أدخل الله عليك مِن الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: انظري أبا بكر، حتى يأتي. فجاء أبو بكر، فزفّت إليه البشارة، فقال: وهل تصلح له؟ إنّما هي ابنة أخيه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ((ارجعي إليه، فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام. وابنتك تصلُح لي)). فلما عادت إلى الصِّدِّيق، قال: انتظري! وكانت عائشة قد ذُكرت لابن المطعم بن عديّ. فذهب الصّدّيق إليهم ليعْلَم خبَرهم، فقال للمطعم: "ما تقول في هذه الجارية؟ -يعني عائشة- فأقبل المطعم على امرأته، فقال: ما تقولين؟ فقالت: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصبي صاحبنا، تدخله في دِينك الذي أنت عليه إنْ تزوّج ابنتك؟ فقال أبو بكر للمطعم: ماذا تقول؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع، لا حاجة لنا في ابنتك؛ وأنت في حِلٍّ مِن وعْدك لنا. فخرج الصِّدِّيق، وقد أذهب الله ما كان في قلْبه مِن حزن. فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ. فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ستّ سنين. ولم يتزوّج ﷺ بِكرًا غيْرها. ودخل بها بعد زواجه منها بثلاث سنوات.

وفي (صحيح البخاري) عن عائشة: أنّ النبي ﷺ قال لها: ((أُرِيتُكِ في المنام مرّتيْن: أرى أنّك في سرقة مِن حرير، ويقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها، فإذا هي أنتِ. فأقول: إنْ كان هذا مِن عند الله، يُمْضِه)).

وكان للسيدة عائشة > مكانة خاصّة عند رسول الله ﷺ، فكان يحبّها ويحبّ أباها. روَت عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة. توفّيت > سنة (٥٨هـ) > .

تعريف بالأوس والخزرج وبدء الاتّصال بالأوس والخزرج وبيْعة العقبة الأولى

أولًا: تعريف بالأوس والخزرج:

قبْل الحديث عن إسلامهم، نشير إلى بعض الأمور التي لا بدّ منها، وهي:

١- **الأنصار**: اسم إسلاميّ أُطلق على مَن أسلم مِن الأوس والخزرج. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وعن غيلان بن جرير، قال: "قلت لأنس: أرأيت اسم: "الأنصار"، كنتم تُسمَّوْن به، أمْ سمَّاكم الله؟ قال: بل سمَّانا الله عَزَّ وَجَلَّ"، رواه البخاري.

وقال ﷺ: ((مَن أحبَّني أحبّ الأنصار، ومَن أبغضني فقد أبغض الأنصار؛ لا يُحبُّهم منافق، ولا يُبغضهم مؤمن. مَن أحبَّهم أحبّه الله، ومَن أبغضهم أبغضه الله. الناس دِثار والأنصار شِعار، ولو سلك الناس شِعبًا وسلك الأنصار شِعبًا لسلكت شِعب الأنصار))، رواه أحمد.

٢- الأوْس والخزرج ؛ الاشتقاق والنسب :

أ- الأوْس في اللغة : العطيّة والعوَض.

ب- والخزرج : الرِّيح الباردة ، وقيل : الرّيح الجنوبيّة خاصّة.

أمّا نسبهما : فهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء ، مِن القحطانيِّين. ويُقال بأنّ قحطان هو : أوّل مَن تكلّم العربية ، وهو والد العرَب العاربة. أمّا إسماعيل # فهو : والد العرب المستعربة. وقيل بأنّ قحطان مِن ذرّيّة إسماعيل # . ذهب إلى ذلك : الزبير بن بكار ، والله أعلم.

والقول الأوّل هو الأشهر والأكثر.

ويُعرف الأوس والخزرج ببني قيلة ، وهي : أمّهم ، قضاعية ، أبوها : كاهل بن عذرة.

استقرار الأوس والخزرج بيثرب :

يذكر المؤرِّخون : أنه بعد انهيار سدّ مأرب عقابًا مِن الله تعالى لأهله لكفرهم النعم التي أنعمها عليهم -وتلك سُنّة الله- تفرّق مَن كان حوله مِن القبائل. وكان ممّن خرج مِن أرضه : الأوس والخزرج. وظلّوا يبحثون عن مكان يستقرّون به ، إلى أن وصلوا إلى واحة المدينة ، فرأوا ما فيها مِن المياه والأشجار ، فحطوا عندها عصا الترحال ، واستقرّوا بها مع مَن كان فيها مِن العرب واليهود. ثم قامت بينهم حروب بدسائس وتمويل مِن اليهود ، وكان آخِرها حرب بعاث ، التي أخبرت السيدة عائشة بأنها هديّة قدّمها الله تعالى لنبيِّه حيث قُتل معظم زعاماتهم.

ثانيًا: بدء الاتّصال بالأوس والخزرج:

قال محمد بن إسحاق ~ : "وكان رسول الله ﷺ على ذلك مِن أمْره؛ كلّما اجتمع الناس بالموسم أتاهم، يدعو القبائل إلى الإسلام، ويَعرض عليهم نفْسه وما جاء به مِن الهدى والرحمة. ولا يسمع بقادم يقْدم مكة مِن العرب له اسم وشرَف إلاّ تصدّى له ودعاه إلى الله تعالى، وعَرَض عليه ما عنده. فعلِم رسول الله ﷺ بمَقْدم سُويد بن الصامت، مِن بني عمرو بن عوف، وكان يُدعى في قومه بالكامل، فتصدّى له فدعاه إلى الإسلام، فقال له سُويد: فلعل الذي معك مثْل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: ((وما الذي معك؟)). قال: مجلّة لقمان (حكمة لقمان). فقال رسول الله ﷺ: ((اعْرِضْها عليّ!)). فعَرَضها عليه. فقال ﷺ: ((إنّ هذا كلام حَسَن، والذي معي أفْضل مِن هذا؛ قرآن أنزله الله عليَّ، فهو هدًى ونور)). فلم يبعد سويد مِن الإسلام، وانصرف إلى المدينة، فلم يلبث أنْ قُتل، فكان رجال مِن قومه يقولون بأنه مات مسلمًا.

قدِمت مجموعة مِن بني عبد الأشهل تريد الحِلف مِن قريش، وكان مِن ضِمْنهم: معاذ بن إياس. فجاءهم رسول الله ﷺ يَعْرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: "يا قوم، هذا والله خيْر ممَّا جِئتم له". فرفَض قومه، فصمت إياس. وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة. وكانت وقْعة بعاث بين الأوس والخزرج -وبُعاث: مكان بالمدينة- ثم لم يلبث إياس أنْ مات. وكان قومه يقولون: إنهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله ويكبِّره ويحمده ويسبِّحه حتى مات؛ فما كانوا يشكُّون أنه مات مسلمًا.

لقد كان استشعر الإسلام مِن ذلك المجلس، حين سمع مِن رسول الله ﷺ.

أخرج الحاكم -وصحّحه- عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن أبيه عن جدِّه: أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة. فلمّا هبطا مِن الثنية، رأى رجلًا تحت شجرة، قال: وهذا قبل خروج الستة مِن الأنصار. فلما رأيناه، قلنا: نأتي هذا الرجل لنستودعه راحلتنا حتى نطوف بالبيت. فجئنا فسلّمنا عليه تسليم أهْل الجاهلية، فردّ علينا تسليم أهل الإسلام. وقد سمعت بالنبي ﷺ فأنكرنا فقلنا: من أنت؟ قال: انزلوا، فنزلنا. فقلنا: أين هذا الرجل الذي يَدّعي ما يَدّعي، ويقول ما يقول؟ قال: ((أنا هو)). قلنا: اعْرِض علينا الإسلام! فعَرض وقال: ((مَن خلَق السماوات والأرض والجبال؟))، قلنا: خلقهنّ الله ﷻ قال: ((فمَن خلَقكم؟)) قلنا: الله ﷻ. قال: ((فمَن عمِل هذه الأصنام التي تعبدون؟))، قلنا: نحن، قال: ((الخالق أحقّ بالعبادة أو المخلوق؟)) قلنا: الخالق. قال: ((فأنتم أحقّ أنْ تَعبُدوا ربّكم وأنتم علمتموه، والله أحقّ أنْ تعبُدوه مِن شيء عمِلتموه. وأنا أدعوكم إلى عبادة الله ﷻ، وشهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، وصلة الرّحم، وترْك العدوان، وإنْ غضِب الناس)) فقالا: لو كان الذي تدعو إليه باطلًا، لما كان مِن معالي الأمور ومحاسن الأخلاق. قال رافع: فجئت البيت فطُفت، وأخرجت سبعة أقداح، وجعلت له بينها قدحًا، فاستقبلت البيت وقلت: اللهم إنْ كان ما يدعو إليه محمد حقًا، فأخرج قدحه سبع مرات. فضربت بها سبْع مرات، فصحت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله. فاجتمع الناس عليَّ، وقالوا: مجنون، رجل صبأ، فقلت: رجل مؤمن. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فلما رآني معاذ بن عفراء قال: لقد جئت بوجه ما ذهبت به، يا رافع! لقد جئت وآمنت. وعلّمنا رسول الله ﷺ سورة (يوسف) وسورة (العلق)... ثم خرجنا راجعِين إلى المدينة.

ثالثًا: بيْعة العقبة الأولى:

وفي موسم الحجّ مِن سنة (١١ مِن النبوة) -يوليو، سنة (٦٢٠م)، مرّ رسول الله ﷺ كعادته على وفود العرب بمِنى، وكان ممّن مرّ عليهم بعقَبة منًى: مجموعة مِن شباب المدينة، كلّهم مِن الخزرج، وهم:

١. أسعد بن زرارة.
٢. عوف بن الحارث بن رفاعة.
٣. رافع بن مالك بن العجلان.
٤. قطبة بن عامر بن حديدة.
٥. عقبة بن عامر بن نابي.
٦. جابر بن عبد الله بن رئاب.

وكان مِن سعادة أهل يثرب، أنهم كانوا يسمعون مِن حلفائهم مِن يهود المدينة: أنّ نبيًا مِن الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. فقال ﷺ لمجموعة الخزرج: ((أفلا تجْلسون أُكلِّمكم؟)). قالوا: بلى، مَن أنت؟ فانتسب لهم، فدعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم بعض آيات القرآن. فلما سمعوا منه ما قال، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه لَلنّبي الذي توعدكم به، يهود فلا تسبقنَّكم إليه؛ فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، أن صدّقوه وقبلوا منه ما عَرَض عليهم مِن الإسلام. ثم قالوا: قد علمت الذي بيننا مِن الاختلاف وسفك الدماء، ونحن حرّاص على ما أرسلك الله به، مجتهدون لك بالنّصيحة. وإنّا لنشير عليك برأينا، فامكث على رسْلك باسم الله، حتى نرجع إلى قومنا فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى الله ورسوله، فلعل الله يُصلح ذات بيْنهم، ويجمع لهم أمْرهم؛ فإنّا اليوم متباغضون متباعدون، ولكنّا نواعدك الموسم مِن العام الُمقبل. فرضي بذلك رسول الله ﷺ وانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدَّقوا، وحملوا معهم رسالة الإسلام إلى أهل يثرب، حتى لم تَبْق دار مِن دور الأنصار إلاّ وفيها ذِكْر لرسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الثانية - وبعث مصعب بن عمَيْر إلى المدينة، بيعة العقبة الثانية، التي أسّست لِقيام الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، ووطّأت لهجرة المسلمين

عناصر الدرس

بيعة العقبة الثانية -أو الأولى وبنود البيْعة-

لقد تقدّم ذِكْر إسلام مجموعة الأنصار الستة عند العقَبة، وذكرنا بيْعة العقبة الأولى، باعتبار أنّ اللقاء تمّ عند العقَبة؛ وهو أوّل لقاء نجَم عنه إسلام مجموعة مِن خارج مكة، فلذلك أطلقنا على هذا العمَل: بيْعة العقبة الأولى. وهناك مَن ينظر إلى المبايعة وصيغتها، وذلك لمْ يحدث إلا في العقَبة الثانية -على الرأي السابق- والأُولى -على الرأي الثاني-؛ ولا مشاحّة في الاصطلاح، وفي الأمر سعة. وللبعد عن الإغراب نُسمِّي هذه البيعة التي نحن بصددها: بيعة العقبة الأولى، ونُسمِّي اللقاء السابق عند العقبة: بداية إسلام الأنصار.

وفي موسم حج سنة (١٢هـ) مِن النبوة، يوليو سنة (٦٢١م)، قدِم اثنا عشر رجلًا على النبي ﷺ، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ، منهم خمسة مِن الستة الذين أسلموا في الموسم السابق، موسم ١١ مِن النّبوّة، وهم:

١. أسعد بن زرارة.

٢. وعوف بن عفراء.

٣. ورافع بن مالك.

٤. وقطبة بن عامر السلمي.

٥. وعقبة بن عامر بن نابي.

أما السبعة الباقون وهم:

١. معاذ بن الحارث بن رفاعة.

٢. ذكوان بن عبد القيس الزرقي.

٣. وعبادة بن الصامت

٤. ويزيد بن ثعلبة.

٥. والعباس بن عبادة.

٦. وأبو الهيثم مالك بن التيهان.

٧. وعويم بن ساعدة.

والأخيران من الأوس، والعشرة الباقين من الخزرج.

بنود البيْعة:

روى ابن إسحاق، عن عبادة بن الصامت، قال: ((كنتُ فيمن حضَر العقبة الأولى، وكنا اثنيْ عشرَ رجلًا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيْعة النساء -وذلك قبْل أنْ تُفرض الحرب- على أنْ لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ فإن وفّيْتم فلكُم الجنّة، وإن غشِيتم مِن ذلك شيئًا فأمْركم إلى الله ﷻ، إن شاء عذّب وإن شاء غفَر))، وفي رواية: ((وإنْ غشِيتم من ذلك شيئًا، فأُخِذتُم بحدِّه في الدنيا، فهو كفّارة له. وإنْ سُترتم عليه إلى يوم القيامة، فأمْركم إلى الله؛ إن شاء عذَّب وإن شاء غفَر)).

وروى البخاري ومسلم: أنّ عبادة بن الصامت > ، وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، قال: "إنّ رسول الله ﷺ قال وعليه عِصابة: ((بايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بيْن أيديكم وأرجلِكم، ولا تعصوا في معروف! فمَن وفّى

منكم، فأجْره على الله. ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا، فهو كفّارة. ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا ثم ستَره الله، فهو إلى الله إنْ شاء عفا عنه وإنْ شاء عاقَبه)). فبايعناه على ذلك".

وكما هو ملاحظ في رواية الشيخيْن: أن هذه البيعة غيْر محدّدة الزمان ولا المكان.

وليس مِن شكّ في أنّ آية بيْعة الناس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢] كانت بعد صُلح الحديبية الذي حدث في السنة السادسة مِن الهجرة، فأين هذا مِن بيعة العقبة؟!.

ولذلك بعض العلماء لجأ إلى توجيه كلام ابن إسحاق مِن أنه أراد وقْف بيعة الناس على ما نزلت عليه الآية فما بَعْد، ويرى الحافظ بن حجر أنّ المبايعة المذكورة في حديث عبادة لم تقع ليلة العقبة، وأنّ مبايعة ليلة العقبة كانت على الإيواء والنصرة والسمع والطاعة، ففي بعض طرف حديث عبادة: ((بايعنا رسول الله ﷺ على السّمع والطاعة في المَنشط والمَكره، والعُسر واليُسر)).

وروى الإمام أحمد وغيْره في قصة لعبادة مع أبي هريرة، قال: "يا أبا هريرة، إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول الحقّ ولا نخاف في الله لومةَ لائم، وعلى أنْ ننصر رسول الله ﷺ إذا قدِم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة؛ فهذه بيْعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها".

وخلاصة القول أنّ هذه البيعة قد اشتملت على البنود التالية:

١. السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشِط المكره.

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. الولاء والنصرة لرسول الله ﷺ.

٤. حماية الرسول ﷺ إذا قدِم عليهم يثرب، وأنْ يمنعوه ممّا يمنعوا منه أنفسهم وأزواجهم وأولادهم.

أوّل سفراء الرسول ﷺ إلى المدينة، وقصّة إسلام سعد بن معاذ، وأسَيْد بن حضَيْر

لّما انصرف القوم مِن الأوس والخزرج، كتبوا إلى رسول الله ﷺ أنِ ابعثْ إلينا مَن يُقرئنا القرآن؛ فأرسل إليهم الصّحابيّ الجليل: مُصعب بن عمَير.

فمن هو مصعب؟

هو: مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشيّ العبدري، أبو عبد الله. هاجر إلى الحبشة، شهد بدرًا واستشهد بأُحُد. كان فتى قريش، وقد وصفه ﷺ بقوله: ((ما رأيتُ بمكة أحسن لّمة، ولا أرقَّ حُلّة، ولا أنعَم نعمة، مِن مُصعب بن عُمَير)). أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان يكتم إسلامه، فرآه عثمان بن طلحة يصلّي فأخبر قومه فحبسوه؛ فلم يزل محبوسًا إلى أنْ خرج إلى أرض الحبشة. وقد كان < حامِل راية رسول الله ﷺ في بدْر وأُحُد، ولما استشهد أخذَها عليّ بن أبي طالب. لم يتْرك دينارًا ولا درهمًا، وعند وفاته لم تكنْ له إلّا نمِرة كان إذا غُطِّيَ بها رأسُه خرجت رِجلاه، وإذا غُطِّيت

رجلاه خرج رأسه، فقال ﷺ: ((غطّوا بها رأسَه، واجعلوا على رجْلَيْه مِن الإذْخِرِ)).

مهمّة مُصعب:

كانت مُهمّته أنْ يُفَقِّه مَن أسلم في دِين الله، ويُقرئهم القرآن الكريم، ويدعو إلى الإسلام؛ وقد عُرف في المدينة بالْمُقرئ والقارئ.

وقد نزل على سيّد الخزرج ونقيب بني النجار: أسعد بن زرارة بن عدس بن أبي أمامة.

نجاح مُصعب في مُهمّته:

لقد نجح داعية الإسلام في مُهمّته، وقد أسلم على يديْه الكثير مِن أهل المدينة. وكان مِن أجلِّ مَن أسْلم على يديْه: سعد بن معاذ، وأُسيد بن حضيْر؛ وبإسلامهما أسلم الكثيرون مِن بني عبد الأشهل.

قصّة إسلام سعد بن معاذ، وأسَيْد بن حضَيْر:

روى ابن إسحاق: أنّ أسعد بن زرارة خرج بمُصعب بن عمير يريد به دار ابن عبد الأشهل ودار ابن ظفر. وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا مِن حوائط بني ظفر، فجلسا فيه. واجتمع إليهما رجال مِن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيِّدَا قومهما مِن بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دِين قومه. فلمّا سمعا به، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لَك! انطلق إلى هذيْن الرجليْن اللّذيْن قد أتيا دارنا لِيُسفِّها ضعفاءنا، فازجُرْهما

وانهَهُما عن أنْ يأتِيا دارنا! فإنه لولا أنّ أسعد منِّي حيث علمْتَ، كفيْتُك ذلك. فأخذ أسيد بن حضير حَرْبته، ثم أقبل إليهما. فلما رآه أسعد بن زارة، قال لمصعب بن عميْر: هذا سيّد قومه، فأصْدِق الله فيه! قال مصعب: إنْ يجلِسْ أكلِّمْه!

قال: فوقف علينا متشتِّمًا، قال: ما جاء بكم إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلاَنا إنْ كانت لكما بأنْفسكما حاجة! فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإنْ رضيتَ أمرًا قبلْتَه، وإن كرِهْتَه كُفَّ عنك ما تَكْره! فقال: أنصفْت. ثم ركَز حرْبَته وجلس إليهما. فكلَّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لَعَرفْنا في وجهه الإسلام قبل أنْ يتكلَّم به في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدِّين؟ قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهّر ثوبيْك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي. فقام واغتسل وطهّر ثوبيْه، وتشهّد بشهادة الحق، ثم قام فصلّى ركعتيْن. ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلًا إنِ اتّبعكما لم يتخلَّف عنه أحد مِن قومه، وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم. فلمّا نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلِف بالله لقد جاءكم أسيْد بغيْر الوجه الذي ذهب به مِن عنْدكم! فلمّا وقف على النادي، قال له سعْد: ما فعلت؟

قال: كلّمتُ الرّجليْن، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيْتُهما فقالا: نفعل ما أحببت. وقد سمعتُ أنّ بني حارثة خرجوا إلى سعد بن زرارة ليقتلوه؛ وذلك أنّهم عرفوا أنه ابن خالتك ليُحقِّروك.

فقام سعد مغضبًا مبادرًا مخوفًا للّذي ذُكر له مِن أمْر بني حارثة، وأخذ الحربة في يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا. ثم خرج إليهما سعد بن معاذ،

فوجدهما مطمئنّيْن، فعرف أنّ أسيدًا إنّما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتمًّا، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيْني وبيْنك مِن القرابة ما رُمتَ هذا مني! أتغْشانا بدارنا بما نَكْره؟! وكان سعد قال لمصعب: لقد جاءك سيِّد مَن وراءه مِن قومه إنْ يتّبعْك لا يختلف منهم اثنان. فقال له مصعب: أو تقْعد فتسمع! فإن رضِيت أمرًا ورغبت فيه قَبِلْتَه، وإنْ كرِهْتَه عزلنا عنك ما تَكْره. فقال سعد: أنصفْت. ثم ركز الحَربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن. وقيل: قرأ عليه بِداية سورة (الزخرف). قالا: فعرفْنا والله في وجهه الإسلام قبل أنْ يتكلّم في إشراقه وتسهّله. ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمْتم ودخلتم في هذا الدين؟ فقالا: تغتسل فتطهر، وتطهِّر ثوبيْك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلِّي ركعتيْن. ثم أخذ حربته فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أُسيْد بن حضير. فلما رآه توجّه مقبلًا، قال: أحلف بالله لقد رجع إليكم بغيْر الوجه الذي ذهب به مِن عندكم! فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة. قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام، حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا. ولم يبق منهم إلّا أصيرم عمرو بن ثابت، فإنه تأخّر إسلامه إلى يوم أُحُد، وأسلم حيئنذٍ وقاتل فقُتل قبْل أن يسجد لله سجدة واحدة، فأخبر عنه النبي ﷺ فقال: ((عمِل قليلًا وأُجِر كثيرًا)).

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لمْ تبْق دار مِن دور الأنصار إلّا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات.

وقبل حلول الموسم التالي -أي: حجّ السنة الثالثة عشرة- عاد مصعب بن عمير إلى مكة ليُبشِّر الرسول ﷺ بنجاح مُهمّته بتوفيق الله تعالى.

ترتيب اللقاء، وحضور العبّاس البيْعة، وتعيِين النّقباء

عند مقْدم الوفد مع حجّاج قومه، قاموا باتّصالات سرِّيَّة مع رسول الله ﷺ لتحديد زمان ومكان الاجتماع.

قال جابر بن عبد الله } : "إنّ رسول الله ﷺ لبث عشْر سنين يتبع الناس في منازلهم: مِجنّة وعكاظ، وفي المواسم بمنًى، يقول: ((مَن يُؤويني؟ ومَن ينصُرني؟ حتّى أبلِّغ رسالة ربّي، وله الجنة))، فلا يجد أبدًا أحدًا يُؤويه ولا ينصره، حتى أنّ الرجل ليَرحل مِن مضر أو مِن اليمن، فيأتيه قومه وذوو رَحِمه فيقولون: احذرْ فتَى قريش، لا يَفْتنك!.

يمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله إليه مِن يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسْلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار مِن دور يثرب إلّا وفيها رهط مِن المسلمين يظهرون الإسلام. ثم بعثنا الله تعالى، فأتمرنا واجتمعنا فقلنا: متى نذَر رسول الله ﷺ يطوف في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منّا سبعون، حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعب العقبة. فاجتمعنا فيه مِن رجُل ورجليْن، حتى توافيناه عنده، فقلنا: يا رسول الله، علام نُبايعك؟ قال: ((تُبايعوني على السّمع والطاعة، في النّشاط والكسَل، وعلى النّفقة في العسر واليُسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أنْ تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أنْ تنصروني إذا قدِمْتُ عليكم يثرب، تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسَكم وأزواجَكم وأبناءكم، ولكم الجنّة)).

فقمنا نبايعُه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السّبعِين رجلًا، فقال: رويدًا، يا أهل يثرب! فإنّا لم نضرب إليه أكباد المطيِّ إلّا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأنّ إخراجَه اليوم: مفارقة العرب كافّة، وقتْل خيارِكم، وأنْ تعضَّكم السيوف؛ فإمّا أنتم قوم تصبرون على عضّ السيوف إذا مسَّتْكم، وعلى قتْل خياركم، وعلى مفارقة العرَب كافّة، فخذوه وأجرُكم على الله! وأمّا أنتم تخافون مِن أنفسكم خيفة، فذروه؛ فهو أعذر لكم عند الله! فقلنا: ابسطْ يدك يا سعد بن زرارة، فوالله لا نذّر هذه البيْعة ولا نستقِيلها. فقمنا إليه نبايعه رجلًا رجلًا، يأخذ علينا شَرْطه ويعطينا على ذلك الجنّة"، رواه أحمد والبيهقي.

حضور العبّاس البيْعة:

عن كعب بن مالك، قال: "خرجْنا إلى الحجّ، وواعدَنا رسول الله ﷺ العقبة، مِن أوسط أيام التشريق، ليلة النّفْر الأوّل، إذا هدأت الرِّجْل، أن يُوافوه في الشِّعب الأيمن إذا انحدروا مِن منًى بأسفل العقَبة. وأمرَهم أنْ لا يُنبِّهوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا. قال: فلمّا فرغنا مِن الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، سيد مِن ساداتنا وشريف مِن أشرافنا، أخذناه معنا. وكنا نكتم مَن معنا مِن قومنا مِن المشركين أمْرنا. فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيّد مِن ساداتنا، وشريف مِن أشرافنا، وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أنْ تكون حطبًا للنار غدًا. ثم دعوناه إلى الإسلام، فأسلم وشهد معنا العقَبة، وكان نقيبًا.

قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا مِن رحالنا بميعاد الرسول ﷺ، نتسلّل تسلّل القطا، مُستخفِين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة؛ ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعنا امرأتان مِن نسائنا: نُسيبة

بنت كعب، وأسماء بنت عمرو. فاجتمعنا في الشِّعب ننظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دِين قومه، إلّا أنه أحبّ أنْ يحضر أمْر ابن أخيه، ويتوثّق له. فلما جلس، كان أوّل مَن تكلّم: العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج -وكانت العرب تسمي الأوس والخزرج بالخزرج-، إن محمدًا منّا حيث علِمْتم، وقد منعناه مِن قومنا ممَّن هو على مثْل رأينا فيه؛ فهو في عزّة في قومه ومنَعَة في بلده. وإنه قد أبى إلّا الانحياز إليكم واللّحوق بكم، فإن كنتم ترَوْن أنّكم وافون له بما دعوْتموه إليه ومانعوه ممّن خالَفه، فأنتم وما تحمّلتُم مِن ذلك! وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلموه وخاذلوه بعْد الخروج إليكم، فمِن الآنَ فدَعوه؛ فإنّه في عزّ ومنَعَة مِن قومه وبلده.

وفي رواية: أنّ رسول الله ﷺ قال في بداية ذلك المجلس: ((لِيتكلّم مُتكلِّمُكم ولا يُطل الخطبة، فإنّ عليكم مِن المُشركين عينًا)). فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلَّمْ يا رسول الله ﷺ. ثم قال: ((أُبايعُكم على أنْ تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)). فأخذ البراء بن معرور يده فقال: نعم، فوالله الذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع منه أزُرنا، فبايعْنا يا رسول الله؛ فنحن والله أبناء الحرب، وأهل الحلقة ورثناها كابر عن كابر.

وتكلّم أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إنّ بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها -يعني اليهود-؛ فهل عسيْت إنْ نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك وتدَعَنا.

قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: ((بل الدّم الدّم! والهدْم الهدْم!))، أي: ذمّتي ذمّتكم، وحُرمتي حُرمتكم، أنا منكم وأنتم منِّي حتى أحارب مَن حاربْتُم، وأُسالم مَن سالمْتُم.

تعيين النّقباء :

النقيب : هو الكفيل والعريف ، وشاهد القوم.

وذُكر أنّ رسول الله ﷺ طلَب مِن الأنصار أنْ يُخرجوا اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم. وقد روى الإمام مالك والبيهقي ، عن شيخ مِن الأنصار : أنّ جبريل # كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى مَن يجعله نقيبًا ليلة العقَبة.

وروى أبو نعيم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لّما أخذ رسول الله ﷺ النقباء ، قال : ((لاَ يجِد امرؤ في نفْسه شيئًا ، إنّما أخذتُ مَن أشار إليه جبريل)).

أسماء النقباء :

١. أبو أمامة أسعد بن زرارة ، نقيب بني النجار مِن الخزرج.

٢. رافع بن مالك بن عجلان ، نقيب بني زُريق من الخزرج.

٣ ، ٤. سعد بن الربيع. وعبد الله بن رواحة ، نقِيبَا بني الحارث من الخزرج.

٥ ، ٦. وسعد بن عبادة. والمنذر بن عمر ، نقيبَا بني ساعدة.

٧. البراء بن معرور.

٨. عبد الله بن عمرو بن حرام.

٩. عبادة بن الصامت.

وهؤلاء كلّهم مِن الخزرج.

١٠. أسيد بن حضير ، نقيب بني عبد الأشهل ، الأوس.

١١ ، ١٢. رفاعة بن المنذر. وسعد بن خيثمة ، نقيبا بني عمرو بن بن عوف ، الأوس.

وبعد ما تمّ تعْيين النّقباء ، قال رسول الله ﷺ لهم : ((أنتم على قومكم بما فيهم : كُفلاء ، ككفالة الحواريِّين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي)).

وروي أنه ﷺ نقّب على النقباء أسعد بن زرارة، فلمّا توفّي والمسجد يُبنى، اجتمع بنو النّجّار إلى رسول الله ﷺ وسألوه أنْ يجعل منهم شخصًا نقيبًا عليهم، فقال لهم: ((أنتم أخوالي، وأنا نقيبُكم)).

وقال السهيلي: وإنما جعل النبي ﷺ اثنيْ عشر نقيبًا اقتداءً بقول الله تعالى في قوم موسى: ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة: ١٢].

وقد اختلف في أوّل مَن ضرب على يَد رسول الله ﷺ بالمبايعة؛ فقيل: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وقيل: أبو الهيثم بن التيهان، وقيل: البراء بن معرور.

ولّما تمت البيْعة، صرخ الشيطان فقال: يا أهل الجباجب -جبال مكة- أو أسواقها، أو مَنحر منًى، هل لكم في مذمَّم والصّبّاة معه قد اجتمعوا على حرْبكم.

فقال رسول الله ﷺ: ((هذا أزبُّ العقبة))، ثم قال: ((انصرفوا إلى رِحالكم!)).

فقال له العباس بن عبادة: والله الذي بعثك بالحق! إنْ شئت لنميلنّ على أهل منًى غدًا بأسيافنا.

فقال رسول الله ﷺ: ((لمْ نؤمَر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم!)).

فرجع القوم، ونام كلّ منهم على فراشه كأن لمْ يكن شيئًا".

قريش تبلغ خبر البيعة، ونتائج وعِبَر مَن بيعة العقبة الثانية

وفي الصباح، جاءت زعامات قريش إلى الأوس والخزرج يستفسرون، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه مِن بيْن أظهرنا وتبايعونه على حرْبنا. وإنه والله ما مِن حيٍّ مِن العرَب أبْغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم.

فانبعث مَن هناك مِن المشركين يحلفون بالله ما كان مِن هذا شيء وما علمناه، -وقد صدقوا، فإنهم لمْ يعلموه- ، وأمّا المسلمون، فصار بعضهم ينظر إلى بعض ولا يتكلّم.

ثم ذهب المشركون إلى عبد الله بن أبيّ، فقالوا له مثْل ما قالوا للخزرج، فقال لهم: والله! إنّ هذا الأمْر جسيم. ما كان قومي ليتفوّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمْته كان. فانصرفوا عنه.

وبعد عودة كفّار قريش مِن الحج إلى مكة، تأكّدوا مِن صحّة الخبَر، فأدركوا الأوس والخزرج قد سافروا وفاتوهم، ولم يدركوا إلا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو. أمّا المنذر فقد فاتهم، وأما سعد فقد أمسكوه، وخلّصه منهم رجال كانت له صلة بهم.

نتائج وعِبَر مَن بيعة العقبة الثانية:

١. علِم الأنصار أنّ قبول الرسول ﷺ بيْن ظهرانيهم يعني الحرب مع قريش.
٢. السِّرِّيَّة التي تمّت بها البيعة تدلّ على جواز أخذ الحذَر والحيطة في تدبير الأمور.
٣. كانت هذه البيعة أساسًا للهجرة إلى المدينة.
٤. ضيّق كفار قريش على المسلمين الخناق بعد البيْعة، فلِذلك أمَرهم ﷺ بالمبادرة إلى الهجرة.
٥. أثبتت هذه البيْعة لأصحابها الفضْل الأبديّ الذي لا يقلّ عن فضْل أهل بدْر وبيْعة الرضوان.
٦. عداوة الشيطان للحقّ، فهو دائمًا ما يُغري أعداء الإسلام بالمسلمِين.

الهجرة إلى المدينة المنورة

عناصر الدرس

تاريخ الهجرة إلى المدينةِ المنوّرةِ، وأوّل مَن هاجر إلى المدينة المنوّرة

وبعد أنْ تمّت بيْعَة العقبةِ، ونجح المسلمون بقيادة النبيّ ﷺ في تأسيسِ وطَنٍ لهم في صحراء تموجُ بالكفْرِ والجهالةِ، أذِن رسولُ الله ﷺ للمسلمينَ بالهجرةِ إلى هذا الوطنِ، الذي طالما تمنَّوْهُ وسألوه المولى ﷻ.

روى الإمام البخاريّ ~ عنْ عائشةَ > أنّها قالت: قال النبيّ ﷺ للمسلمين بمكة: ((إنّي أُريتُ دَارَ هجرتِكم: ذَاتَ نَخْلٍ بيْن لابَتَيْنِ)). وهما الحرّتان. فهاجرَ منْ هاجرَ قِبَلَ المدينةِ ورجعَ عامَّة منْ كان هاجرَ بأرضِ الحبشة.

ورُوي: ((أنّه رأى في المنام: أنّه هاجر منْ مكة إلى أرضٍ بها نخْل؛ فذهبَ ظنُّه إلى اليَمَامَةِ أو هَجَر. ثمّ استبان له أنّها المدينة)).

وبعد هذه الرّؤيا، خرج النبيّ ﷺ مسرورًا، وقال: ((قد رأيتُ دار هجرَتِكم، وهي يثْرِب؛ فمنْ أراد أنْ يخرج فلْيَخْرج إليها))، وقال: ((إنّ الله ﷻ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنُون بها)). فخرجوا إليها أَرْسَالًا وفُرادَى، منهم مَن خرج مُستعلنًا، ومنهم مَن خرج مُستخفيًا. ورجع كثيرٌ ممّنْ هاجرَ إلى الحبشةِ إلى مكة، ومنها إلى المدينةِ؛ وقد كان إذنه ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينةِ قبل بَيْعَةِ العقبة الأخيرة بسَنَة.

عن عائشةَ > ، قالت: "لَمَّا صدر السَّبْعُون عند رسول الله ﷺ، طابت نفسه وقد جعل الله له مَنَعَةً وقومًا أَهْل حربٍ وعدَّةٍ ونجدةٍ. وجعل البلاءُ يشتد على المسلمين مِن المشركين لِما يعلمون مِنَ الخروجِ، فضيَّقوا على أصحابه، وتَعَبَّثُوا بهم، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون مِن الشَّتم والأذى؛ فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فاستأذنوه في الهجرة، فقال: ((قد أُريتُ دارَ هجرتكم، أُريتُ

سَبخَةً ذات نَخْلٍ بين لَابَتَيْنِ)). ثمّ خرج إليهم مسرورًا، وحدّد لهم مكان الهجرة، فقال: ((يثرب، فمنْ أراد الخروج فلْيخْرجْ إليها)). فجعل القوم يتجهّزون ويترافقون ويتواسوْن ويخرجون ويخفون ذلك".

أوّل مَن هاجر إلى المدينة المنوّرة:

ذكر البخاريّ: "أنّ أوّل منْ هاجرَ إلى المدينةِ: مصعبُ بن عمير، وعبد الله بن أمّ مكتوم".

وذكر ابن إسحاقَ وابن سعد: أنَّ أوَّل منْ هاجرَ هو: أبو سَلَمَة بن عبد الأَسَد. وجزم بذلك موسى بن عقبة.

وقد جمع الحافظ بن حجر بيْن ما ذكره البخاريّ وأصحابُ السِّيَر بحمل الأَوَّلِيَّةِ على صفةٍ خاصة، هي: أنَّ أبا سَلمة خرج لها لِقصْد الإقامة بالمدينةِ، بخلاف مُصعب فكان عليه نيّة الإقامة بها ليُعَلِّم منْ أسلم منْ أهلها؛ فلكلٍّ أولويّة مِن جهة.

قال ابن إسحاق متحدِّثًا عنْ هجرةِ أبي سَلَمَة: "هاجر إلى المدينة قبْل بَيْعَة العقبة بسنةٍ، وكان قدِم على رسول الله ﷺ مكة مِن أرض الحبشة، فلمّا آذته قريش، وبلغه إسلام منْ أسلمَ مِنَ الأنصارِ، خرج إلى المدينة مهاجرًا".

محنةُ آل أبي سلمة:

عنْ أمِّ سلمةَ قالت: "لَمَّا أجمع أبو سلمةَ الخروجَ إلى المدينةِ، رَحَّلَ لي بعيري، ثمّ حملني عليه وحمل معي ابني سلمة في حِجري، ثمّ خرج بي. فلمّا رأتْه رجالُ بني المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفْسك غلبْتَنا عليها، أَرأَيتَ صاحبتكَ هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلادِ؟ قالت: فأخذوني منه. قالت: وغضِبَ عندَ ذلك

بنو عبد الأسد، فقالوا: لا والله! لا نترك، ابننَا عندهَا. فتجاذبوا ابني سَلمة بينهم حتى خلعوا يدَه. وانطلقَ به بنو عبد الأسد. وحبسنِي بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي إلى المدينةِ، فَفُرِّقَ بيني وبينَ زوجي وبين ابني.

قالت: فكنتُ أخرج كلّ غداة، فأجلسُ بالأَبْطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجُل من بني عمِّي فرأى ما بي فرَحمني، فقالَ لبني المغيرة: أَلاَ ترحموا هذه المسكينة؟ فَرَّقْتُمْ بينها وبيْن زوجها وابنها! فقالوا لي: الحَقِي بزوْجك إنْ شئت. قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ ابني. ثم خرجتُ أريد زوجي، وما معي أحَد مِن خَلْق الله. قالت: أتبلّغ ممَّن لقيتُ حتى أقدم على زوجي. حتى إذا كنتُ بالتَّنْعيم، لقيتُ عثمان بن أبي طلحة أخَا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بِنْت أميّة؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أَوَ مَا مَعَك أحَد؟

فقلت: لا والله! إلّا الله وابني هذا. قال: والله ما لَكِ مِنْ مَترك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلًا مِن العرَب كان أكرم منه: كان إذا بلغ المنزل أناخ، ثم استأخر عنّي. حتى إذا نزلْتُ فحطّ عن البعير، ثم قيّده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرّواح، قام إلى بعيري، فقدّمه فرحَّله ثم استأخر عني، وقال: اركبي! حتى أقدمني المدينةَ. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلًا-، فادخليها على بركة الله! ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيْت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قطّ كان أكرم مِن عثمان بن طلحة.

وعندما أراد صهيب الهجرة، قال له المشركون: "أتيْتَنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ ثم تريد أن تخرج بمالِك ونفْسك، والله لا يكون ذلك".

فقال لهم صهيب: "أرأَيْتُمْ إنْ جعلتُ لكم مالي أتُخلُّون سبيلي؟ قال: فإنِّي جعلتُ لكم مالي"، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ((ربح صهيب)).

هجرة عُمر بن الخطاب ومَن معه، وقصة عيّاش وهشام بن العاص، ومنازل المهاجرين بالمدينة

عنْ عمر بن الخطاب < قال: "اتّعدْتُ -لمّا أردنا الهجرة إلى المدينة-، أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص، التناضب من أضاة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أيُّنا لمْ يصبح عندها فقد حُبِسَ؛ فلْيمْض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبس عنّا هشام، وفُتِنَ فافْتُتِنَ".

وروى البخاري: أنَّ عمر قدِمَ مهاجرًا إلى المدينة في عشرينَ راكبًا مِن أصحابِ النبيّ ﷺ.

ورواية ابن إسحاق لا تتعارض مع ما ذكَره البخاري. فهذه العشرون التي ذكَرها البخاري لمْ تبدأ هجرتها مع عُمر، وإنّما لحِقت به في طريق، فقدم الجميع في ركْب واحد.

وفي قصّة هجرة عُمر بن الخطاب < رواية أخرى.

فقد روي عن عليّ بن أبي طالب < قال: "ما علمتُ أحدًا مِن المهاجرينَ هاجر إلّا مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب؛ فإنه لمَّا همَّ بالهجرة تقلَّدَ سيْفه، وتنكّب

قوْسه، وامْتَضَى أسهمًا، واختصر عنزته، ومضى قِبَل الكعبة، والملأ مِن قريش بفنائها. فطاف بالبيت سبْعًا، ثم أتى المَقامَ، وصلّى ركعتيْن، ثم وقف على جماعات قريش حول الكعبة، وقال لهم: مَن أراد أنْ يُثكل أمَّه، أو يُؤَتِّم ولَده، أو يُرمِل زوجتَه، فلْيَلْقَني وراء هذا الوادي".

فقال عليّ بن أبي طالب: "فلمْ يتبعْه أحدٌ، إلّا قوم مِن المستضعَفينَ".

وتتابعت مواكبُ المؤمنينَ إلى دار الهجرة، دار السلام، ولم يبق أحدٌ في دار الكفر إلّا مستضعفٌ مغلوبٌ أمْره أو صاحب عذر. وقد كان آخِر مَن بقِي ممَّن هاجر: عبد الله بن جَحْش، وكان قد كُفَّ بصرُه، فهاجر بأهله ومالِه سرًّا حتى وصل المدينة.

قصة عيّاش وهشام بن العاص:

تقدّم: أنّ عمر بن الخطاب تواعدَ وعيَّاش في مكانٍ مُعيَّن، لينطلقوا جميعًا إلى المدينة، وأنَّ هشام لمْ يلحق بهم لأنَّ قومهُ فطنوا لاستعداده إلى الهجرة فحبسوه عن الهجرة، وفُتِنَ فافْتُتِنَ. -أمّا عيّاش، فقد هاجر، لكنَّ قومه ذهبوا في طلبه، فجاء إليه أبو جهل والحارث بن هشام في المدينةِ قبل هجرة الرَّسول ﷺ، وهما إخوة لعياش مِن أمّه وابن عمهما، فقالا له: إنّ أمّك قد نذرَت ألّا يمسّ رأسَها مشط حتى تراك، ولا تستظلّ منْ شمسٍ حتى تراك. فرقّ لها، فحذّره عُمر بن الخطاب وقال له: "إنّ هذه حيلة"، فلمّا أبَى، أعطاه ناقة له وطلب منه إنْ رابه مِن أمرهما شيء، أنْ يركب عليها ويهرب؛ ولكنهما احتالا له حتى تمكّنا مِن أخْذه، فأوثقاه وفتناه، فافتُتِن.

فلمّا نزل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، كتبها عمر وبعثَ بها إلى هشام بن العاص، فلم يفهم الآية، فدعا الله -تبارك وتعالى- ففهمه، وألقى الله في قلبه أنها نزلتْ فيه وفي أمثاله، فخَرَجَ مهاجرًا إلى المدينة.

وذكرتْ بعض الروايات: أنَّ الوليد بن الوليد بن المغيرة لَمَّا سمع رسول الله ﷺ يقول: ((مَن لي بعيّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص؟))، قال: أنا لَك يا رسول الله بهما. فخرج إلى مكة، فقدِمها مستخفيًا حتى عرف مكان سجنهما فخلَّصهما مِن الأسْر، وقدم بهما على رسول الله ﷺ بالمدينة.

منازل المهاجرين بالمدينة:

قال ابن سعد: "لّما قدِم أصحابُ رسول الله ﷺ أَرْسَالًا، فنزلوا مع الأنصار في دُورهم، وآوَوْهم ونصروهم وآسوهم، فنزلَ طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن شاف، ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد الغنوي على كلثوم بن الهدم بقباء، ونزلت مجموعةٌ أخرى على عبد الله بن سلمة. ويقال: بأنَّ العزَّاب نزلوا على سعْد بن خيثمة لأنَّه كانَ عازبًا. ونزل عمر بن الخطاب وأقاربه ومواليه في بني عمرو بن عوف بقباء.

وقد ضَرب الأنصار أرْوع صوَر الكرَم في استقبالِ المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل الله، واستحقّوا ذلك الوصف الذي أطلقه الله -تبارك وتعالى- عليهم، وهو قوله -جلَّ وعَلا-: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]؛ ولذلك قال فيهم ﷺ: ((لوْ سلَك الناس واديًا، وسلكَت الأنصارُ واديًا، لسلكتُ وادي الأنصار))، أو كما قال ﷺ.

استئذان أبي بكر الرسولَ ﷺ في الهجرة، وتآمر قريش على قتْل رسول الله ﷺ

فكّر الصِّدِّيق > في الهجرة، وعندما أراد أن يُهاجر طلَب منه الرّسول ﷺ الانتظار ليصحبه في هجرته عندما يُؤذن له بذلك. فأخذَ الصِّدّيق في الاستعداد لهذه الهجرة، فاشترى راحلتيْن، وظلّ يعلفهمَا لمدَّة أربعةِ أشهر.

وقد روى الحاكم: أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل # : ((منْ يُهاجر معي؟))، قال: "أبو بكر الصديق". وفي بعض الروايات: أنّ أبا بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له: ((لاَ تعْجلْ! لعلّ الله يجْعل لك صاحِبًا))؛ فيطمع أبو بكر أنْ يكون هذا الصاحب رسولَ الله ﷺ.

تآمر قريش على قتْل رسول الله ﷺ:

عندما علِم المشركون بما تمّ في بيْعة العقبة الثانية، وعندما رأوا المسلمين يهاجرون إلى المدينة شعروا بالخطر مِن تجمّع المسلمين بالمدينة وخروج الرسول ﷺ إليهم، فبدءوا يفكّرون في القضاء على هذا الخطر المحتمَل المتمثّل في تهديد تجارتهم وتنامي قوة الإسلام الذي وقفوا أمامه طوال ثلاث عشرة سنة.

وفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر صفر السنة الرابعة عشرة مِن النبوة الموافق للثاني عشر مِن سبتمبر، عام ستمائة واثنين وعشرين لميلاد المسيح # ، بعد شهرين ونصف تقريبًا مِن بيْعة العقبة الكبرى. عقد زعماء قريش اجتماعًا خطيرًا في دار الندوة ليتشاوروا في أنجح الوسائل للتخلّص من الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ

﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]؛ وقد أجمل القرآن الكريم في هذه الآية الآراء التي طُرحت في هذا الاجتماع الخطير.

وفي رواية عن ابن عباس: "أنهم عندما اجتمعوا في دار الندوة للتشاور في أمْر الرسول ﷺ، جاءهم إبليس على هيئة شيخ جليل مِن أهل نجْد. فقالوا: مَن الشيخ؟ قال: مِن أهل نجْد، سمع بالذي اتّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أنْ لا يعدمكم رأيًا ونُصحًا".

وعندما دارت المناقشات، اقترح أحد المؤتمرين: أنْ يحبسوا رسول الله ﷺ. قال الشيخ النجدي: لا والله! ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجنّ أمره مِن وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلَأوشكوا أنْ يثِبوا عليكم فينتزعوه، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمْركم.

ثم اقترح أحدهم: أنْ ينفوه. فدحض النّجديّ الاقتراح مبيِّنًا حُسن حديث رسول الله ﷺ ومَنطقه وأسْره القلوب سيجذب الناس إليه ويغلب بهم قريشًا.

وأخيرًا، اقترح أبو جهل أنْ يأخذوا مِن كلّ قبيلة فتًى شابًّا فتيًّا وسطًا فيهم، ويُعطى كلّ واحد منهم سيفًا صارمًا، فيضربون جميعًا بأسيافهم محمدًا ضربة رجُل واحد ليتفرّق دمُه بيْن القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فيرضُوا بالدِّية.

وأيّد النّجديّ هذا الاقتراح، ووافق عليه الجميع، وتفرّقوا على ذلك، ولم يبْق إلّا التّنفيذ.

وعلّل السهيلي حضور إبليس على هيئة رجُل مِن نجْد: آنهم قالوا بأنّ اجتماعهم لا يحضره أحَد مِن تهامة، لأنّ هواهم مع محمد.

الإذْن بـالهجرة، والتخطيط لهـا، وتجمّع قـريش حـول بيـت رسـول الله ﷺ لقتْلـه، والخروج مِن بيْت الصِّدِّيق إلى غار ثَوْر

ولّما تمّ اتّخاذ القرار الغاشم بقتْل النبي ﷺ، نزَل إليه جبريل بوحْي ربّه تعالى، وأخبره بمؤامرة قريش، وأنّ الله قد أذِن له في الخروج، وحدَّد له وقت الهجرة قائلًا: "لا تبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كُنتَ تبيت عليه". وذهب النبي ﷺ في الهاجرة إلى أبي بكر الصديق ليتّفق معه على خطّة الهجرة.

قالت عائشة < : ((بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نَحْر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنِّعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي! والله ما جاء به في هذه الساعة إلّا أمْر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فتأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما جاء بك إلّا أمْر حدَث. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: أخرج مِن عندك. فقال أبو بكر: لا عين عليك إنما هما ابنتاي، -وفي لفظ: أهلك-. فقال: إنّ الله قد أذِن في الخروج والهجرة. فقال أبو بكر: الصّحبة يا رسول الله! قال: نعم. قالت عائشة: فوالله ما أنّ أحدًا يبكي مِن الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ)).

وفي هذا اللقاء، تمّ الاتّفاق على خطّة الخروج مِن مكة. وعاد إلى بيته ﷺ.

تجمّع قريش حول بيت رسول الله ﷺ لقتْله:

لّما كانت العتمة، اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصُدونه حتى ينام ليقضوا عليه. فلمّا رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعليّ بن أبي طالب: ((نَمْ على فراشي. وتسجَّ ببُردي هذا؛ فإنه لن يَخلص إليك شيء ممّا تكرْه)).

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة مِن تراب في يده، فلم يبق منهم رجل إلّا وقد وضع رسول الله ﷺ على رأسه ترابًا، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [يس: ١- ٩].

وخرج ﷺ مِن بيْته لتنفيذ ما اتّفق هو وأبو بكر عليه.

فجاء إلى المحاصِرين رجُل فقال: إنّ محمدًا خرج. فجعلوا ينظرون إلى عليٍّ على فراشه، ويحسبون أنه محمدًا ﷺ، حتى أصبحوا.

وروى الحاكم، عن ابن عباس، قال: "شرى عليّ نفْسه، ولبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه".

وعن عليّ بن الحسين قال: "إنّ أول مَن شَرى نفْسه ابتغاء رضوان الله: عليّ. وقد ترَك ﷺ أماناته عند عليّ لِيردّها لأهلها، ثم يلحق به في المدينة".

الخروج مِن بيْت الصِّدِّيق إلى غار ثوْر:

غادر رسول الله ﷺ بيته في ليلة سبع وعشرين مِن شهر صفَر، سنة أربعة عشرة مِن النبوة الموافق ١٢-١٣ سبتمبر سنة (٦٢٢م)، وأتى دار الصِّدِّيق، ومنها خرج إلى الغار.

وتقدّم معنا: أنّ الصِّدِّيق قد جهّز راحلتيْن منذ فترة لهذه الساعة، ساعة ميلاد الدولة الإسلامية، فقال الصّدّيق لرسول الله ﷺ: "خُذ إحدى راحلتيَّ هاتيْن"

فقال ﷺ: ((بالثّمن. لا أركب بعيرًا ليس لي!)). قال: هو لك. قال: ((ولكنْ بالثمن)). قال: "أخذْتها بكذا وكذا". قال: ((أخذْتُها بذلك)). وقيل: بأنّ هذه الراحلة هي: "الجدعاء"، وكان الثمن ثمانمائة درهم. قالت عائشة: فجهّزناها أحثّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فشقّت أسماء بنت الصّدّيق قطعة مِن نطاقها لِتربط به القِربة؛ وقد عُرفت بذات النِّطاقيْن.

ورُوي: أنّ رسول الله ﷺ قال: ((إنّ لها نِطاقيْن في الجَنّة)).

واستأجرا رجلًا مِن الدّيل ماهرًا بالطريق، وواعداه بعد ثلاث في الغار، وقد أمِناه وهو على كفْره. وقد أسلم بعد ذلك، واسمه: عبد الله بن أُرَيْقط.

وخرج الصّدّيق بجميع مالِه، وكان خمسة آلاف دِرهم، لينفقه في سبيل الله، كما أنفق أكثر مِن خمسة وثلاثين ألْفًا قبل ذلك في سبيل الله.

وقد خرجا مِن باب خلفيٍّ في بيت الصّدّيق مُتنكِّرَيْن. وفي طريقهما إلى الغار، ودّع رسول الله ﷺ مكة التي أحبّها، مكة التي وُلد فيها وترعرع، فقال: ((والله إنّكِ لَخيْر أرض الله، وأحبّ أرض الله إلى الله، ولولا أنّي أُخرِجْتُ منكِ لَمَا خَرجْتُ))، وفي رواية أخرى: ((ما أطيبَك مِن بلد، وأحبّك إليّ! ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنْت غيْرك!)).

وفي طريقهما إلى الغار، كان الصّدّيق يمشي أمام الرسول ﷺ أحيانًا، وأحيانًا خلْفَه، فسأله ﷺ عن السّبب، فقال: "أذْكر الطّلب فأمشي خلْفك، ثم أذكر الرّصد فأمشي أمامك". وعندما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر لرسول الله ﷺ: "مكانك حتى أستبْرِئَ لك الغار". وبعد ما تأكّد مِن خُلوِّ الغار، قال: "انزِلْ يا رسول الله!". فنزل رسول الله ﷺ إلى الغار.

وكان مِن الخطَط التي وضعاها:

١. يتولّى عبد الله بن أبي بكر -وهو شابّ- نقْل الأخبار مِن داخل مكة إليهما، وتحرّكات أهلها.

٢. كان عامر بن فهيرة -راعي الصِّدّيق- يأتيهما بغَنمه، فيحلب لهما ما يكفيهما، ثم يذهب بها لِيمحُو أثَر عبد الله بن أبي بكر.

موقف قريش بَعْد فشَل خطّتها في التّخلص مِن الرسول ﷺ والخروج من الغار

١. إلقاء القبْض على عليٍّ بن أبي طالب للتّحقيق معه، وسحْبه إلى الكعبة، وضرْبه لأخذ المعلومات منه.

٢. جاءت مجموعة منهم إلى بيْت الصِّدِّيق للبحث عنه هناك، أو لأخْذ الصّدّيق ليفعلوا معه ما فعلوا مع عليٍّ، فخرجت إليهم أسماء فسألوها عن والدها. فقالت بأنها لا تدري، فغضب أبو جهل فلطَمها لطمة طرح منها قرطها.

٣. وضعوا جميع الطّرق الخارجة مِن مكة تحت المراقبة.

٤. قرّروا منح جائزة مقدارها مائتا ناقة مِن الإبل لِمَن يعثر عليهما حيَّيْنِ أو ميِّتيْنِ.

٥. استأجروا قُصَّاص الآثار ليتّبعوا آثارهما حيث ما حلَّا.

وصل المطارِدون إلى فم الغار. فقد روى البخاري عن أبي بكر قال: ((كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعْت رأسي، فإذا بأقدام القوْم، فقلت يا نبيّ الله، لو أنّ بعضهم طأطأ رأسَه رآنا! قال: ما ظنّك يا أبا بكر باثنيْن، الله ثالثهما)).

وقد روي: "أنّ الله أمَر شجرة فنبتَت في وجهْ النبيِّ ﷺ فسترتْهُ، وأمَر حمامتيْن فوقعتا في فم الغار، وأنّ العنكبوت نسجَت على بابه". وقد ضعَّف بعضهم هذه الروايات مِن حيث الإسناد. والله -تبارك وتعالى- قادر على كل شيء.

الخروج مِن الغار:

وحين خمدَتْ نار الطّلب، وتوقّفت أعمال دوريّات التّفتيش، وهدأت قريش بعد استمرار المطاردة ثلاثة أيام بدون جدوى، تهيّأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج. فلمّا كانت ليلة الاثنين غرّة ربيع الأوّل السنة الأولى مِن الهجرة، الموافق ١٦ سبتمبر سنة (٦٢٢م)، ارتحلا، وارتحل معهما عامر بن فهيرة لخدمتهما، وأخذ بهما الدّليل على طريق الساحل.

وروى البخاري عن الصّدّيق > قال: "أسْرَيْنا ليلتنا، ومِن الغد حتى قام قائم الظّهيرة، وخلاَ الطّريق لا يمرّ فيه أحَد، فرُفعت لنا صخرة طويلة لها ظلّ لمْ تأت عليها الشمس..." الحديث.

فنزلوا تحت ظلِّها بعد ما سوَّى الصِّدّيق لرسول الله ﷺ مكانًا وأعدّ له فراشًا، ثم بدأ الصِّدّيق يستكشف المكان، ويبحث عمّن حوله، فوجد راعيًا عنده غنَم، فحلب له لبنًا قدِم به على رسول الله ﷺ فشرب منه ﷺ، ثم قال للصدّيق: ((ألَمْ يأنِ الرحيل؟)) قلت: بلى. قال: فارتحلْنا.

أحداث في الطريق، والوصول إلى المدينة

١. كان أبو بكر رديف رسول الله ﷺ، وإن سئل عن: مَن الذي أمامك؟ قال: "هذا يهديني الطريق".

٢. حاول سراقة بن مالك الظّفر بالمكافأة، فلاحظ وهو جالس في قومه مرور الرسول ﷺ وصحبه، فخرج مسرعًا في أثرهما، وكلّما قاربهما ساخت أقدام فرَسه في التّراب. يقول سراقة: "فناديْت بالأمان... فوقفوا... فقلت له: إنّ قومك قد جعلوا فيك الدِّية. وأخبرْتهم أخبار ما يريد الناس منهم، وعرضت عليهم الزّاد... فقالا: اخْف عنّا! فسألتُه أن يكتب لي كتابًا، فأمَر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة مِن أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

ورجع سراقة، فوجد الناس في الطّلب، فجعل يقول: قد استبرأْت لكم الخَبَر؛ قد كُفيتم ما ها هنا. فكان أوّل النهار جاهدًا عليهما، وآخره حارسًا لهما.

٣. ومرّ ﷺعلى خيمة أمّ معبد الخزاعيّة، وكانت بفناء خيمتها شاة عجفاء أقعدها الهزال عن الخروج إلى المرعى، فمسح ﷺ على ضرْعها فتفاجت عليه ودرَّت. فدعا بقدح يكفي الرّهط فحلب فيه حتى علَتْه الرّغوة، فشرب الجميع. ثم حلَبها مرّة أخرى وملأه، ثم تركه عندها.

وخرج الرّكب الميمون. وجاء زوجها فوجد اللّبن عندها، فأخبرته الخَبَر، وذكرت له أوصاف الرسول ﷺ، فقال لها: "والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا مِن أمْره ما ذكروا، لقد هممْت أنْ أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدْت إلى ذلك سبيلًا.

٤. وفي الطريق لقيَ رسولَ الله ﷺ أبو بَرْدَةَ الأَسْلَميّ، وكان في طلب رسول الله ﷺ ليفوز بالمكافأة، ثم أسلم.

٥. وفي الطريق أيضًا لقيَ رسولَ الله ﷺ الزبيرُ، وهو في ركب مِن المسلمين كانوا تُجارًا قافلين مِن الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضاءَ.

الوصول إلى المدينة:

في يوم الإثنين، الثامن مِن ربيع الأوّل سنة (١٤ مِن النبوّة) الموافق ٢٣سبتمبر سنة (٦٢٢م)، نـزل ﷺ بقباء. وقد كان المسلمون سمعوا بمَخرج رسول الله ﷺ، فكانوا يغدون كلّ يوم إلى الحرّة فينتظرونه، حتى يردّهم حَرّ الظهيرة.

وكان يومُ مقْدمه يومًا مشهودًا لمْ تشهد المدينةُ مثْلهُ في تاريخها. ونزل ﷺ على كلثوم بن الهدم، وقيل: سعد بن خيثمة. ولحِق به عليّ بن أبي طالب بَعْد ما أدَّى ودائع الرسول ﷺ. ومكث ﷺ بقباء ثلاثةَ أيامٍ، وأسَّسَ مسجدها. ثم انتقل إلى المدينة يوم الجمعة واسْتُقْبِلَ بالتّكبيرِ والتّحميدِ والتّهليلِ، وبناتُ الأنصارِ يَقُلْنَ فرحًا وسرورًا بمقْدمه ﷺ:

طلعَ البدرُ عليْنَا ❖ مِنْ ثَنِيَّاتِ الوداعْ
وجبَ الشكرُ علينا ❖ ما دعَا للهِ داعْ
أيها المبعوثُ فينا ❖ جئتَ بالأمْرِ المطاعْ

وكانت هذه اللحظات أشرف لحظات في تاريخ المدينة، وبها بدأت مسيرة الدولة الإسلامية بعد إيجاد المنطلق والقَاعِدَة التي طالما بحث عنها ﷺ.

قائمة المراجع العامة

١. **(الرحيق المختوم)**

صفي الرحمن المباركفوري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م.

٢. **(السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية)**

مهدي رزق الله أحمد، السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٢م.

٣. **(السيرة النبوية)**

عبد الملك بن هشام، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٨٣ هـ.

٤. **(المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**

أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٥. **(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)**

أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٦. **(الوفا بأحوال المصطفى)**

أبو الفرج بن الجوزي، اعتناء راشد الخليلي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٤م.

٧. **(تاريخ الإسلام)**

شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.

٨. **(سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)**

محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد - وآخرون، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٧م.

٩. **(فتح الباري شرح صحيح البخاري)**

ابن حجر العسقلاني، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.

١٠. **(فقه السيرة النبوية)**

محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م.